

فقه المستقبل

المرجع الديني الراحل
الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي
(أعلى الله درجاته)

الطبعة الأولى
١٤٣٣هـ - ٢٠١٣م

تهميش:
مؤسسة المجتبي للتحقيق والنشر
بالتعاون مع
مؤسسة الوعي الإسلامي بيروت لبنان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ
 الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ
 إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ
 اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ
 صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ
 غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ
 صدق الله العلي العظيم

في البدء كانت كلمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق وخاتم المرسلين، محمد وآله الطيبين الطاهرين.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَقُلْ اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(١).

حينما سمع الحسن البصري^(٢) بمقتل طاغية العراق في زمن الأمويين: الحجاج بن يوسف الثقفي^(٣)، سجد لله شكراً، وقال: «اللهم كما أمّته، فأمت

(١) سورة التوبة: ١٠٥.

(٢) وُلد الحسن بن يسار البصري في المدينة المنورة سنة ٢١هـ، كنيته أبو سعيد. كان من التابعين، استكتبه الربيع بن زياد والي خراسان في عهد معاوية، وسكن البصرة. كان يدخل على الولاة فيأمرهم وينهاهم. له مع الحجاج ابن يوسف مواقف، وقد سلم من أذاه. أخباره كثيرة، وله كلمات سائرة، وله كتاب في فضائل مكة مخطوط. توفي بالبصرة سنة ١١٠هـ.

(٣) عامل عبد الملك بن مروان على العراق وخراسان. وُلد عام ٣٩ وقيل: ٤٠ وقيل: ٤١هـ. وُلد ولا مخرج له حتى فُتق له مخرج، وأنه لم يرتضع أياماً حتى سقوه دم جدي ولطخ وجهه بدمه فارتضع، فكان ولوعاً بسفك الدماء يقتل النفس بأدنى شبهة. كان يُخبر عن نفسه أن أكثر لذاته سفك الدماء وارتكاب أمور لا يقدم عليها غيره. فكان له في القتل وسفك الدماء والعقوبات غرائب لم يسمع بمثلهما. حكم العراق ٢٠ سنة، وقد أحصي من قتله صبراً سوى من قُتل في عساكره وحروبه فوجد ١٢٠٠٠٠ شخص، وكان في حبسه ٥٠٠٠٠ رجل و٣٠٠٠٠ امرأة، منهن ١٦٠٠٠ مجردة، وكان يجبس النساء والرجال في موضع واحد. توفي لعنه الله في ١٠ رمضان سنة ٩٥هـ بواسطة فدفن بها وعفي قبره وأجري عليه الماء.

عنا سنته»^(١).

واليوم وبعد زوال أعتى نظام، وأكبر طاغية عرفه التاريخ المقروء في العراق، صدام التكريتي^(٢)، والذي يسميه البعض بمجمع الطواغيت، الذي

(١) وفيات الأعيان: ج ٢ ص ٥٣ الحجاج بن يوسف ترجمة رقم ١٤٩.

(٢) الطاغوت الذي صاغه الأمريكان والبريطانيون وفق متطلبات منطقة الخليج وظروفها السياسية - كما بين ذلك حردان التكريتي عضو مجلس قيادة الثورة ورئيس أركان الجيش وقائد سلاح الطيران في مذكراته، وكما أشار إلى ذلك أمين سر القيادة القطرية ووزير الداخلية ونائب رئيس الوزراء علي صالح السعدي، وكما بينه زبير سلطان قدوري في كتابه: «بغداد على خط الصفر» - وأضحى اليد الطولى في تنفيذ مخططات الغربيين بعد أن قدموا له كل وسائل الدعم المادي والسياسي والعسكري والتقني، وحافظوا على أمنه الشخصي في أدق الظروف وأحلك اللحظات، وهذا ما أكده عضو قيادة حزب البعث ووزير الإعلام السابق صلاح عمر العلي. وهذا ما أثبتته الانتفاضة الشعبانية التي قادها الشعب العراقي سنة ١٩٩١ م.

وُلد صدام سنة ١٩٣٩ م في قرية العوجة جنوب تكريت، والتي تبعد مائة ميل شمال بغداد، ولدته أمه «صبحة» من رجل مجهول، فهو نتاج علاقة غير شرعية، كما ذكر ذلك صاحب كتاب «شخصية الطاغوت»، وقيل: كان أبوه يعمل «فراشاً» في السفارة البريطانية، وبعد موت أبيه تزوجت أمه من أربعة أزواج ثالثهم إبراهيم الحسن، ورابعهم زين الحسن، وكان صدام يتنقل معها من بيت زوج إلى آخر، بدأ عمليات القتل وهو ابن السابعة عشرة، حيث قتل راعياً من أبو عمجيل - قرب قرية تكريت - وهرب إلى خاله خير الله طلفاح في مدينة بغداد، ثم أعقبها بقتل ثان سنة ١٩٥٩ م عندما قتل مدير الثانوية الليلية بجنجر. انضم إلى حزب البعث عبر عبد الخالق السامرائي، واشترك في انقلاب ١٧ تموز سنة ١٩٦٨ م، وأصبح نائباً لمجلس قيادة الثورة ونائباً لرئيس الجمهورية سنة ١٩٧٠ م، ورئيساً للجمهورية بعد إزاحة البكر من الحكم سنة ١٩٧٩ م، وخلال فترة حكمه لم يسلم منه الشعب العراقي، فقد قتل خمسة ملايين وثمانمائة ألف من شيعة العراق صبراً - وهذا ما تشهد له المقابر الجماعية - ما عدا الحروب الثلاثة التي زج بها الشعب العراقي، كما لم تسلم من إيذائه وطغيانه أية دولة لها حدود مع العراق. أطيح به في ٢٠٠٣/٤/٩ م من قبل الجيوش البريطانية والأمريكية. وقد أصبح صدام سابع أغنى رجل في العالم. للاطلاع التفصيلي عن صدام راجع «شخصية الطاغوت» لآية الله السيد هادي المدرسي، «بغداد على خط الصفر» زبير سلطان قدوري، «فندق السعادة» جليل العطية، «حكومة القرية» طالب الحسن، «نواطير الغرب» حسن سعيد، «العراق دولة المنظمة»

أهان المقدسات، وسحق الكرامات، وسلب الشعب حقوقه، وقتل من شيعة العراق صبراً خمسة ملايين وثمانمائة ألف إنسان، عدا من زجهم بحروبه ومعاركه مع دول الجوار، والذي لم يبن للعراق سوى المقابر الجماعية والسجون والمعتقلات.

علينا أن نعمل سوياً لإماتة بدعه بفضحه، ومن آزره وناصره في مسيرته الإجرامية من دول ومنظمات وأزلام، عبر تدوين جرائمهم وطغيانهم ونشرها عبر كافة وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية، وبذلك نكون قد أوجدنا الوعي في الشعب حتى تكون له حصانة لعدم تكرار مآسيه، ونكون قد أدينا ما علينا من مسؤولية تجاه الأجيال والتاريخ والحق والحقيقة، ونكون قد أوجدنا وسيلة ردع إضافية أمام الحكام الظلمة على أن ما يقترفوه سيكون مآله الكشف والفضح.

فلو عمل الشعب العراقي في الماضي على فضح الحكومات الاستبدادية لما وصل الأمر إلى تسلط صدام وزمرته، ولو لم يُفضح اليوم صدام ونظامه فسيأتي هدام في المستقبل.

ويقترح في هذا الصدد تحويل بعض السجون ووسائلها التعذيبية وملفاتها إلى متاحف ليطلع عليها العالم، وأن تصدر جريدة عراقية بالتعاون مع منظمات حقوق الإنسان هدفها استقصاء جرائم النظام البائد، وأن تحوّل المقابر الجماعية في محافظات العراق إلى نصب تذكارية يلاقون الاحترام والإجلال.

علينا أن نقبر ما جاء به صدام من أفكار ومفاهيم كالقومية والعنصرية والطائفية وحكومة الأقلية، وما مارسه من نظام الحزب الواحد والحاكم الواحد،

► السرية» و«دولة الاستعارة القومية» حسن العلوي، «الهروب إلى الحرية» د. حسين الشهرستاني، «جمهورية الخوف» سمير الخليل، «أوكار الهزيمة» هاني الفكيكي، «من مذكرات حردان عبد الغفار التكريتي»، «شبيهه صدام» ميخائيل - مخلف - رمضان وغيرها من المصادر.

وما عمله من تقسيم للمواطنين إلى الدرجة الأولى والثانية والثالثة، وعلينا أن نزيل من نفوسنا أدران التفرد والعنف والسلوك الانتقامي في التعامل، هذه الأدران التي أوجدتها جمهورية الخوف، حيث حولت الناس إلى أذلاء يتكالبون على النفاق وعلى إيذاء بعضهم البعض وعلى الانتقاص من القيم الأخلاقية والاجتماعية فضلاً عن الإنسانية.

إن إماتة بدع صدام تحتاج إلى إزالة كوابيس التقاعس والإهمال واللامبالاة التي منينا بها، ونحتاج إلى جمع الهمم والسواعد، وإلى وحدة الصف والهدف، ومسؤوليتنا الشرعية والعقلية تحتم علينا العمل سوياً من أجل عراق استشاري - ديمقراطي - يضمن حقوق الأكثرية، ويحمل القيم الإسلامية ومبادئ أهل البيت عليهم السلام، مع الحفاظ على حقوق الأقلية، وهذا يتطلب منا ما يلي:

١: نبذ الخلافات والصراعات الداخلية. قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَنَارَ غُورًا فَنَفْسُوهَا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾^(١)، وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾^(٢)، وأن نركّز على القواسم المشتركة، فإن: «المسلمون إخوة، يد واحدة على من سواهم، تتكافأ دماؤهم، يسعى بذمتهم أدناهم، ويرد عليهم أقصاهم»^(٣) كما جاء في الحديث، وأن نعي أساليب الاستعمار وخطه ودسائسه في تمزيق الشعوب والمجتمعات.

٢: أن نشخص أعداءنا من الدول المجاورة والإقليمية التي لا ترغب بقيام حكومة ديمقراطية في العراق، معللين ذلك بسيطرة الأكثرية في الحكم، وهذا ما عبّر عنه وزير الخارجية الأمريكي في بعض تصريحاته، ويسعى له بعض حكام

(١) سورة الأنفال: ٤٦.

(٢) سورة آل عمران: ١٠٣.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٧ ص ٢٨١ ذكر الخبر عن فتح مكة.

المنطقة من تحركات مشبوهة.

٣: أن نحدد الهدف ونتمحور حوله حتى تتضح لنا الرؤية في العمل،
ونعرف ما ينبغي وما لا ينبغي.

٤: أن نلتف حول قياداتنا الدينية والوطنية الصالحة والمتقية التي يهملها
مصلحة العراق وشعبه.

٥: أن نعمل جميعاً وباستمرار وفاعلية وبالطرق السلمية من أجل نيل
الحقوق، فالاعتقاد بالحقوق دون السعي لها لا يحقق المنال، وهذه سنة الأنبياء
والمرسلين والصالحين.

٦: أن تكون أعمالنا نخبوية ومركزة، هدفها تنمية القدرات العلمية
والتنظيمية والوحدوية للجماهير.

٧: أن نجعل لأعمالنا ضوابط وأطراً، فبدون ذلك مآلها التصادم والتناحر،
ومن تلك الضوابط احترام حقوق الآخرين، وعدم السعي لتحجيم أو إسقاط أي
طرف، وترك حالة الاستعلاء والاستبداد، فإن: «من استبدَّ برأيه هلك»^(١) كما
قال الإمام علي عليه السلام.

٨: أن نعمل من أجل صياغة دستور تقوم به لجنة من الأخصائيين الدينيين
والأكاديميين من ذوي الاختصاص، يراعي حقوق الأكثرية والدين الإسلامي
والعرف الاجتماعي والخصوصية العراقية، وعرض هذا الدستور على الاستفتاء
العام على أن يكون بين فترة تحضيره والاستفتاء عليه فترة زمنية يتخللها إقراره
من المراجع العظام وعقد مؤتمرات تقييمية من قبل النخبة العراقية.

٩: أن نفهم البعد الديمقراطي وحقوق الأكثرية، وأن نطالب بتلك

(١) نهج البلاغة، قصار الحكم: رقم ١٦١. وسائل الشيعة: ج ١٢ ص ٤٠ ب ٢١ ح ١٥٥٨٧، بحار
الأنوار: ج ٧٢ ص ١٠٤ ب ٤٩ ح ٣٨ ط بيروت.

الحقوق، ويتجسد ذلك بأن يكون الرئيس مسلماً ومن الأكثرية، وكذا الوزارات والوظائف الحكومية والجيش ومجالس البلدية والمناهج التعليمية والتربية الدينية والأوقاف وألف شيء وشيء.

وبغير ذلك نكون قد كررنا التجربة المأساوية للماضي من بعد ثورة العشرين من تسلط المتعصبين من الأقلية على البلاد والتحكّم بمصير غيرها، ويكون مصيرنا كما قال الشاعر أحمد شوقي^(١):

قد أردنا من المغانم حظاً فوردنا الوغى فكنا الغنائما

ومن المناسب هنا أن أدون هذه الملاحظة: إن ما يفعله البعض من تقسيم السلطة على أساس نسبة الطوائف وبعض القوميات في آن واحد، فيه التفاف لهضم حقوق الأكثرية؛ لأن المسلمين في العراق إما شيعة أو سنة، وتقسيمهم كذلك إلى أكراد وتركمان، وترك العرب من التقسيم القومي، فإن الأولين - الأكراد والتركمان - يدخلون في التقسيم الأول، فالمفترض هو إعطاء الشيعة حسب نسبتهم ٨٠٪ سواء كانوا عرباً أو أكراداً أو تركماناً، وإعطاء السنة نسبة

(١) أحمد شوقي بن علي بن أحمد شوقي: أشهر شعراء العصر الأخير، ويلقب بأمير الشعراء. وُلد بالقاهرة سنة ١٢٨٥هـ/ ١٨٦٨م. نشأ في ظل البيت المالِك بمصر، وتعلم في بعض المدارس الحكومية، وقضى سنتين في قسم الترجمة بمدرسة الحقوق، وأرسله الخديوي توفيق سنة ١٨٨٧م إلى فرنسا، فتابع دراسة الحقوق في مونبلييه، واطلع على الأدب الفرنسي، وعاد سنة ١٨٩١م فعين رئيساً للقلم الإفرنجي في ديوان الخديوي عباس حلمي. وندب سنة ١٨٩٦م لتمثيل الحكومة المصرية في مؤتمر المستشرقين بجنيف. ولما نشبت الحرب العامة الأولى سافر إلى أسبانية سنة ١٩١٥م وعاد بعد الحرب في أواخر سنة ١٩١٩م، فجعل من أعضاء مجلس الشيوخ إلى أن توفي بالقاهرة سنة ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م. عالِج أكثر فنون الشعر: مديحاً، وغزلاً، ورثاءً، ووصفاً، ثم ارتفع محلّقاً فتناول الأحداث السياسية والاجتماعية في مصر والشرق والعالم الإسلامي، فجرى شعره على كل لسان. من آثاره: الشوقيات - أربعة أجزاء وهو ديوان شعره، ودول العرب - نظم، ومصرع كليوباترة - قصة شعرية، وقمبيز، وعلي بك، وعلي بك الكبير، وقصص أخرى. وقد كتبت عنه عدة كتب ودراسات.

١٥٪ سواء كانوا عرباً أو أكراداً أو تركماناً.

١٠: أن يتقيد الرئيس المنتخب عبر استفتاء عام، لكل عراقي صوت واحد
ببرلمان حر منتخب، وأن تكون السلطة بالتداول عبر المنهج السلمي بعيداً عن
الانقلابات العسكرية على أن يكفل الدستور ذلك.

١١: أن نعمل من أجل إيجاد قوانين تحقق الاستقلال القضائي في كل أبعاده
ومفاهيمه الإدارية والمالية والفنية، كما كان في زمن الإمام علي عليه السلام، وأن
يكون هذا القضاء قادراً على حماية المواطن وحرياته وحقوقه المدنية والسياسية.

١٢: أن نعمل من أجل خلق رأي عام عبر حرية الصحافة - السلطة الرابعة -
وحرية تشكيل التنظيمات والأحزاب، وحرية التظاهر والاحتجاج، وحرية عقد
المؤتمرات والندوات، لأجل إخراج العراق من واقعه المأساوي، ونشر الوعي
والتثقيف الديني، وتحديد مصير الشعوب بنفسها دون تدخل القوى الأخرى.

وهذه الأمور وغيرها قد أكد عليها الإمام الشيرازي رحمته الله في لقاءاته
وحواراته وخطاباته وكتاباته، وكان يسعى دائماً لإزالة الاستبداد من أرض
المقدسات والحضارات، صحيح أنه رحمته الله انتقل إلى جوار ربه، ولكنه كتاباته بين
الأيدي، وأمانيه واضحة، فاسعوا لتحقيقها، لتنالوا الاستقلال والسيادة،
وتورثوا أبناءكم عزاً وسعادة.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يمنَّ على العراق وشعبه مستقبلاً زاهراً مفعماً
بكل عوامل الاستقرار والخير والطمأنينة والسعادة.

من جوار عقيلة الهاشميين السيدة زينب عليها السلام

صاحب مهدي - شوال ١٤٢٤ هـ

مقدمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الخلق محمد وعلى آله الطاهرين ، واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين .
للإنسان علاقةٌ وطيدةٌ مع الحياة .
كذلك الحاضر مع المستقبل .
فإذا أراد الإنسان أن يُعانقَ المستقبلَ ويستشفَ آفاقه ، فعليه أن يبدأ بالحياة ،
يفترشها زهوراً ورياحين ، ويضع لها سلالم ومدارج .
عليه أن يبدأ مسيرة المستقبل من نقطة سحيقة في الماضي ، لأنَّ للإنسان ثلاثة أبعاد ؛ ماضٍ وحاضر ومستقبل .
فالماضي هو الأساس في بناء المجتمع الإنساني لما يحملُ من قيم وتجارب وتراث وتاريخ .
وفوق الماضي يُشيدُ الحاضر بسلوكه وظروفه وملابساته .
وفوق الحاضر يشمخ المستقبل عالياً مظلاً مشرقاً .
هذا هو بناء الإنسان الذي يتلأأ في أركانه الثلاثة .

فلا حاضر بدون الماضي ، ولا مستقبل بدون الحاضر والماضي .
وهذه الحقيقة صدعَ بها كل الأنبياء والمرسلين ﷺ .
والإسلام باعتباره سيد الأديان وخاتمها ، اكثرث في الاتعاض من الماضي ،
ورفع الإنسان من أسر ملابساته إلى إشراقة المستقبل .
وقد وضع الإسلام لهذه النقلة ، قواعدَ وأحكاماً ، تستطيع اكتشافها وسبر
أغوارها في طيِّ الأقوال والمواقف والآثار .
والكتاب الذي بين يديك - أخي القارئ - هو محاولة جادة من مرجع الأمة
الإسلامية ، آية الله العظمى الإمام السيد محمد الشيرازي قُدِّسَتْ ، لاستشراف
المستقبل من خلال رياض من الأحاديث والروايات والأحكام .
وكما عودنا سماحته قُدِّسَتْ في نتاجاته المختلفة - والتي تجاوزت الألف كتاب
وكرّاس - فقد كان سلس الأسلوب ، قويّ الحجّة ، متين الدلالة في ربط المستقبل
بالأحكام ، أو بالأحرى ربط المستقبل بالفقه الإسلامي ، الذي يبدو للبعض أنه لا
يتحدث إلاّ عمّا جرى فقط ، أما ما سوف يجري فإنه ليس من اختصاص الفقه
والفهاء ، بل من اختصاص علماء الفكر والفلسفة .
لقد وفقّ مرجعنا الكبير في أطروحته الجديدة ، في إيجاد صلة الوصل بين
الفقيه باعتباره راعياً للأمة والمستقبل ، وبين الفقه باعتباره حاكماً على أفعال
الإنسان والمستقبل .
ساعياً من وراء هذه الأطروحة بيان التصور الإسلامي - المبني على قواعد
فقهية رصينة - عن حياة سعيدة في المستقبل . فإذا كان المستقبل هو لغز الإنسان
المحير ، فقد استطاع المرجع الديني الأعلى الإمام الشيرازي قُدِّسَتْ أن يفك رموز
هذا اللغز ، وأن يصل إلى أعماق المستقبل ، وهذا ليس بمجديدي على الإمام المؤلف
(أعلى الله درجاته) حيث عودنا سابقاً على ربط الحياة بالفقه من خلال استحداث

أبواب جديدة في الفقه الإسلامي، كالسياسة والاقتصاد والاجتماع والحقوق والقانون والإدارة والدولة والحكومة والبيئة والتاريخ والطب وعلم النفس. وبهذا العمل المبارك، قد ألزم الفقهاء في المستقبل من طرق هذه الأبواب المستحدثة، وسبر أغوارها في التمحيص والتحقيق والتدقيق، وهذا هو المطلوب من عالم يحمل هموم الأمة، ماضيها وحاضرها ومستقبلها، وحقاً ما وصف بأنه المجدد الثاني.

وأملنا كبير بأن تنتفع الأمة الإسلامية بهذا الكتاب وبغيره من الأبحاث الجادة، التي أتحننا بها الإمام المؤلف رحمته، إنه نعم المولى ونعم النصير.

مؤسسة الوعي الإسلامي

بيروت — لبنان

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين ، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين .
وبعد.. فهذا كتاب (فقه المستقبل) ، ذكرنا فيه مباحث تتعلق بمستقبل
الإنسان القريب والبعيد ، ومستقبل البشرية في عهد ظهور الإمام الحجة المنتظر
(عجل الله تعالى فرجه الشريف) ، ومستقبل الإنسان في القيامة مع جملة من المباحث
الأخرى ، والله المسؤول أن ينفع به ويثيب عليه ، وهو المستعان .

قم المقدسة

محمد الشيرازي

المدخل

المستقبل والأهداف الكبيرة

ورد عن الإمام الحسن المجتبي عليه السلام: «اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً»^(١)، وفي هذا الحديث الشريف دعوة صريحة للإنسان بأن يسمو ويرتفع دائماً، ويؤثر الأهداف الكبيرة على الأهداف الصغيرة.

وهذا لا يعني - بالضرورة - إهمال الأهداف الصغيرة، بل القيام بها والعمل على تحقيقها، على أن لا تكون لها الأولوية.

وإذا تنازع الهدفان - ومورد التنافس ناشئ من محدودية عمر الإنسان ومحدودية طاقاته وما أشبه - فإن عليه أن يقدم الأهداف الكبيرة على الأهداف الصغيرة.

وتتجلى الأهداف الكبيرة في حاجات المستقبل الواسعة، بينما تظهر الأهداف الصغيرة في حاجات الإنسان المؤقتة؛ وصناعة المستقبل تتم عبر البرنامج الذي يضعه الإنسان لتحقيق أهدافه الكبيرة.

(١) مستدرك الوسائل: ج ١ ص ١٤٦ ب ٢٥ ح ٢٢٠، مستدرك الوسائل: ج ١٣ ص ٥٨ ب ٢٤

من هنا كان لزاماً على الإنسان أن يكون على استعداد تام لاستقبال الغد والتأثير فيه، والتكيف معه فيما لا يمكن تغييره، وربطه بالحاضر والماضي حتى لا ينقطع المستقبل عن الماضي والحاضر.

وعالمنا اليوم يشهد حركة قوية وسريعة نحو المستقبل في كافة أوجه الحياة، وهذه الحركة توجب تغيراً شديداً، فيجب أن نكيّف أنفسنا مع هذا التغيير حتى نمتلك ناصية المستقبل، خصوصاً إذا كان مضمون المستقبل مختلف جذرياً عن حاضرننا.

ومواكبة المستقبل تتم: عبر رصد الاحتمالات، والتخطيط السليم، والقرارات الصائبة التي يتخذها رواد الأمة وعلمائها في مختلف الاختصاصات، في الهندسة والطب والزراعة والصناعة حتى يأتي البناء متكاملًا من حيث تكوينه.

طبعاً ليس المعنيون بالمستقبل - وهم كل الناس - حسّاسين للغد، لكن على هؤلاء الذين يتطلّعون للمستقبل ويعملون من أجله، أن يصبحوا قوة فاعلة في وسط المجتمع، تحركهم دائماً باتجاه المستقبل المشرق.

فهؤلاء يصنعونه من خلال رؤيتهم الثاقبة لما سيجري في الغد، ومن خلال دفعهم المتواصل للأمة بهذا الاتجاه.

فهم يُطلعون الأمة على ما سيجري في المستقبل، فتتكيّف الأمة على نحو تستطيع امتلاك ناصية المستقبل بإذن الله تعالى.

الباب الأول

وفيه فصلان:

- ❖ الفصل الأول: خطوات على الطريق.
- ❖ الفصل الثاني: المنهجية في الدراسة.

الفصل الأول

خطوات على الطريق

وفيه مسائل:

- ❖ معرفة المستقبل والتخطيط لصناعته.
- ❖ الاهتمام بمصالح الأمة.
- ❖ التكاملية بين القيم والواقع.
- ❖ مقاييس الاتحاد.

معرفة المستقبل والتخطيط لصناعته

مسألة: معرفة المستقبل أمر واجب في الجملة، والتخطيط له واجب آخر؛ لأنهما مقدمة الواجب - وهي وإن لم تكن كذلك شرعاً إلا أنها لازمة عقلاً - وبهما يتم تحقيق أغراض المولى جل وعلا الملزمة، وهذه تعد أول خطوة في هذا الاتجاه.

فاللازم معرفة المستقبل بكل أبعاده وأجزائه وجزئياته، فبدون المعرفة لا يستطيع الإنسان أن يحسن التخطيط للمستقبل، وبدون حسن التخطيط لا يملك الإنسان حلولاً له، وربما أوجب المستقبل سقوطه.

والأمثلة في ذلك كثيرة، منها:

الإنسان الذي يتنبأ بأوضاعه الاقتصادية في المستقبل، إذا استطاع أن يستشف المستقبل ويقراً آفاقه بصورة جيدة، فإنه سيأخذ الحيطة والحذر في ذلك، وإلا فإن كارثة ما ستحلّ عليه، ويخسر كل شيء في صفقة الزمن المملوء بالاحتمالات.

ومن لم يتنبأ بسقوط الأمطار بغزارة و قدوم البرد، ثم يقدم على السفر في الطرق الجبلية الوعرة، فإنّ السيل سيحاصره، وسيجرفه الماء، أو سيواجه أخطاراً أخرى عظيمة؛ لأنه لم يدرس المستقبل، فيدفع ثمن عدم معرفته وتقاعسه. أما من عرف أوقات سقوط الأمطار، فإنه سيتخذ الاحتياطات اللازمة للسفر.

والأمم التي لا تتمكن من التنبؤ بمستقبل شحة المياه، فإنّها ستعاني من الجفاف وقلة الزرع وكثرة الأمراض، وربما الحروب الناتجة عن ذلك، وربما أودى

ذلك إلى سقوط الدولة وهلاك الشعب. بينما من تنبأ بالمستقبل فإنه يستعد لذلك الخطر، ويقوم بتخزين المياه، وترشيد صرفها حتى إذا جاء الصيف لم يضره شيء.

من هنا كان الذي يعي المستقبل ويخطط له في راحة، حتى لو حلت الكارثة؛ لأنه قد تدبر لكل أمرٍ أمراً، ووضع لكل احتمالٍ حلاً. فهو متطلع دائماً للزمن القادم، مما سيجعله في سباق مع الزمن وفي تقدم مستمر، فالإنسان الذي يتطلع إلى ما قد سيحدث له في المستقبل، ويميز الأخطار، ويميز الفرص المؤاتية، سيأمن جانبه، وسيبعد عن نفسه الأخطار المهلكة وسيستفيد من الفرص المؤاتية. أما أولئك الصنف من الناس الذين فرضوا على أنفسهم العزلة عن التفكير بالمستقبل، فإنهم عادة ما سيصبحون محرقةً للأحداث القادمة.

ومن الأمثلة أيضاً: الزلزال الذي يأتي بدون سابق إنذار، فيعصف بمدينة كاملة، فيذرها قاعاً صافياً، فلو تمكنا من التنبؤ بوقوعه ولو قبل دقائق، فإن الكارثة ستمضي بأقل الخسائر الممكنة. وإذا تمكنا من التنبؤ به قبل ساعة أو يوم أو شهر - مثلاً - فإن الزلزال حينذاك ربّما سيصبح كالرياح التي تأتي لتترك بعض الآثار فقط ثم تمضي.

وهكذا بالنسبة إلى التنبؤ بمجيء موجة من الحر، فإذا تنبأنا بها توقيناها وتخلصنا من آثارها، وإلا فإن الحرارة الشديدة ستجلب معها الأمراض والكوارث، وستسبب الويلات للأطفال الصغار.

فصدمة المستقبل لا راد لها، إذا لم نستعد إليها ونكتشف أجزاءها، ونتحدى آثارها الوخيمة^(١).

(١) في الجانب الاقتصادي كان التقدم في القرن العشرين وما قبله تابع لامتلاك المصادر الطبيعية الغنية وتراكم رأس المال، أما المتوقع في القرن الواحد والعشرين وما بعده، أن يكون تابعاً لامتلاك القدرة العقلية والخيال العلمي والابتكار وتنظيم التكنولوجيات الحديثة. وأن التجارة ◀

بين الانكفاء والتفائل

والناس على قسمين: فمنهم المنكفي على نفسه، ومنهم من يرنو إلى الحياة بشوق. فالمنكفئون هم المتشائمون عادةً، وهم الذين لا يفهمون المستقبل، ولا يعدّون أنفسهم لأخطاره.

أمّا المتفائلون فهم الذين حلّوا لُغز المستقبل، واستطاعوا أن يقهروا تحدياته، وأن يقفوا عند إيجابياته ليستثمروها.

لذا على الناس كي يعيشوا حياة ناجحة، أن يؤمنوا بحقيقة ثابتة، هي أنّ المجتمع يتغيّر، وأنّ العالم يتغيّر، وأن يتعلموا باستمرار كيف يتكيفوا مع هذه التغيرات الحادثة إلى حدّ الألفة.

فلو استطاع الإنسان أن يواجه تحديات المستقبل بحكمة وخطّة، لاستطاع أن يعيش حياة رغيدة في الدنيا، وحياة سعيدة في الآخرة.

مثلاً: إذا تمكّن الآباء أن يكتشفوا الوسيلة التي بها يستطيعون معرفة جنس أبنائهم قبل انعقاد النطفة، فسيكون بمقدورهم أن يخططوا لأنفسهم ولأسرهم أفضل من ذي قبل.

وهكذا الشخص الذي تعرف على الصفّافة وكيفية استخدامها، وهي مركب بحري أو بري، يسير على ارتفاع منخفض من سطح البحر والأرض بواسطة وسادة هوائية تدفعها محركات قوية إلى هذا السطح فترفع المركب، فإنّ مثل هذا الشخص - بسبب معرفته بها وسبقه الآخرين لاستخدامها - فإنه يتمكن أن يتسابق مع سائر التجار إلى مقصده وينافسهم مستغلاً عنصر الزمن.

► والأسواق العالمية سترتبط بالإلكترونيات وما أشبهه، فلو تنبأت الدول النامية لذلك فستضع في أولوياتها التكنولوجيا - الإلكترونيات الدقيقة والتكنولوجيا الحيوية والاتصالات والكمبيوتر بالبرمجيات والتجهيزات وصناعة الطائرات وصناعة علم المواد الحديثة - التي تعطيها ميزة تنافسية في الأسواق العالمية.

من ذاكرة التاريخ

ومثال ذلك أيضاً ما حدث للمسلمين قبل قرن من الزمن، حيث إنهم لم يتمكنوا أن يسبقوا منافسيهم الغربيين، ولم تكن لهم نظرة إلى المستقبل، حينما كان الغربُ يتقدمُ أشواطاً سريعة في الصناعة والزراعة والتقنية، بينما كانت الحكومات الإسلامية - كالعثمانية والقاجارية - تعيشُ في سبات عميق.

ونتيجة للصدام الذي حدث بين الدولة العثمانية والغرب من جهة، وبين الدولة القاجارية والغرب من جهة أخرى، فإنهما سقطتا بعد عمر مديد، فقد حكمت الدولة العثمانية خمسة قرون^(١)، وحكمت الحكومة القاجارية قرابة قرن ونصف^(٢)، لكنهما انهارتا عندما لم تستطعا أن تقفا بوجه التحدي الغربي.

(١) تأسست الدولة العثمانية سنة ١٢٨١م، وسقطت سنة ١٩٢٢م، وعدد خلفائها ٣٧ خليفة، وهم كالتالي: ١ - عثمان الأول، ٢ - أورخان بن عثمان، ٣ - مراد الأول، ٤ - بايزيد خان الأول، ٥ - محمد جلبي - الأول، ٦ - مراد خان الثاني، ٧ - محمد الثاني - الفاتح، ٨ - بايزيد خان الثاني، ٩ - سليم الأول، ١٠ - سليمان الأول - القانوني، ١١ - سليم الثاني، ١٢ - مراد الثالث، ١٣ - محمد الثالث، ١٤ - أحمد الأول، ١٥ - مصطفى الأول، ١٦ - عثمان الثاني، ١٧ - مراد الرابع، ١٨ - إبراهيم الأول، ١٩ - محمد الرابع، ٢٠ - سليمان الثاني، ٢١ - أحمد الثاني، ٢٢ - مصطفى الثاني، ٢٣ - أحمد الثالث، ٢٤ - محمود الأول، ٢٥ - عثمان الثالث، ٢٦ - مصطفى الثالث، ٢٧ - عبد المجيد الأول، ٢٨ - سليم الثالث، ٢٩ - مصطفى الرابع، ٣٠ - محمود الثاني، ٣١ - عبد المجيد الثاني، ٣٢ - عبد العزيز، ٣٣ - مراد الخامس، ٣٤ - عبد الحميد الثاني، ٣٥ - محمد رشاد، ٣٦ - محمد السادس، ٣٧ - عبد المجيد الثالث، الذي نفاه أتاتورك إلى مدينة نيس الفرنسية. ومن أخطر مثالبهم إضافة إلى الفساد والاستبداد هو ترك مصادر التشريع الإسلامي والتوسل بالقوانين الغربية الوضعية. للمزيد راجع كتاب "موجز عن الدولة العثمانية" للإمام المؤلف رحمته الله.

(٢) سلالة إيرانية، حكموا منذ سنة (١٢١٠هـ / ١٧٩٥م) وإلى سنة (١٣٤٣هـ / ١٩٢٥م) ولمدة ١٣٣ سنة، وعدد ملوكهم سبعة، أولهم محمد علي شاه وآخرهم أحمد شاه، وأبرز ملوكهم فتح علي شاه وناصر الدين شاه ومظفر الدين شاه. وفي عهدهم دخلت إيران في السلك الأوربي، وخسرت مدينة باكو وجورجيا ومعظم أرمينيا الفارسية؛ بعد أن استولت عليها روسيا القيصرية، وأطاح بسلالتهم رضا بهلوي سنة (١٣٤٣هـ / ١٩٢٥م). للتفصيل عن قبيلة قاجار راجع "أعيان الشيعة" ج ٣ ص ١٢٠.

المثقف والريادات المستقبلية

من هنا جاءت مسؤولية الطبقة الرائدة في المجتمع في توعية الناس، وفتح عيونهم لحقائق المستقبل؛ لأنهم بذلك سيمنحونها الثقة وسيصنعون فيها العزيمة، والاستعداد لخوض غمار الصراع المرير مع تحديات المستقبل. وستكون الثقة والطمأنينة والسكينة بديلاً عن الخوف، والفرع وتوتر الأعصاب التي يعيشها كل إنسان يجهل مستقبله.

إن مهمة الريادات المستقبلية فكّ رموز المستقبل، وجعل الناس يميزون بين القادم الصالح والطالح، والخطر والأخطر، بين الجيد والرديء، وتحويل الجيد إلى أجود، أو تلافي الأخطار، أو تحديد وتحجيم آثارها، إضافة إلى ذلك فإنها تمنح الناس مفاهيم جديدة ومفيدة، تساعد على التعامل مع عالم سريع ومتطور. إن المستقبل - عادة - ليس ثابتاً، ولا هو نهائي الشكل لا يمكن تغييره، بل هو مُشتمل على مجموعة من البدائل التي يضعها الإنسان أمامه، والتي يستطيع أن ينفذ إلى مفرداتها، فيختار ما يراه صالحاً.

فالتغيرات الصغيرة التي حولنا تصبح بمرور الزمان كبيرة، حالها حال الأمطار التي تبدأ بقطرات، ثم تصبح جداول، وتنتهي إلى سيل عارم، وبذلك الاختيار يصبح الفرد مُصاناً، ومحصناً لا تزلزله صدمة المستقبل، ولا تثنيه متغيراته.

والخلاصة: إن العقلاء كافة بحكم العقل لابد أن يفكروا بالمستقبل، فكما أن طلاب الطب والهندسة والتكنولوجيا وغيرهم، يواظبون على الدراسة ست سنوات أو أكثر حتى يصلوا لأهدافهم، والتي منها خدمة الناس، والسعة في الرزق، والراحة في العمل.

وهكذا بالنسبة إلى من يتعلم العلوم الدينية حتى يصبح فقيهاً أو مُدرّساً أو كاتباً أو خطيباً، فإنه يتعب ويسهر ويكدّ ويجتهد، وأحياناً يجهد نفسه خمسين سنة

فيما لو طلب المرجعية.

وهكذا المزارع يتعب ويجهد نفسه مدة طويلة أو قصيرة - حسب نوع النبات ومدة نموه - بانتظار الثمار، كذلك على العقلاء أن يفكروا ويخططوا لمستقبل أمهم وشعوبهم القريب المدى والمتوسط والبعيد.

ويلزم على الإنسان أن يكون سعيه منصباً لمعرفة آفاق المستقبل والأهداف الكبيرة، وليس الأهداف الصغيرة التافهة، كما فعل ذلك الخاسر الذي باع كل شيء من أجل مُلك الرّي الذي لم ينله حينما قال: (ما عاقل باع الوجودَ بدين)^(١).

فهذا العمل هو خلاف منهج العقلاء ومقياس العقل، بل هو بنفسه أيضاً باع حظّه الأوفر في الآخرة؛ لأجل مستقبل متوهم مزعوم. وسيأتي في مبحث قادم الحديث عن بعض أهم وسائل التخطيط لصناعة المستقبل، وهي (مراكز الدراسات) إن شاء الله تعالى.

(١) القائل هو عمر بن سعد (لعنه الله تعالى)، قاتل الإمام الحسين عليه السلام يوم الطف بكربلاء. وقوله هذا هو عجز بيت من ثمانية أبيات قالها يوم خرج لقتال الإمام الحسين عليه السلام، وهو غير مكترث بمنزلة الإمام الحسين عليه السلام، ولا بوصية رسول الله صلى الله عليه وآله، ولا بيوم القيامة وأهواله وشدائده؛ وذلك من أجل حطام الدنيا الذي لم يصب منه شيئاً في آخر الأمر، فخسر الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين. راجع للهوف في قتل الطفوف للسيد ابن طاووس: ص ١٩٣ حكاية المختار في الأخذ بالتأثر.

الاهتمام بمصالح الأمة

مسألة: يلزم تربية الناس جميعاً على الاهتمام بالمصالح العامة المستقبلية الشمولية للأمة، وإهمال الحسابات الشخصية في العلاقات الاجتماعية وما أشبه، بدءاً من الأسرة والحوزة والجامعة، ومروراً بالأحزاب والتقابات، ووصولاً إلى العلاقات الدولية، التي قد تجلب الضرر للأمة، لافتقارها إلى النظرة الشمولية.

مثلاً: قد تلاحظ المصلحة في رسم العلاقات بين العراق ودول الخليج بذاتها - بدون ملاحظة شيء آخر -، وقد تلاحظ المصلحة باعتبار الدول الإسلامية الأخرى، أو باعتبار البشرية كلها.

تزامم المصالح

نعم، من السليم أن تلاحظ المصلحة الإسلامية العامة لكل الدول الإسلامية قبل المصلحة العالمية، فالأخوة الإسلامية والأمة الواحدة مقدمة على الأخوة العالمية والأمة العالمية الواحدة، وهكذا بقية الأمور؛ لأن الأمور متدرجة.

بين التفاؤل والأمل

والقوانين الإسلامية وإن كانت قوانين بشرية عامة لكنها خاضعة لمعادلة التدرج؛ لأن تحميل هذه القوانين على البشرية وفرضها عليهم قسراً لا يجدي نفعاً. وإنما يجب تفهيم هذه القوانين للعالم من خلال تطبيقها بين المسلمين أنفسهم، حتى يصبح المسلمون قدوةً وأسوةً ومناراً للآخرين. فعندما يطبق المسلمون (الحريات) التي جاء بها الإسلام يصبحون قدوةً للغير في انتهاج نهجهم.

وعندما يطبقون (الأخوة الإسلامية) القائمة على وشائج متينة من العلاقات الودية، ستجد الشعوب الأخرى في هذه الأخوة عنواناً للتقدم، فيتخذونها مسلكاً في حياتهم.

وعندما يطبق المسلمون (قانون الأمة الواحدة) ستحذو الشعوب الأخرى حذوهم، ويتطلب هذا النهج تربية من نوع جديد تجعل المسلمين وهم يتطلعون إلى مصلحة مجتمعاتهم الإسلامية ثم مصلحة البشرية جمعاء، ذلك لأن الناس صنفان: «إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق»^(١)، كما ورد في كتاب أمير المؤمنين علي عليه السلام إلى عامله مالك الأشتر رضي الله عنه^(٢)، وجميع البشر إخوة، كما

(١) نهج البلاغة، الرسائل: رقم (٥٣) ومن كتاب له عليه السلام كتبه للأشتر النخعي لما ولاه على مصر وأعمالها.

(٢) هو مالك بن الحارث بن عبد يغوث بن سلمة بن ربيعة بن حذيمة بن سعد بن مالك بن النخع، وكان حارساً شجاعاً رئيساً من أكابر الشيعة وعظمائها، شديد التحقق بولاء أمير المؤمنين عليه السلام ونصره، وقال فيه بعد موته: «يرحم الله مالكا فلقد كان لي كما كنت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم...». ولقد قاتل مع أمير المؤمنين عليه السلام في جميع حروبه من الجمل إلى صفين إلى النهروان. وهو صاحب العهد الشهير الذي كتبه الإمام عليه السلام له حين ولاه مصر. وقال الشيخ الأميني رحمته الله في "الغدير": مالك بن الحارث الأشتر، أدرك النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وقد أتى عليه كل من ذكره، ولم أجد أحداً يغمز فيه، وثقه العجلي، وذكره ابن حبان في الثقات، ولا يحمل عدم رواية أي إمام عنه على تضعيفه. وكفاه فضلاً ومنعة كلمات مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الثناء عليه في حياته وبعد المنون، وإليك بعض ما جاء في ذلك البطل العظيم من كتاب لمولانا أمير المؤمنين عليه السلام كتبه إلى أهل مصر لما ولى عليهم الأشتر: «أما بعد: فقد بعثت إليكم عبداً من عباد الله لا ينام أيام الخوف، ولا ينكل عن الأعداء ساعات الروح، أشد على الفجار من حريق النار. وهو: مالك بن الحارث أخو مذحج فاسمعوا له وأطيعوا أمره فيما طابق الحق، فإنه سيف من سيوف الله، لا كليل الظبة، ولا نابي الضريبة، فإن أمركم أن تنفروا فانفروا، وإن أمركم أن تقبموا فأقبموا، فإنه لا يقدم ولا يحجم، ولا يؤخر ولا يقدم إلا عن أمري، وقد أترتكم به على نفسي لنصيحته لكم، وشد شكيمته على عدوكم».

► ولما بلغ أمير المؤمنين عليه السلام موت الأشتر قال: «إنا لله وإنا إليه راجعون والحمد لله رب

يظهر ذلك من قوله سبحانه: ﴿وَأَلِيَّ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾^(١)، وقوله تعالى: ﴿وَإِخْوَانُ لُوطٍ﴾^(٢)، وغير ذلك من الآيات، حيث عدّ المسلم وغير المسلم إخوة بعض.

العالمين، اللهم إني أحسبه عندك، فإن موته من مصائب الدهر - ثم قال - رحم الله مالكا فقد كان وفي بعهدته، وقضى نجه، ولقي ربه، مع أنا قد وطنا أنفسنا أن نصبر على كل مصيبة بعد مصابنا برسول الله ﷺ فإنها من أعظم المصائب». وقال المغيرة الضبي: لم يزل أمر علي عليه السلام شديداً حتى مات الأشر. وقال ابن أبي الحديد في شرحه: كان فارساً شجاعاً رئيساً من أكابر الشيعة وعظماؤها، شديد التحقق بولاء أمير المؤمنين عليه السلام ونصره.

وكان سبب شهادته أنه دس معاوية بن أبي سفيان للأشر مولى عمر فسقاه شربة سويق فيها سم فمات، فلما بلغ معاوية موته قام خطيباً في الناس وقال: أما بعد، فإنه كانت لعلي بن أبي طالب يدان يمينان قطعت إحداهما يوم صفين وهو عمار بن ياسر، وقطعت الأخرى اليوم وهو مالك الأشر. انظر: الغدير: ج ٩ ص ٣٨ ترجمة مالك الأشر.

(١) سورة الأعراف: ٦٥، سورة هود: ٥٠.

(٢) سورة ق: ١٣.

التكاملية بين القيم والواقع

مسألة: يلزم أن تقوم هذه التربية المستقبلية للأمة على ركيزتين:

الأولى: التمسك بالقيم والأخذ بها.

الثانية: ملاحظة الواقع واستكشافه بكل دقة.

فالقيم وحدها لا تؤدّي ثمارها، فكان لا بدّ من ملاحظة الواقع أيضاً، إذ لا يمكن تحقق القيم بدون الواقع في الفراغ، ولا يمكن تحقق الواقع السليم بدون قيم، والقيم هي التي تسمو بالإنسان فوق الواقع، وتجعله متطلعاً، واعياً، مدركاً لمهام مستقبله، فالقيم تخرج الإنسان من شخصانية نظرتة، ومن أفقه الشخصي المحدود، بل تخرجه من نصفية نظرتة المحلية والموضعية وشبهها إلى إطلاقيه نظرتة الإنسانية، لتشمل العالم الذي يعيش فيه على امتداده وأتساعه، لا عرضاً فحسب، بل طويلاً أيضاً.

وبعبارة أقصر: القيم تجعل الإنسان مستقبلياً؛ لأنها تضيء البعد المستقبلي للواقع. فالسياسة واقع، ولكنها عندما تمتزج بالأخلاق تصبح السياسة أفقاً واسعاً لا ينحصر في المصالح الضيقة، والأنانيات وبردود الأفعال الآنية، كما هي اليوم بعض السياسات الدولية التي تتعلق بالواقع فقط دون الأخذ بالقيم، فتصبح أفعالاً وردود أفعال، محورها المصالح الشخصية أو القومية أو الأمنية الضيقة فقط.

وهكذا بالنسبة للسياسة والأخلاق، عندما تمتزج مع العقيدة الصحيحة من خلال تربية فكرية للإنسان تتحكم بعواطفه ونوازعه.

وعندما تسلك الأمة هذا النهج، فإن الأمم الأخرى ستقتدي بها وتقتفي

آثارها^(١).

انفصال الواقع عن القيم

والملاحظ أن بعض الشعوب تقدمت كثيراً في صنع الواقع، لكنها لم تتقدم في مجال القيم. فعلى سبيل المثال: إن التقدم العلمي والصناعي في الدول الغربية لم يواكبه تقدم في نطاق القيم، سواء كانت عقدية أو أخلاقية أو إيمانية.. فالملحوظ أن يقترن هذا الجزء بذلك الكل، حتى لا تشهد الانفصام الذي أضرَّ بالبشرية كثيراً^(٢).

وعندما يتحقق التكامل بين الواقع والقيم تذوب الصراعات، وينتهي التنافس غير المشروع، وتعم العدالة، ويسود السلام، ويعلو صوت الحق، ويعيش الناس في طمأنينة وأمن، ويزدهر المستقبل يوماً بعد يوم. وهذه هي أهداف كل أمة صالحة تطمح إلى بناء المستقبل السعيد المشرق، فإذا انتهت البشرية إلى هذا الفهم، وإلى هذه النظرة الشمولية، وتمكنت من وضع المقاييس اللازمة لعدم الانفلات من هذا الفهم، يكون ذلك اليوم يوم سعادة وهناء لكل البشرية.

وتتوزع هذه المقاييس - الضابطة للتكاملية بين القيم والواقع - في بنود كثيرة، ونطمح أن نرى المستقبل من خلالها، وهي أمور يستحسنها العقل، فعلى عقلاء العالم السعي من أجلها، بعد توفير الوسائل للوصول إليها.

(١) وهذا هو مسلك البشرية في طول التاريخ، فاقتراب العلوم والفلسفات والفنون والصناعات أمر مألوف بين الشعوب والحضارات، وكذا الأخلاق والآداب والنظام والنظافة، فهي أمور لا تعرف الحدود الجغرافية والقومية والعرقية واللغوية.

(٢) ولا يخفى أن اتحاد القيم أو انسجامها فيما بينهما شرط أساسي في التربية والتقدم.

مقاييس الاتحاد

مسألة: يلزم العمل وفق المقاييس التي يستحسنها العقل ويؤكددها الشرع، والتي تنسجم مع الفطرة، وتوجب الوئام بين الواقع والقيم. وسنتطرق في هذا المبحث إلى ما يقارب خمسين أمراً نستظهر أنها بأجمعها أو غالبها من الواقع المستقبلي بإذن الله تعالى، أو أنها ينبغي أن تكون كذلك ويجب السعي لها، وهذه الحتميات المستقبلية - إن صح التعبير - أو الأهداف المستقبلية هي كالتالي:

١: إلغاء الربا

إننا نرى أن إلغاء الربا من الحتميات المستقبلية بإذن الله تعالى، لكن التخطيط الفعلي والمستقبلي سوف يسرع في ذلك، فالواجب التخطيط الشامل العاجل والآجل، لأجل إلغاء الربا بمختلف أشكاله وصوره من البنوك وما شاكل ذلك. وذلك لأن الشخص الذي يقترض، إن كان مقترضاً لحاجة من زواج أو أكل أو شرب أو مسكن أو ملابس أو ما أشبه ذلك، فمن الظلم الفظيع أن يؤخذ منه مالاً زائداً أكثر مما أعطي إليه.

وإن كان أخذه للمال من أجل أن يعمل به في نطاق المضاربة المشروعة، أو من أجل الاسترباح، فقد يتعرض إلى الخسارة، أو يحقق ربحاً، أو تكون النتيجة لا شيء، أي لا خسارة ولا ربح.

فإذا خسر فمن الظلم أن يؤخذ منه مالاً إضافياً أكثر مما أعطي إليه، فقد صرف وقته وذهب ماله، فكيف يحمل الزيادة بإعطاء الربا. وإذا لم يحصل على شيء أي لم يخسر ولم يربح، فلا معنى لأخذ الزيادة أيضاً؛ لأنه لم تحصل زيادة على ماله، بل قد خسر وقته. وإذا ربح، فالربح قد يكون مساوياً لما يعطيه من

الفائدة، فقد خسر جهده الذي بذله في العمل، وقد يكون أكثر مما أعطي.
فاللزام عندئذ مراعاة (النسبة من الربح) كالنصف أو الثلث، جمعاً بين
الحقين: حقه هو وحق صاحب المال، وليس الصحيح فرض نسبة ثابتة ك:
٤٠٪، لأنها قد تكون ظلماً للعامل، وقد تكون ظلماً لصاحب المال.
لنتصور الحالة بمثال توضيحي:

لو ربح على المائة خمسة، وكانت الفائدة الربوية محددة بعشرة، فإنه خسر
جهده في الخمسة التي ربحها والتي سيمنحها للمرابي، وخسر خمسةً من ماله
الخاص ليسدد الفائدة المحددة بعشرة.

وإذا كانت الفائدة أقل، مثلاً: ربح خمساً وعليه أن يدفع الفائدة بثلاثة،
فالدفع هنا صحيح في الجملة لا مطلقاً، بل صحته مقيّدة بأهل الخبرة، هل حق
صاحب المال قدر ما أفاد، أو أقل مما أفاد، أو أكثر مما أفاد؟.

فاللزام أن يجعل الأمر مضاربة بالنسبة، فإذا خسر في التجارة، أو لم يحصل
على شيء، أي لم يربح ولم يخسر، لا يدفع شيئاً، وإذا ربح أعطى صاحب المال
بالقدر المقرر عند العقلاء، من نصف أو ثلث أو ثلثين أو ما أشبه ذلك، باختلاف
الزمان والمكان والبضاعة وغيرها في هذا الأمر.

ولما كان إلغاء الربا بهذه الكيفية أمرٌ عقلي، والفطرة تدعو إلى العقلانية،
فإن الحتمية المستقبلية تؤكد إلغاء الربا؛ ذلك لأن العقلاء يسيرون نحو الفطرة،
لأنها نداءً من أعماق الإنسان، فلا بد من الانقياد لها ومسايرتها.

٢: انتشار الأخلاق الحميدة

يلزم العمل لانتشار الأخلاق الحميدة، وهي حتمية مستقبلية أخرى تؤكد
بأن الأخلاق ستنتشر وستسود في المستقبل؛ ذلك لأن حسن الأخلاق أمرٌ عقلي
وشرعي، وهو أيضاً أمرٌ فطري، فلا معنى للغرور أو الجبن أو البخل وسائر

الصفات السيئة.

فبالإلزام التخطيط الشامل المستقبلي لتوسعة دائرة الأخلاق الحميدة، والعمل على انتشار الأخلاق الحسنة الفاضلة.

إنَّ سوء الخُلُق غالباً ما ينشأ من التوترات الخارجية من فقرٍ ومرضٍ وجهلٍ وما أشبهه، وتلك الأسباب كلها معدومة في المستقبل الزاهر الذي بشرَّ به الإسلام، فلا فقر حسب الفرض، ولا مرض إلاَّ أقلَّ من القليل، ولا جهل إطلاقاً.

فعالما اليوم يسير بخطى كبيرة نحو إزالة معالم الفقر والمرض والجهل، وإذا وجدنا بعض الفقراء في مجتمعاتنا، فإنَّ ذلك نتيجة طبيعية لاستغلال الرأسماليين للمال، حيث صار المال دولةً بين الأغنياء، كما عبَّر القرآن الكريم عن ذلك^(١)، وهذا الاستغلال أخذ في الزوال، وقد جاء به الاستعمار وهو أخذ بالزوال أيضاً نتيجة وعي الشعوب الحرة.

ولا يخفى: أن هناك عوامل عديدة تشترك فيما بينها لتساهم في إيجاد خصلة الأخلاق، فالإيمان بالله سبحانه واليوم الآخر، والتطلُّع إلى العلم والابتعاد عن الغرور والتكبر، تدفع الإنسان لتغيير حياته وسلوكه بصورة تدريجية ويستبدل سيئاته بالحسنات، فيصبح حسن الأخلاق بعد أن كان سيء الأخلاق^(٢).

٣: إعادة برمجة صندوق النقد والبنك الدوليين

(١) إشارة إلى قوله سبحانه في سورة الحشر الآية ٧: [كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ].
 (٢) فلو استطاع عقلاء العالم من وضع ميثاق أخلاقي، وتكفلت جهة عالمية بتطبيقه، وعبر آية محددة لسعدت البشرية. يقول رئيس وزراء العراق في العهد الملكي الدكتور محمد فاضل الجمالي في كتابه "مأساة الخليج والهيمنة الغربية" في هذا الصدد: «إن العالم في حاجة إلى ميثاق أخلاقي يدعم ميثاق الأمم المتحدة، ولائحة إعلان حقوق الإنسان. ميثاق ينص على معايير أخلاقية موحدة تتضمن الأمن والعدل والسلام، بقطع النظر عن اللون والجنس والثروة والقوة العسكرية والتقدم العلمي والتقني».

إن من الحتميات المستقبلية تنامي مطالبة الشعوب بحقوقها وحصولها عليها، وهذا ما نستظهره، وعلى ذلك: يلزم إعادة برمجة صندوق النقد والبنك الدوليين^(١)، وهذان - في يومنا هذا - يخضعان لسيطرة الدول الكبرى، في حين أن الحتمية المستقبلية التي تقوم على حركة الشعوب لكسب حقوقها من الذين اغتصبوها، تؤكد على أن هذا الصندوق سيخرج من نفوذ الدول الكبرى في يوم من الأيام، ويصبح صندوقاً لخير الشعوب والدول الفقيرة، وسيحكم الصندوق قانون المصلحة العامة وليس مصلحة الدول الكبرى.

(١) أنشئ صندوق النقد الدولي؛ لأجل وضع نظام نقدي دولي، يقوم على تثبيت سعر الصرف، والحيلولة دون لجوء الدول إلى سياسة تخفيض أسعار عملاتها، كوسيلة لتنشيط الصادرات، وتخفيض العجز في ميزان الدفع. ونتيجة لذلك، لم يسمح الصندوق لأي دولة أن تتخذ إجراء تخفيض كبير في أسعار عملاتها إلا في ظروف خاصة، وبعد الحصول على موافقته، ولتمكين الدول الأعضاء من تنفيذ هذه السياسة، وضع نظاماً للسحب، تستطيع بمقتضاه أي دولة تواجه عجزاً طارئاً في ميزان الدفع، أن تلجأ إلى مقايضة عملتها الوطنية بعملات الدول الأخرى التي تحتاجها، وفقاً لنظام وشروط خاصة.

وهناك عدة إشكالات تطرح على هذا النظام، منها: إن هذا النظام لا يتناسب مع مشكلات الدول النامية؛ لأن العجز في ميزان الدفع هو عجز شبه دائم، يعكس خللاً هيكلياً في اقتصادياتها، نتيجة حاجتها لاستيراد وسائل الإنتاج، وعدم كفاية حصيلة صادراتها لدفع ثمن الواردات. وإن قدرة الدول النامية على السحب المستمر محدد بنسبة ٢٥٪ من حصتها في رأس مال الصندوق - وهي حصة طفيفة جداً - ولو أرادت سحب أكثر من تلك النسبة، فستخضع لشروط يحددها الصندوق لتصحيح مسار اقتصادها، وعادة ما تخضع هذه الشروط لاعتبارات سياسية.

أمّا البنك الدولي: واسمه الكامل البنك الدولي للتعمير والتنمية، فقد أسس على أن يكون أداة بيد الدول الغربية الغنية، لتتحكم فيه بمصائر الشعوب الفقيرة، حيث صمم على أساس نظام التصويت المرجح، الذي يمنح كل دولة عضواً فيه وزناً يتناسب مع حجم إسهامها في رأسمال البنك. ويقتصر تقديم القروض فيه على المشروعات الإنتاجية التي تدر عائداً سريعاً له، دون القروض التي تستثمر في مجال البنية التحتية للدول الفقيرة. كما أنه يتحرك وفق قوانين السوق وأسعار الفائدة، وهذا لا ينسجم ومتطلبات الدول الفقيرة.

فتمنح الأموال بلا فوائد للاقتراض - خاصة عند افتراضنا في البند الأول إلغاء الربا - أو تمنح الهبات بدون النظر إلى الحسابات السياسية والأسواق التجارية، أو بانتهاج الأسلوب الشرعي كالمضاربة وما شابه ذلك.

إنّ الحسّ بالخير سينمو في المجتمعات البشرية، الأمر الذي سيؤدي حتماً إلى توقف بعض المؤسسات الرأسمالية من مواصلة سياستها الاحتكارية الاستغلالية، كما حدث شيء من ذلك - ولو بنسبة ما - عند تغلغل بعض الوعي في البلاد الغربية قبل الحرب العالمية الثانية وإبان الحرب الفيتنامية، حيث سعت الحكومات وأصحاب الشركات بإشراك العمال في المعامل والإكثار من الجمعيات الخيرية والمؤسسات التعاونية.

٤: إلغاء الحروب من العالم

كما أننا نرى أن عودة البشرية إلى الفطرة التي فطرها الله سبحانه وتعالى عليها قضية حتمية، ومن نتائج هذه العودة قلّة الحروب بنسبة كبيرة جداً أو انعدامها إطلاقاً؛ لأنّ الحروب في منطق العقل والعقلاء والفطرة اعتداء، ولا اعتداء مع سيطرة العقل والعقلاء.

أمّا إذا وقعت الحروب الدفاعية - وهذا قليل جداً - فتكون نظيفة في غاية النظافة ومحدودة في الزمان والمكان؛ إذ لا تستغرق وقتاً كثيراً، بخلاف ما عليه الحروب في عالم اليوم.

وعلى ذلك فإن من اللازم، تكاتف قوى الخير والمؤسسات الدينية والإنسانية في كل الدول، للقضاء على الحروب وجذورها والحد من وقوعها وأسبابها بشكل أسرع وأشمل.

ولاشكّ أنّ الربا والفقر والجهل من العوامل المسببة للحروب في عالم اليوم، ولما كان اتجاه الربا والفقر والجهل إلى الزوال، فإن ما يتبع ذلك هو

الازدهار الاقتصادي والعلمي، وبسبب هذا الازدهار ستعم العدالة أرجاء الكون، الأمر الذي سيؤدي إلى توقف الصراعات والنزاعات المسببة للحروب. ونحن نلاحظ ذلك في نطاق بعض الدول، كالدول الأوروبية التي كانت تعاني من الحروب الداخلية لعدة قرون، فقد انتهى زمنها ولبت نداء الفطرة والعقل، وأخذت بالتعاون بدلاً من التنافر، وأخذت بالوحدة بدلاً من الفرقة والتمزق، فتكوّن الاتحاد الأوروبي^(١) من دول كانت متصارعة ومتنافسة، بعضها يستعمر البعض الآخر.

٥: إلغاء حق الفيتو

يلزم إلغاء حق الفيتو^(٢)، فإن هذا الحق أمر لا تقرُّ به الفطرة البشرية، ولا يقبل به العقل، ومن الطبيعي أن يأتي ذلك اليوم الذي يشهد نهاية سريعة لهذا الحق الظالم، الذي يعطي لبعض الدول الكبيرة حقّ مصادرة ونقض القرارات وفق مصالحها لا وفق مصالح الشعوب، وهذا أمر لا يقبله العقل.

(١) إن فكرة الاتحاد الأوروبي بدأت عام ١٩٥٨م، عندما قام عالمان غربيان بوضع آلية لهذه الفكرة، وقد تبنت الدول الغربية هذه الآلية بعد إجراء بعض التعديلات عليها، وأتت هذه الفكرة بشمارها في التسعينيات من القرن الماضي.

(٢) وهو حق النقض الممنوح للدول دائمة العضوية، ويستخدم في المسائل الموضوعية دون الأمور الإجرائية، ويشمل كذلك اختيار الأمين العام للمنظمة، وقضاة محكمة العدل الدولية، وتعديل الميثاق، وقبول الأعضاء الجدد. أما الأمور الإجرائية فلا يستخدم فيها حق الفيتو إلا إذا لم يتوصل فيها إلى حسم للنزاع، فإنها تتحول إلى موضوعية: فأى خلاف حول تكيف طبيعة المسائل المعروضة للبحث على جدول أعمال المجلس، فإن حسمه يعامل باعتباره مسألة موضوعية، وهو ما يسمى بالفيتو المزدوج.

إن جعل حق الفيتو للدول الخمس الدائمة العضوية، أدى إلى إحداث شلل في قدرة مجلس الأمن على اتخاذ القرارات التي تمكن الأمم المتحدة من القيام بالدور المطلوب منها، وخاصة في المسائل المتعلقة بحفظ السلم والأمن الدوليين.

فالبشرية ماضيةً في طريق العقل والفضرة والإيمان، وهي ستزِيل من طريقها كل صور الاستغلال والأثرة بإذن الله تعالى^(١).

٦: تعديل التمثيل الدولي في الجمعية العامة للأمم المتحدة

يلزم تعديل التمثيل الدولي في الجمعية العامة للأمم المتحدة، إذ مع سيادة العدالة في الأرض سيكون لكل أمة ممثل في الجمعية العامة للأمم المتحدة بقدر حجمها السكاني.

إذ ليس من المعقول أن يكون للصين ذات المليار وثلاثمائة مليون نسمة مندوبٌ واحد، أو للهند ذات المليار نسمة^(٢) مندوب واحد، ولدولة صغيرة كالمالديف أو سيشل أو سان مارينو أو أنتيغوا وباربودا^(٣) ممثل واحد أيضاً.

(١) علماً بأن أصوات الفيتو يشكّل أربع أخماسها للدول الغربية - أمريكا وأوربا -، ولا تمثيل فيه لقارتي أفريقيا وأمريكا اللاتينية. وإليك بعض المؤشرات عن استعمال حقّ الفيتو، منذ تأسيس الأمم المتحدة عام ١٩٤٦م وحتى عام ١٩٩٢م، حيث استخدم حقّ الفيتو ٢٥٤ مرّة. فقد استخدم الاتحاد السوفيتي - السابق - هذا الحق ١١٤ مرّة، وأمريكا ٧٩ مرّة، وبريطانيا ٤٠ مرّة، وفرنسا ١٨ مرّة، والصين ٣ مرّات.

(٢) يبلغ عدد نفوس الصين وفق إحصاء عام ٢٠٠٢م (١١١٣٠٠٠٠٠) نسمة، ويبلغ عدد نفوس الهند (١٠٢٩٩٩١٠٠٠) نسمة.

(٣) والمذكورات هي دول صغيرة في العالم. أما جمهورية المالديف فتقع في قارة آسيا، وتتألف من مجموعة جزر، وعاصمتها مالي، وعدد نفوسها (٣١٠٧٦٤) ألف نسمة، ومساحتها (٢٩٨) كم^٢، وانضمت كعضو إلى الأمم المتحدة في ٢١/٩/١٩٦٥م.

وجمهورية سيشل تقع في آسيا أيضاً، وعاصمتها فكتوريا، وعدد نفوسها (٧٩٧١٥) ألف نسمة، ومساحتها (٤٥٤) كم^٢، وانضمت إلى الأمم المتحدة في ٢١/٩/١٩٧٦م.

وجمهورية سان مارينو تقع في أوربا، وعاصمتها سان مارينو، وعدد نفوسها (٢٧٣٣٦) ألف نسمة، ومساحتها (٦٠٥) كم^٢، وانضمت إلى الأمم المتحدة في ٢/٣/١٩٩٢م.

وجمهورية أنتيغوا وباربودا تقع في أمريكا الشمالية، وعاصمتها سانت جونز، وعدد نفوسها ▶ (٢٣٠٠٠) ألف نسمة، ومساحتها (٤٤٢) كم^٢، وانضمت إلى الأمم المتحدة في

فالعدالة تقتضي أن يكون التمثيل على أساس حجم الأمم ونفوسها، وليس بعدد الحكومات والدول^(١).

نعم، في الشؤون الخاصة بتلك الدولة لا بد من وصفة مركبة بحيث يجمع بين الحقين.

٧: تدخل الأمم المتحدة بين الحكومات وشعوبها

يلزم تدخل منظمة الأمم المتحدة^(٢) بين الحكومات وشعوبها للردع عن

١٩٨١/١١/١١ م.

وكذلك أمثال جمهورية توفالو تقع في أوقيا نوسيا، وعاصمتها فونا فوتي، وعدد نفوسها (١٠٩٩١) ألف نسمة، ومساحتها (٢٦٠٠٠) ألف كم^٢، وانضمت إلى الأمم المتحدة في ٢٠٠٠/٥/٥ م.

وجمهورية ناورو، وعاصمتها يارن، وعدد سكانها (١٢٠٨٨) ألف نسمة، ومساحتها (٢١٠٠٠) كم^٢، وانضمت إلى الأمم المتحدة في ١٩٩٩/٩/١٤ م. للمزيد راجع "أطلس الوطن العربي والعالم" للمؤلف د. م. نزار النواف، الصادر عن دار القلم العربي.

(١) يقول الدكتور حسن نافعة في كتابه "الأمم المتحدة في نصف قرن" ص ٤٠٢: «هناك أسباب كثيرة جداً تجعل من قضية إصلاح الأمم المتحدة مسألة ضرورية إن لم تكن ملحة. ويمكن تصنيف هذه الأسباب العديدة إلى مجموعتين:

الأولى: تتعلق بمرور فترة زمنية طويلة على إبرام ميثاق الأمم المتحدة ظهرت في إنهاؤها - ومن خلال الممارسة - مواطن القوة والضعف فيه.

أما المجموعة الثانية من الأسباب: فتتعلق بدخول النظام العالمي مرحلة جديدة من مراحل تطوره، تحت ضغط الآثار الناجمة عن معدلات السرعة المتزايدة بشكل يفوق كل تصور في الإنجازات العلمية، وفي تطبيقاتها التكنولوجية وخاصة في مجالات الاتصال والنقل والمعلومات. ويستدعي هذا التطور تفكيراً جديداً، وإعادة النظر في المنطلقات، والأسس الفلسفية للتنظيم الدولي، فضلاً عن آليات ووسائل تحقيق أهدافه.

(٢) الأمم المتحدة: منظمة أنشئت بعد مشاورات جرت في أوروبا، منها: ميثاق الأطلنطي، وإعلان واشنطن، وإعلان موسكو، و مشاورات دامبرتون أوكس، و مشاورات بالتا. وأعلن عن ▶ تأسيسها في ٢٦ تموز ١٩٤٥ م في سان فرانسيسكو، بهدف ضمان السلام العالمي، ووضع

نهاية للحروب، وضمان حقوق الإنسان، بعد فشل عصبة الأمم من تحقيق ذلك. ووقعت ميثاق تأسيسها إحدى وخمسون دولة، ودخل الميثاق حيز التنفيذ في ٢٤ تشرين الأول ١٩٤٥م، واتخذت الأمم المتحدة من نيويورك مقراً لها عام ١٩٤٦م، ويتكون الميثاق من ديباجية قصيرة و١١١ مادة موزعة على تسعة عشر فصلاً، بالإضافة إلى النظام الأساسي لمحكمة العدل الدولية، والذي يتكون من ٧٠ مادة، تعدّ جزءاً لا يتجزأ من الميثاق.

وتألف الأمم المتحدة من ستة أجهزة رئيسية وهي:

أولاً: الجمعية العمومية، أي الهيئة الرئيسية التي تمثل فيها جميع الدول الأعضاء على نحو متساوٍ، حيث لكل دولة صوت واحد، مهمتها حفظ الأمن والسلم الدوليين.

وتجتمع الجمعية مرة واحدة سنوياً في دورة اعتيادية، في يوم الثلاثاء في الأسبوع الثالث من شهر أيلول، وتستمر ثلاثة أشهر. ويمكن للجمعية أن تعقد اجتماعات استثنائية، أو طارئة خلال ٢٤ ساعة، بناءً على طلب من مجلس الأمن، أو من أغلبية الدول الأعضاء، أو بطلب من عضو واحد تؤيده أغلبية الدول الأعضاء.

ويضم الجهاز الإداري للجمعية رئيساً وسبعة عشر نائباً، وتناقش القضايا المعروضة على جدول أعمالها من خلال سبع لجان نوعية - لجنة شؤون السياسة والأمن، ولجنة شؤون الاقتصاد والمال، ولجنة الشؤون الاجتماعية والثقافية والإنسانية، ولجنة الأراضي الخاصة للوصاية والأراضي التي تتمتع بالحكم الذاتي، ولجنة شؤون الإدارة والعدل، ولجنة الشؤون القانونية - وإلى جانب هذه اللجان توجد لجان أخرى، كاللجنة التوجيهية العامة، ولجنة فحص وثائق الاعتماد.

ثانياً: مجلس الأمن، وهو القوة الفعلية في إصدار القرارات الملزمة للردع، وحفظ السلام في العالم. ويتكون من خمسة عشر مقعداً منذ عام ١٩٦٣م، منها خمسة دائمة تشغلها: الصين، وفرنسا، والاتحاد السوفيتي - السابق -، وبريطانيا، وأمريكا. وتتمتع هذه الدول بحق النقض - الفيتو - والمقاعد العشرة الأخرى فهي غير دائمة، يتم شغلها بالانتخاب من جانب الجمعية العامة للأمم المتحدة دورياً لمدة سنتين، ولا يجوز إعادة انتخاب العضو الذي انتهت مدته على الفور. وتعيين الأعضاء يكون بلحاظين:

الأول: مدى مساهمة الدول الأعضاء في الأمم المتحدة في حفظ السلم والأمن الدوليين.

الثاني: عدالة التوزيع الجغرافي.

على أن يكون تحديد المقاعد كالتالي: خمسة لإفريقيا وآسيا، واثنين لأمريكا اللاتينية، وواحد لأوروبا الشرقية، واثنين لأوروبا الغربية والدول الأخرى.



ويخضع الأعضاء غير الدائمين لقاعدة التجديد النصفي سنوياً، حيث تقوم الجمعية العامة كل عام بانتخاب خمسة أعضاء. ويجتمع المجلس بناءً على طلب من أي دولة عضو، أو غير عضو في الأمم المتحدة، أو من الجمعية العامة، أو من الأمين العام للأمم المتحدة. وتكون رئاسة المجلس بالتناوب بين الدول الأعضاء كل شهر، وفقاً للترتيب الأبجدي للدول الأعضاء باللغة الإنجليزية. وكل الدول الأعضاء في مجلس الأمن ملزمة بموجب ميثاق الهيئة قبول مقررات مجلس الأمن وتنفيذها.

وللمجلس لجان، منها: لجنة أركان الحرب، وتتألف من رؤساء أركان الدول دائمة العضوية، أو من ينوب عنهم. ومهمتها المشورة والمعونة للمجلس، في المسائل المتعلقة بالاحتياجات العسكرية لحفظ السلم والأمن.

وكذلك للمجلس لجنة نزع السلاح، أو تخفيضه، أو تنظيمه.

ولجنة للإجراءات الجماعية، ولجنة لقبول الأعضاء الجدد، ولجنة للخبراء القانونيين.

ويقوم المجلس بالمهام الملقاة على عاتقه. للتفصيل عن تلك المهام راجع كتاب "الأمم المتحدة في نصف قرن" ص ١٠٣ - ١٠٥ للدكتور حسن نافعة.

ثالثاً: المجلس الاقتصادي والاجتماعي، ويخضع لسلطة الجمعية العمومية، ويتألف منذ عام ١٩٧١م من ٥٤ مقعداً، يتم شغلها بالانتخاب من جانب الجمعية العامة لمدة ثلاث سنوات، ويتم تجديد ثلث هذه المقاعد سنوياً على النحو التالي: ١٤ مقعداً للدول الإفريقية، و ١٢ مقعداً للدول الآسيوية، و ١٠ مقاعد لأمريكا اللاتينية، و ١٣ مقعداً لدول أوروبا الغربية، و ٦ مقاعد لأوروبا الشرقية.

ويتم اتخاذ القرارات بالأكثرية المطلقة، ويعقد المجلس دورتين كل عام، إحدهما في مدينة نيويورك، والثانية في مدينة جنيف. وتستغرق كل منهما حوالي شهر واحد. وللمجلس فروع ولجان وظيفية، إقليمية، دائمة، فنية.

رابعاً: مجلس الوصاية، ويقوم بمهمة الإشراف على إدارة الأقاليم التي خضعت لنظام الوصاية، والذي حل محل نظام الانتداب الذي ابتدعته عصبة الأمم، لتحديد الوضع الدولي للمستعمرات.

وأعضاء هذا المجلس هم الأعضاء الدائمون في مجلس الأمن. ويتألف المجلس من أعضاء يتولون أقاليم مشمولة بالوصاية، وأعضاء دائمين في مجلس الأمن، وعدد من الأعضاء تنتخبهم الجمعية العامة لإقامة التوازن العددي بين الأعضاء، الذين يتولون إدارة أقاليم مشمولة بالوصاية.

وأصبح هذا المجلس شبه عاطل عن العمل؛ لعدم وجود أقاليم مشمولة بالوصاية. ◀



خامساً: محكمة العدل الدولية، وهو الجهاز القضائي للأمم المتحدة، والتي تقوم بمهمة البت بالنزاعات بين الدول التي ترفع إليها، ومركزها لاهاي. وأعضاؤها هم خمسة عشر قاضياً، يحددون من قبل الجمعية العامة ومجلس الأمن، بعد أن يعدّ الأمين العام قائمة بالأسماء، تنتخبها الجمعية العامة، ومجلس الأمن بشكل مستقل عن الآخر، ولا يجوز انتخاب أكثر من قاضٍ من بلد واحد، وفترة انتخابهم تسع سنوات قابلة للتجديد، ويجوز عزل القاضي بقرار من محكمة العدل، ويجمع الآراء حول عدم صلاحيته لأسباب صحية أو عقلية. علماً بأن القاضي الذي ينتخب لا يجوز له أن يتولى الوظائف السياسية، أو الإدارية، أو يمتن مهنة أخرى. ولا يجوز له الفصل في أية قضية سبق له أن ارتبط بها، أو كانت له مصلحة فيها على أي نحو كان. ويقتصر حق التقاص على الدول وحدها، دون الأفراد والهيئات العامة، وحتى في هذا السياق، فلا تملك كل الدول هذا الحق؛ لأن ميثاق الأمم المتحدة لم يأخذ بفكرة الولاية الإلزامية للمحكمة. وتقوم المحكمة بعملية الفصل بين الدول بشروط:

- ١ - موافقة أطراف النزاع صراحة وكتابة على إحالة القضية للمحكمة.
- ٢ - حالة النص في اتفاقيات ثنائية أو متعددة الأطراف على اختصاص المحكمة، في الفصل في المنازعات في أي مسألة قانونية.

وقد أنشئت محكمة دولية لمحكمة الأشخاص المسؤولين عن المخالفات الجسيمة للقانون الدولي الإنساني في ٢٢ شباط ١٩٩٣م من قبل الأمم المتحدة.

سادساً: الأمانة العامة، وهو جهاز إداري يتولى كافة الأعمال الإدارية، بالنسبة لجميع فروع الأمم المتحدة، وأجهزتها الرئيسية والفرعية، عدا محكمة العدل الدولية. وتتألف من الأمين العام، وعدد من الموظفين الذين يقومون بإعداد كافة الوثائق والدراسات والبيانات والإحصاءات التي تطلبها الجمعية، وتنظيم الاجتماعات والمؤتمرات، والإشراف على حسن سير العمل فيها.

والأمين العام هو أعلى موظف في الجهاز الإداري، وهو المتحدث باسم الأمم المتحدة، ومدة إدارته خمس سنوات، ومن صلاحياته تنبيه مجلس الأمن إلى أية مسألة يرى أنها تهدد السلم والأمن الدوليين، وله الحق في الوساطة في المنازعات، ومتابعة تنفيذ قرارات مجلس الأمن أو الجمعية العامة، وهو المسؤول أمام مجلس الأمن عن إدارة عمليات الأمم المتحدة لحفظ السلام. ويُعيّن الأمين العام من قبل الجمعية العامة للأمم المتحدة، بنسبة تسعة من خمسة عشر، على أن تكون بين تلك الأصوات، أصوات الدول الخمس دائمة العضوية.

أما الموظفون فيقومون بإعداد مشروع برنامج وميزانية المنظمة، وإعداد التقرير السنوي لكافة ▶ أنشطة المنظمة. ويتولّى الأمين العام عرضها على الجمعية العامة.

الظلم. ففي المستقبل سوف لا يقتصر عمل الأمم المتحدة في الفصل بين الدول، كما هو الحال في الوقت الراهن - ولو نسبياً -، بل ستفصل أيضاً بين الحكومات وشعوبها.

فإذا تعرض شعب من الشعوب إلى الظلم والاعتداء من قبل الدولة التي تحكمه، فإن الفطرة وقوانين العدالة تفرض على الأمم المتحدة أن تبادر، وتسعى لتوقف العدوان الذي تعرض له هذا الشعب. فإن الإنسان بما هو إنسان محترم وله حقوقه، ويمكن للأمم المتحدة أن تتقصى الحقائق عبر إرسال مندوبين، أو محامين محايدين لمعرفة الأوضاع، وتشخيص المعتدي^(١).

وقد تولّى منصب الأمين العام للأمم المتحدة منذ تأسيسها: تريجفي لي، ثم داج همر شولد، ثم بوثانت، ثم كورت فالدهايم، ثم خافير بيريز دي كويلار، ثم بطرس غالي، ثم كوفي عنان، ثم بان كي مون الأمين العام الفعلي في هذا الوقت، أي وقت تحقيق الكتاب من قبل الناشر. هذا، وللأمم المتحدة ثلاثون منظمة متخصصة، منها: وكالة الطاقة الذرية، ووكالة الإغاثة والتشغيل، ومعهد التدريب والأبحاث، واليونسيف، والبرنامج الغذاء العالمي، وبرنامج البيئة، وغيرها.

(١) إضافة إلى الأمور التي طرحها الإمام المؤلف تُنتهك على النظام الفعلي للأمم المتحدة، هناك أمور أخرى ننوّه إلى بعضها على نحو الإجمال:

١ - إعادة النظر في نظام الأمم المتحدة واختصاصاتها، على ضوء التجارب التي خاضتها لتجنب البيروقراطية، والتضخم الإداري، والأجهزة الثانوية الفرعية، ولتجنب عدم التوازن بين سلطات الأجهزة والفروع، خصوصاً بين الجمعية العامة ومجلس الأمن ومحكمة العدل الدولية.

٢ - تعديل نصوص ميثاق الأمم المتحدة، لإزالة أي تعارض، أو عدم اتساق بين الأحكام ومقتضيات الواقع.

٣ - توحيد أسلوب معالجة الأزمات، دون اتخاذ مواقف متفاوتة بعضها جدي، والآخر متفرج، وثالث التخويل للدول العظمى.

٤ - التنسيق بين دور الأمم المتحدة و ضمانات الأمن الجماعي المنصوص عليها، دون ◀▶ الاقتصار على التسوية السلمية للأزمات، أو الحيلولة دون تصاعدها، أو الحد من انتشارها.

٥ - السعي لإيجاد مصادر دخل ثابتة ومستقلة ومتعددة، حتى لا يخل توازنها، أو تعرض مصداقيتها للتساؤل، أو الانحياز لمواقف الدول المانحة. علماً أن أمريكا تدفع ٢٥٪ من ميزانية الأمم المتحدة، وتليها اليابان ١٢٫٤٥٪، وألمانيا ٨٫٩٣٪، وروسيا ٧٫٦١٪، وفرنسا ٦٪، وبريطانيا ٥٫٢٪، وإيطاليا ٤٫٢٩٪.

هذا، وهناك ثلاثة نظم لتمويل الأمم المتحدة:

الأول: تمويل الميزانية العادية، ويتم عن طريق مساهمات إلزامية على شكل حصص تتراوح بين ٢٥٪ كحد أقصى و ٠٫١٪ كحد أدنى.

والثاني: تمويل نفقات قوات حفظ السلام، ويتم عبر المساهمات الإلزامية ولكن على شكل حصص تختلف عن الحصص، التي تحدد على أساسها مساهمات الدول في الميزانية العادية. والثالث: تمويل خطط وبرامج التنمية والمساعدات الإنسانية، ويتم عبر المساهمات الطوعية. للمزيد راجع كتاب «الأمم المتحدة في نصف قرن» للدكتور حسن نافعة.

٦ - العمل وفق آليات جديدة بعيدة عن آليات الحرب الباردة التي انقضى وقتها منذ عام ١٩٩٠م.

٧ - تفعيل المادة ٤٣ القاضية بتقوية أركان الحرب، وأن تضع دول الأعضاء تحت تصرف الأمم المتحدة القوات المسلحة.

٨ - إقناع الدول التي تمنع من إجراء أي تعديل جوهري على الميثاق.

٩ - إيجاد آلية تضمن إشراف محكمة العدل الدولية على مجلس الأمن؛ لضمان مشروعية أعمال المجلس وفقاً لنصوص الميثاق، وقواعد القانون الدولي، ومبادئ العدالة.

١٠ - إيجاد آلية للدفاع عن سجناء الرأي والعقيدة في العالم، وعدم مصادرة أموال الشعوب.

١١ - محاكمة حكومات الدول التي تسبب أضراراً لشعوبها، دون محاكمة الشعوب بفرض المقاطعة والحصار عليها.

١٢ - وضع آلية لعدم اعتراف الأمم المتحدة بالانقلابات العسكرية التي تحدث في بلدان العالم، وبعدم الاعتراف بحكومات الدول التي لا تأتي عبر الانتخابات الحرة والنزيهة، وأن تسحب عضوية حكومات الدول التي تظلم شعوبها.

١٣ - أن تسعى الأمم المتحدة لتشجيع الدول على وضع قانون أساسي لكل بلد، يضمن حقوق شعبه.

١٤ - وضع آلية تضمن حقوق الشعوب والدول، على الاستفادة من التقدم والتطور العلمي، وحققها في امتلاك التكنولوجيا والزراعة والصناعة والتجارة المتطورة، وألا تختكر الدول ◀▶ الكبرى هذه الأمور.

١٥ - وضع آلية لكبح جماح الدول الكبرى في السيطرة على مقدرات الشعوب، ونهب ثروتها، وتحويل تلك الشعوب إلى مستهلكة لمنتجات الدول الكبرى وثقافتها وعاداتها.

١٦ - استخدام قرارات تستهدف ممارسة الضغوط لتطبيق القرارات وتنفيذها. هذا، وقد قدم الأمين العام للأمم المتحدة السابق بطرس غالي عام ١٩٩٢م، مقترحات لإصلاح الأمم المتحدة.

وخلاصتها: إن المحافظة على السلم والأمن الدوليين يتطلب:

أ - الدبلوماسية الوقائية: أي اتخاذ تدابير لبناء ثقة عبر تبادل المعلومات، والعمل على تقليل المخاطر عبر إنشاء مراكز للدراسة، وتحليل سبل تقليل المخاطر في الأقاليم المتوترة، وتقصي الحقائق، والإنذار المبكر، والنشر الوقائي للقوات الدولية للأزمات الداخلية الدولية، وإنشاء مناطق منزوعة السلاح.

ب - صنع السلم والتوفيق بين الأطراف المتنازعة، عن طريق الوسائل السلمية، واتخاذ الإجراءات اللازمة لقمع العدوان أو رده، عبر قبول محكمة العدل الدولية بولايتها القضائية على جميع الدول، وحشد الإمكانيات لتحسين الظروف التي أدت إلى اندلاع النزاع، وعبر إنشاء وحدات فرض السلم عبر متطوعين توضع بصفة دائمة تحت طلب مجلس الأمن.

ج - حفظ السلم عبر نشر القوات العسكرية والشرطة والمدنيين، بهدف حفظ السلم ومنع تجدد النزاع وتشمل: حماية قوافل الإغاثة، والإشراف على الانتخابات، وإدارة الدولة مؤقتاً، ومراقبة وقف إطلاق النار، والفصل بين المتحاربين.

د - بناء السلم بعد انتهاء الصراع، ويتضمن الترتيبات التي يتعين على الأمم المتحدة أن تقوم بها، لدعم الجهود الرامية إلى تثبيت التسوية، وضمان عدم النكوص والارتداد.

١٣ - إعادة صياغة العلاقات بين الأمم المتحدة والمنظمات الدولية والإقليمية، وتوفيق الأدوار في مجال حفظ السلم والأمن الدوليين.

١٤ - إقامة مؤسسات عالمية تعالج كافة القضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية، استناداً إلى قواعد عامة مقبولة ومتفق عليها.

١٥ - تغيير المعايير للانتخاب عبر تمثيل متوازن للمجتمع الدولي، بأقاليمه الجغرافية، وثقافته وحضاراته.

علماء أن للأمم المتحدة قوات لحفظ السلام يبلغ عددها ١٠٠ ألف شخص، يخضعون لأوامر الأمين العام للأمم المتحدة، وهي منتشرة في آسيا وأوروبا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية، وتضم مراقبين عسكريين لمراقبة وقف إطلاق النار، ومقاتلين لحماية مناطق آمنة، أو لحماية ◀ قوافل إغاثة إنسانية، أو لحماية وجود الأمم المتحدة نفسها، وخبراء مفرقات لإزالة

٨: محورية الإنسان

يجب أن يجعل الإنسان هو المحور، قال الله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾^(١)، وفي المستقبل سيكون الإنسان هو المحور الرئيسي في الكون، وليست المادة أو القوانين الوضعية، كما قامت عليها الحضارة الغربية.

وستصبح مسألة حقوق الإنسان من أهم القضايا في الكرة الأرضية، فتضطر الحكومات إلى الإذعان والاستجابة لما بينه الإسلام في حقوق الإنسان، وللصحيح من مقررات الإعلان العالمي لحقوق الإنسان^(٢)، الذي سيتحول من

الألغام، وخبراء عسكريين ومدنيين من نوع خاص لجمع وتخزين أسلحة الفصائل المتصارعة، وتسريح الجنود وإعادة تأهيلهم للوظائف المدنية، وضباط الشرطة ورجال قانون، وخبراء في حقوق الإنسان للإشراف على الانتخابات، أو للتحقيق في انتهاكات حقوق الإنسان أو ما أشبه. ومنذ عام ١٩٦٥م وحتى عام ١٩٨٨م، قامت الأمم المتحدة بثلاث عمليات لحفظ السلام في الصراع العربي الإسرائيلي.

ومنذ عام ١٩٨٨م وحتى عام ١٩٩٠م، قامت بخمس عمليات لحفظ السلام: الأزمة الأفغانية، الحرب العراقية - الإيرانية، الأزمة الأنجولية، الأزمة الناميبية، وأزمة دول وسط أمريكا اللاتينية. ومنذ عام ١٩٩٠م وحتى عام ١٩٩٤م، قامت بسبع عشرة عملية لحفظ السلام تتباين أحجامها ومهامها، كما تتباين حظها من النجاح والفشل، منها: مراقبة الحدود العراقية - الكويتية، وفي السلفادور، وفي أوغندا، ورواندا، وجورجيا، وليبيريا، وطاجكستان، وعمليات في الموزمبيق، والصومال، وما أشبه.

(١) سورة الإسراء: ٧٠.

(٢) أقرت الجمعية العامة للأمم المتحدة الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، في العاشر من كانون الأول عام ١٩٤٨م. وقد جاء في ديباجته: «لما كان الاعتراف بالكرامة المتأصلة في جميع أعضاء الأسرة البشرية، وبحقوقهم المتساوية الثابتة، هو أساس الحرية والعدل والسلام في العالم. ولما كان تناسي حقوق الإنسان، وازدراؤها قد أفضيا إلى أعمال همجية أذت الضمير الإنساني، وكان غاية ما يرنو إليه عامة البشر، انبثاق عالم يتمتع فيه الفرد بحرية القول والعقيدة، ويتحرر من الفرع والفاقة. ولما كان من الضروري أن يتولى القانون حماية حقوق الإنسان؛ لكيلا يضطر المرء آخر الأمر إلى التمرد على الاستبداد والظلم. ولما كانت شعوب الأمم المتحدة قد أكدت في الميثاق من جديد، إيمانها بحقوق الإنسان الأساسية، وبكرامة الفرد وقدره، وبما للرجال

والنساء من حقوق متساوية، وحزمت أمرها على أن تدفع بالرقمي الاجتماعي قدماً، وأن ترفع مستوى الحياة في جو من الحرية أفسح. ولما كانت الدول الأعضاء قد تعهدت بالتعاون مع الأمم المتحدة، على ضمان أطراد مراعاة حقوق الإنسان، والحريات الأساسية واحترامها. ولما كان للإدراك العام لهذه الحقوق والحريات، الأهمية الكبرى للوفاء التام بهذا التعهد، فإن الجمعية العامة تنادي بهذا الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، على أنه المستوى المشترك الذي ينبغي أن تستهدفه كافة الشعوب والأمم، حتى يسعى كل فرد وهيئة في المجتمع، واضعين على الدوام هذا الإعلان نصب أعينهم، إلى توطيد احترام هذه الحقوق والحريات، عن طريق التعليم والتربية، واتخاذ إجراءات مطردة قومية وعالمية، لضمان الاعتراف لها ومراعاتها، بصورة عالمية فعالة بين الدول الأعضاء ذاتها، وشعوب البقاع الخاضعة لسلطاتها».

ويتألف هذا الإعلان من ثلاثين مادة. فالمادة الأولى والثانية تصان على أن جميع الناس يولدون أحراراً، متساوين في الكرامة، والحقوق والحريات. والمادة الثالثة إلى الواحد والعشرين تشمل الحقوق السياسية والمدنية: كحق الحياة، والحرية، والسلامة الشخصية، وعدم التعرض للتعذيب، وحق الإنسان في الحماية القانونية، وتحريم الاعتداء على الحياة الخاصة للإنسان، وحرمة مسكنه وأسرته ورسائله، وحرية سفره، وحرية الفكر والضمير والدين والرأي والتعبير، وإنشاء الجمعيات والأحزاب. والمادة الثانية والعشرين إلى السابعة والعشرين تتضمن الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية: كحق الضمان الاجتماعي، والعمل، والرعاية الصحية، والتعليم، والمشاركة في الحياة الثقافية. والمادة الثامنة والعشرين إلى الثلاثين تضمن أن لكل إنسان الحق في أن يتمتع بنظام اجتماعي ودولي، تتوافر فيه هذه الحقوق والحريات توافراً تاماً. وتشير في الوقت نفسه إلى الواجبات والالتزامات التي تقع على عاتق الفرد تجاه المجتمع الذي يعيش فيه. وقد ذكر نصوص هذه المواد الدكتور حسن صعب في كتابه "علم السياسة" ص ٧٦١ إلى ٧٦٨، فراجع.

هذا وقد عقد في فيينا بين الفترة ١٤ - ٢٥ تموز عام ١٩٩٣م مؤتمر لحقوق الإنسان، وقد استغرق الإعداد له ثلاث سنوات، وسبقته ثلاثة اجتماعات إقليمية تحضيرية، وحضره ممثلون عن ١٧٢ دولة، إلى جانب مراقبين عن ٩٥ منظمة وهيئة ومؤسسة وطنية لحقوق الإنسان، وعن ٨٤٠ منظمة غير حكومية.

وعين أمين عام مساعد يتبع الأمين العام للأمم المتحدة مباشرة؛ ليرأس مركز حقوق الإنسان في جنيف، وكان ذلك في الأول من كانون الثاني ١٩٩٣م. ◀▶

وقد أنشأت الأمم المتحدة محاكم دولية، لمحاكمة مجرمي الحرب، كما قررت إنشاء لجنة من

مجرد توصية إلى قانون دولي فيه صفة الإلزام. وهذا لا يتم إلا بتكثيف الإشراف العالمي، وكثرة المؤسسات المختصة بحقوق الإنسان، وسعة صلاحياتها، مضافاً إلى استقلاليتها^(١).

٩: لا إجبار ولا قسر

يحرم الإسلام القسر والجبر، قال الله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾^(٢)، ومع تنامي وعي الناس سوف لا يكون مجال لأيّ عمل إجباري أو قسري، كالذي فعله ستالين^(٣) في الاتحاد السوفيتي السابق عندما أجبر الناس على العمل في المزارع الجماعية، وكما فعل ذلك ماو تسي تونغ^(٤) في الصين الشعبية، ومثلما

الخبراء المحايدون، مهمتها جمع الأدلة، وتصنيفها طبقاً لمكان الجريمة ونوعها، ومقترفيها والشهود عليها.

(١) ويجب وضع آليات دولية لحماية الحقوق، كما يجب توفير الحماية الدولية ضد أي انتهاك للحقوق، شريطة أن تتم استناداً إلى معايير موحدة، ولدوافع وأغراض نبيلة.
(٢) سورة البقرة: ٢٥٦.

(٣) جوزيف ستالين: وُلد سنة ١٨٧٩م، ومات سنة ١٩٥٣م، أصبح الأمين العام للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفيتي - السابق - سنة ١٩٢٤م، واستمر إلى سنة ١٩٥٣م، وأصبح رئيساً للجمهورية بين الفترة ١٩٤١-١٩٥٣م. اتّسم حكمه بالاستبداد والديكتاتورية، وقد قضى على خصومه في محاكم صورية، وقد قتل من الشعب أكثر من عشرين مليوناً؛ لأجل تحويل النظام الزراعي التقليدي إلى المزارع الجماعية أو المزارع الحكومية. وقد سبب هذا التحويل سحق الطبقة الوسطى في المجتمع مما أدى إلى خفض الإنتاج الزراعي، ونقص الملايين من رؤوس الماشية، وإحداث مجاعات في البلاد وعلى الخصوص في أوكرانيا وشمال القفقاز.

(٤) ماو تسي تونغ: رجل دولة صيني، وأحد أبرز الوجوه السياسية التي عرفها الصينيون في القرن العشرين. وُلد في شاوشان في عام (١٨٩٣م)، عمل مع والده في حقول الزراعة منذ نعومة أظفاره. استطاع أن يوفق بين العمل والدراسة، وبعد إكماله التعليم الثانوي التحق ◀ بالجيش الثوري، مؤيداً قضية الجمهورية ورئيسها صن يات صن، ولكنه لم يبرح أن سُرح من الجيش عام (١٩١٢م). التحق بدار المعلمين العليا، وعرف في الأوساط الطلابية بنشاطه

تفعله أغلب الدول في عالم اليوم، حيث تفرض تكاليف إجبارية على الناس كالعسكرية وما أشبه ذلك.

فسيجد الإنسان في المستقبل إرادته، وحرية وأنه ليس على استعداد للتنازل عنها. وهذا لا يعني التضارب بين إرادة الناس وإرادة الدولة، بل سيشهد المستقبل انسجاماً بين الإرادتين.

فمثلاً عندما تكون هناك حاجة للانخراط في سلك الجندية، فيمكن الجمع

ومشاركته في العمل الطلابي الثوري، وكان قد أسس جمعية أطلق عليها اسم (جمعية المواطنين الجدد). اعتنق الماركسية، وشارك في حركة الشيبة المناهضة للإمبريالية، وقد أثرت فيه ثلاثة مؤلفات وهي: "البيان الشيوعي" لماركس، و"الصراع الطبقي"، و"تاريخ الاشتراكية" كلير كوب. فبنى ماو تسي الماركسية نهائياً منهجاً له. في عام (١٩٢١م) انعقد المؤتمر الأول للحزب الشيوعي الصيني، وانتخب ماو أميناً للمؤتمر، تولى إدارة إضراب عمال المناجم في فنان يوان، وقد انتهج حزبه سياسة الانفتاح على القوى الثورية قاطبة. ترأس اتحاد الفلاحين في عموم الصين. وبعد هزيمة ثورة (١٩٢٧م)، بادر ماو إلى بناء جيش ثوري، واعتمد اعتماداً كبيراً على عمال المناجم والفلاحين وبعض القوات الثائرة. نظم انتفاضة منيت بالفشل، كلفته هذه الهزيمة على الصعيد الشخصي إقصاءه من الحزب، وتجريده من مسؤولياته كلها، وفراره إلى الجبال. في عام (١٩٣٥م) تسلم ماو زمام قيادة الحزب مرة أخرى، وترأس المكتب السياسي، في عام (١٩٤٩م) أعلن قيام جمهورية الصين الشعبية، وأصبح رئيساً للحكومة، ورئيساً للحزب، ورئيساً للجمهورية، ورفض أن يتبنى المثل السوفيتي في الصين، مفجراً نزاعاً بينه وبين الروس. وفي عام (١٩٦٦م) أطلق ماو تسي تونغ شرارة الثورة النقاوية الكبرى في الصين، وأطاح بالعديد من القبايين، معتمداً على الجيش والحرس الأحمر. وأما "الكتاب الأحمر" الذي جمع أهم آراء ماو ومواقفه، فقد غدا في تلك الحقبة المضطربة من تاريخ الصين إنجيلاً. توفي ماو تسي تونغ في بكين عام (١٩٧٦م). ترك مؤلفات عديدة منها: "الكتاب الأحمر" ترجم ونشر بـ ٤٠٠ لغة خلال فترة غير طويلة، و"تحليل طبقات المجتمع الصيني" و"القضايا الإستراتيجية للحرب الثورية في الصين" و"الديمقراطية الجديدة" و"في الحرب المستمرة" و"في التناقض" و"حول التقارير العشرة الكبرى" وغيرها. رشح لجائزة نوبل للآداب عام (١٩٧٤م). انظر موسوعة السياسة: ج ٥ ص ٦٩٨ حرف الميم.

بين إرادة الاختيار لدى الإنسان، وبين حاجات الدولة بفتح أماكن لتسجيل أسماء من يرغب في التطوع في سلك الجندية، مع جعل مزايا ورواتب جيدة. فتكون الجندية على نحو الاختيار، كما بالإمكان أن تجعل الجندية أمراً على هامش حياة الأفراد، وذلك بأن تقوم الدولة بفتح أماكن للتدريب في كل بلد، فيذهب إليها الأفراد لتعلم الدفاع والسلاح، ثم يعودون إلى مزاولة أنشطتهم المختلفة.

فإذا توجه الخطر إلى الأمة، فإن كل من مارس التدريب اللازم سيقوم بحمل السلاح، والتوجه إلى الجبهات لأداء وظيفة الجهاد.

١٠: إلغاء الضرائب

لا ضرائب في الإسلام إلا ما قرره الشرع، وسيتجه العالم نحو إلغاء الضرائب، أو لإقلالها إلى حد لا يعتدُّ به، ولا يكون ثقلًا على الفرد. إنَّ قسماً من ضرائب اليوم تصرف في أمور خطيرة على البشرية كالأسلحة المتطورة، كما أن قسماً منها يسرقها المسؤولون، أو الشركات الكبرى المتعاقدة مع الدول، وقسماً منها تصرف في دوائر لا حاجة إليها أبداً، فإذا ألغى ذلك كله، قلت الحاجة للضرائب بشكل كبير جداً.

كما أن قسماً من التكاليف ليس أمراً صحيحاً بشكله العام الحالي، مثل التقاعد على ما هو الموجود في زماننا، فإن منح التقاعد لا يخلو من أمرين: إما أن يكون التقاعد متمكناً وميسوراً، أو يشتغل بأعمال أخرى، ففي هذه الحالات يُترك وشأنه، ولا ضرورة لإعطائه شيئاً، إلا لو وجد فائض في بيت المال ووارد الدولة، فإنه يقسم على جميع الناس. وإن كان الشخص معسراً، فيعطى من بيت المال سواء كان متقاعداً أم لا، وبيت المال من الضروريات في الاقتصاد الإسلامي.

وفي الإسلام تنعدم الضرائب إلا في أربع: الخمس، والزكاة، والجزية، والخراج، وفي غيرها لا يجوز أخذ شيء من الناس.

١١: إقامة المؤسسات

يلزم إقامة مختلف المؤسسات البناءة في سبيل تقدّم الإنسان. وسيزداد في المستقبل عدد المؤسسات بمختلف أنواعها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والتربوية وغيرها؛ لأنّ البشرية ماضية نحو المزيد من التنظيم والترتيب. وهذا ما تقرّه الفطرة البشرية والعقل الإنساني، اللذان يدعوان إلى الاجتماع والتعاون والازدهار والتطور؛ لأنّ بدونهما لا يستطيع الإنسان من تحقيق أهدافه، وقد ورد في الحديث الشريف: «يد الله مع الجماعة»^(١).

وتفتقر الكثير من دول العالم إلى المؤسسات، وحتى بعض الدول المتحضرة في الغرب تعاني هي أيضاً من نقص في المؤسسات الحقيقية، بسبب المعوقات القانونية التي تحول دون تحقق هذه المؤسسات.

إنّ وجود الرغبة الاجتماعية والروح الجماعية وتحسس أهمية التعاون، هي المقدمات الأساسية لقيام المؤسسات.

أما الروح الفردية وعدم الرغبة في التعاون، فإنها عوامل تنسف هذه المؤسسات، ولما كانت المسيرة البشرية تسير قدماً نحو التعاون والألفة والتكافل الاجتماعي، فإنّ ثمار هذه المسيرة ستكون بإذن الله تعالى قيام المؤسسات النافعة بكافة أصنافها.

(١) نهج البلاغة، الخطب: رقم (١٢٧) من كلامه ﷺ وفيه يبين بعض أحكام الدين، ويكشف للخوارج الشبهة، وينقض حكم الحكّمين.

١٢: الأمة الواحدة وإزالة الحدود الجغرافية

يلزم تطبيق قانون الأمة الواحدة، وإزالة الحدود المصطنعة بين البلاد. والظاهر أن في المستقبل ستكون شعوب الأرض ماضية نحو التكتل والوحدة، فالصين أصبحت تضم أكثر من مليار من البشر، والهند تضم قرابة مليار من البشر المتعاشين رغم تنوع أديانها واقتصادياتها ومناخها ولغاتها وأخلاقياتها.

وأما أوروبا فقد تجاوزت قروناً من الصراع والنزاع، ووصلت اليوم إلى مستوى عالٍ من التعاون والتكاتف، فأزالت الحدود فيما بينها، وجعلت من عملتها عملة واحدة، وبقي أن تقرر انتخاب رئيسٍ واحدٍ أو شورى الرئاسة لتقود القارة الأوروبية، بدلاً من عشرات الرؤساء الذين يحكمونها فرادى.

والأمة الإسلامية لا تعيش في جزيرة منفصلة عن العالم، فإنّ قانون التوحّد سيشملها أيضاً كما شمل بقية الشعوب، سيما وأنّ المحفزات لقيام التوحّد في البلاد الإسلامية هي أقوى مما كانت تمتلكها أوروبا والصين والهند.

فالشعوب الإسلامية تتطلع بشوق نحو الوحدة، بعد أن أصبحت في فترة من الزمن حقل تجارب لجميع المبادئ والأفكار الهدامة والتفرقة والتمزق.

إن القرآن الكريم يأمر بالوحدة: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُون﴾^(١).

وإن الإسلام قد بدأ بأمةٍ واحدة^(٢)، وامتد تاريخ هذه الأمة كأمة واحدة،

(١) سورة الأنبياء: ٩٢.

(٢) عندما صعد الرسول الأكرم ﷺ بالدعوة الإسلامية، وأقام حكومة إسلامية في المدينة المنورة، آخى بين الأنصار والمهاجرين، وقد ذكر الإمام المؤلف ﷺ نماذج من ذلك في كتابه: "ولأول مرة في تاريخ العالم"، و"حكومة الرسول ﷺ والإمام أمير المؤمنين ع".

وذلك بنفس قوة الاندفاع التي أوجدها الرسول الأعظم ﷺ، وأهل بيته الأطهار ﷺ، والخلص من أصحابه، وبقوة ضغط الأئمة المعصومين ﷺ على الحكومات رغم عدائها لها.

حتى زمن هارون العباسي^(١)، حيث سبب تراكم فساد وإفساد الحكام السابقين، إضافة إلى ما أضافه هو من فساد وإفساد على ما كان، سبب كل ذلك تمزق الأمة وتجزئتها.

ثم بقي هذا التمزق وكثر حتى وصل الأمر إلى زماننا، حيث تردي الأوضاع الداخلية، وتدخل القوى الأجنبية سبباً تفتت المسلمين إلى اثنتين وخمسين دولة أو أكثر، تعاني كل دولة منها من المشاكل الشيء الكثير^(٢).

وحيث إن المستقبل للعلم والعقلانية، فإن الأمة سترجع إلى تماسكها الذي كانت عليه، وستقرر في يوم من الأيام إزالة الحدود الجغرافية المصطنعة من بين البلاد الإسلامية.

١٣: الأخوة الإسلامية

يلزم تطبيق قانون الأخوة الإسلامية، فإن المصائر المشتركة والمعاناة الكبيرة ستجمع الأمة الإسلامية، وستجعل من كل اثنين كياناً واحداً، فالأخوة

(١) خامس خلفاء بني العباس، والبالغ عددهم ٣٧ خليفة. وُلد سنة (١٤٨هـ / ٧٦٥م)، ومات في جمادى الأولى سنة (١٩٣هـ / ٨٠٩م) في قرية سناباد، عن عمر يناهز ٤٧ سنة. حكم سنة (١٧٠هـ / ٧٨٦م)، وامتد حكمه ٢٣ سنة وشهراً وتسعة عشر يوماً. اتسم حكمه بالظلم والاستبداد، وعلى الخصوص لشيعه أهل البيت وأئمتهم ﷺ، فقد قتل الإمام الكاظم عليه السلام بعد أن سجنه عشر مرات في البصرة وبغداد، وكذا قتل الطالبين. كان هارون يسعى دائماً إلى طمس المذهب الشيعي، والآثار الإسلامية، وعلى الخصوص العتبات المقدسة في مدينة كربلاء.

(٢) عن كيفية تجزئة البلاد الإسلامية راجع كتاب: "سبز آباد ورجال الدولة البهية" للمؤلفة مي محمد الخليفة، وكتاب "تجزئة البلاد العربية".

الإسلامية ليست شعاراً فقط، بل ستجد طريقها في المستقبل للتطبيق؛ لأن الواقع يفرض عليها ذلك.

ومعنى الأخوة أن لكل مسلم ما للمسلم الآخر، فلا يكون أحدهم أجنبياً في أي بلد من البلاد الإسلامية، فلكل واحد منهم وفي أي مكان أراد، أن يقيم ويسافر، ويعمل ويؤسس، ويتزوج وينجب، ويتملك الأراضي ويحييها، ويشترى ويبيع، إلى غيرها من سائر الشؤون.

وستنتهي بإذن الله تعالى العوامل المفرقة للأمة الإسلامية والمحبطة لروح الأخوة، كاللغة واللون والقومية والعرقية...، بمعنى أنها ستكون عوامل تكامل لا عوامل تفاضل وتمايز.

وسترجع كذلك الأخوة الإنسانية، بعد أن تذوب عوامل التفرقة، وتنتهي وإلى الأبد روح الطبقية، فالناس في نظر القرآن إخوان في الإنسانية:

﴿وَالْيَٰئِىٓ أَعَادِ أَخَاهُمْ هُودًا﴾^(١). ﴿وَإِخْوَانُ تُوْطِ﴾^(٢).

ويقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «الناس صنفان: إما أخ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق»^(٣).

وفي الشعر المنسوب إليه عليه السلام:

الناس من جهة التمثال أكفاء^(٤) أبوهم آدم والأم حواء^(٥)

(١) سورة الأعراف: ٦٥، سورة هود: ٥٠.

(٢) سورة ق: ١٣.

(٣) نهج البلاغة، الرسائل: رقم (٥٣) ومن كتاب له عليه السلام كتبه للأشتر النخعي لما ولاه على مصر وأعمالها.

(٤) أكفاء: جمع كفاء، وهو المثل والنظير، وكذا يقال للمساوي. انظر لسان العرب: ج ١ ص ١٣٩ مادة كفاء.

(٥) ديوان الإمام علي عليه السلام: ص ٢٤ الناس من جهة التمثال أكفاء.

وورد أن رسول الله ﷺ قام لأجل مرور جنازة يهودي^(١).

وقد قال سبحانه وتعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُواكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُواكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾^(٢).

وفي أحاديث متعددة، ورد احترام النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام لغير المسلمين، كما في مشايعة أمير المؤمنين عليه السلام لذلك اليهودي الذي التقى به في طريق الكوفة، حيث كان يريد الإمام عليه السلام الكوفة واليهودي الحيرة^(٣)، إلى غير ذلك من الأمثلة والشواهد التاريخية.

١٤: الحريات الإسلامية

يلزم تطبيق قانون الحريات الإسلامية. فإن الرؤية المستقبلية تكشف عن أنه ستعود كافة الحريات الإسلامية كاملة غير منقوصة في المستقبل المنظور بإذن الله تعالى؛ ذلك لأن الطبيعة الإنسانية توافقة إلى الحرية، راغبة في تحطيم القيود وإزالة مظاهر الكبت، وهذا أمر فطري وعقلي وعقلاني.

وتشمل الحريات كافة مناحي الحياة وأنشطتها المشروعة، كحرية الزراعة والصناعة والتجارة والعمارة والسفر والإقامة والعمل والتأسيس...

فكل المباحات والحيازات الشرعية - كحيازة الأرض وما فيها - تشملها

(١) بحار الأنوار: ج ٧٨ ص ٢٧٣ ب ٧ ضمن ح ٣٢. وفيه: قام النبي ﷺ وأصحابه لجنازة يهودي حتى توارت، وفي رواية قيل: إنه يهودي؟! فقال: «أليست نفساً».

(٢) سورة الممتحنة: ٨.

(٣) راجع الكافي: ج ٢ ص ٦٧٠ باب حسن الصحة وحق الصاحب في السفر ح ٥. وقد أشار الإمام المؤلف عليه السلام إلى تعامل الرسول والأئمة المعصومين عليهم السلام مع غير المسلمين في العديد من كتبه، منها: "الوصول إلى حكومة واحدة إسلامية"، "الحرية الإسلامية"، و"ولأول مرة في تاريخ العالم".

الحريات ، فالإنسان حرٌّ في كل شيء أراد بشرطين أساسيين :
الشرط الأول : أن لا تكون حرّيته تشكل ضرراً على الآخرين ، سواء كان
ضرراً بالغاً أم غير بالغ .

نعم ، يحق للغير الإجازة إذا لم يكن عليه ضرر بالغ ، وإلا فالضرر البالغ
محرم لا يجوز للإنسان أن يجيزه أيضاً .

ويدخل تحت هذا العنوان الإضرار بالأجيال ، فإن الله سبحانه وتعالى لم
يودع في الكون هذه الودائع الكبيرة لجيل واحد أو لجيلين أو ثلاثة ، بل لأجيال
ممتدة ، كالنفط المخزون في باطن الأرض ، فهو ليس خاصاً بجيل دون جيل ،
فلسنا أحراراً في استخراج ما نريد من النفط إلا بقدر الحاجة المتعارف عليها .

وليس من الحاجة الإسراف في التجميل ، أو شراء هذا المخزون الهائل من
الأسلحة الفتاكة ؛ لأن ذلك - مضافاً إلى قبحة الذاتى - سيسبب حرجاً وضيقاً
للأجيال القادمة التي ستأتي في يوم ينضب فيه النفط .

الشرط الثاني : أن لا يكون العمل محرماً ، مثل المتاجرة بالخمر ولحم الخنزير
والجنس أو ما أشبه ذلك ، وقد تناولنا موضوع الحريات بشكل مستقل في "الفقه :
كتاب الحريات" (١) .

فبناءً على هذا لا يجوز منع الناس من هذه الحريات ، أو أخذ الضرائب ،
ووضع القيود عليها .

(١) يقع الكتاب في (٣٢٨) صفحة ، صدر عام ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م عن مؤسسة الفكر الإسلامي -

بيروت / لبنان ، وأعيد طبعه في الكويت عام ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م من قبل هيئة محمد الأمين عليه السلام .

١٥: العدالة

يجب تطبيق قانون العدالة الشاملة بكل أبعادها السياسية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها.

إن الطبيعة البشرية تبحث عن العدالة، والعالم سيسوده العدل في يومٍ من الأيام، والعدالة هي إعطاء كل ذي حقٍ حقه، وليست العدالة بمعنى المساواة. إذ ربما تكون المساواة ظلماً، فإنه من الظلم مساواة طعام إنسان كبير مع طعام إنسان صغير، أو المساواة بين عائلة عدد أفرادها خمسة مع عائلة ذات ثلاثة أفراد.

والعدالة مطلوبة في كل ميادين الحياة وليس في القضاء وحده، بل الاقتصاد والاجتماع والتربية والسياسة والنظام العسكري والحياة الثقافية وغيرها. فلا بد أن تقود هذه الأنشطة روح عالية هي العدالة، وهي دعوة العقل والعقلاء، وهي نداء الفطرة السليمة التي لا بد منها.

١٦: الإنصاف

يلزم تطبيق قانون الإنصاف بكل دقة وأمانة، والإنصاف غير العدل، إذ ربما تكون المعاملة صحيحة لكنها خلاف الإنصاف.

مثلاً إذا اضطرَّ إنسان من أجل علاج ابنه إلى بيع داره، فاستغل المشتري اضطراره للبيع، واشترى الدار بأقل من قيمتها. فالبيع هنا صحيح - ولم يفعل المشتري حراماً إن لم يكن فيه إجحاف بالغ - لكنه بعيد عن الإنصاف. وقد ورد في الروايات: «إنصاف الناس من نفسك»^(١).

(١) وهذه جملة من تلك الروايات:

١ - عن علي بن الحسين عليهما السلام، قال: «كان رسول الله ﷺ يقول في آخر خطبته: طوبى لمن طاب خلقه، وطهرت سجيته، وصلحت سريره، وحسنت علانيته، وأنفق الفضل من ◀

► ماله، وأمسك الفضل من قوله، وأنصف الناس من نفسه» الكافي: ج ٢ ص ١٤٤ باب الإنصاف والعدل ح. ١.

٢ - وقال الصادق عليه السلام: «من يضمن لي أربعة بأربعة آيات في الجنة: أنفق ولا تخف فقراً، وأنصف الناس من نفسك، وأفش السلام في العالم، واترك المرء وإن كنت محقاً» من لا يحضره الفقيه: ج ٢ ص ٦٢ باب فضل السخاء والجود ح. ١٧١١

٣ - علي بن الحسين عن أبيه عن علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: قال رسول الله ﷺ: سيد الأعمال ثلاثة: إنصاف الناس من نفسك، ومواساة الأخ في الله، وذكرك الله تعالى في كل حال» مستدرک الوسائل: ج ١١ ص ٣٠٨ ب ٣٤ ح. ١٣١١٦

٤ - عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام - في كلام له -: «ألا إنه من ينصف الناس من نفسه لم يزد الله إلا عزاً» الكافي: ج ٢ ص ١٤٤ باب الإنصاف والعدل ح. ٤.

٥ - عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، قال: «ثلاثة هم أقرب الخلق إلى الله عز وجل يوم القيامة حتى يفرغ من الحساب: رجل لم تدعه قدرته في حال غضبه إلى أن يحيف على من تحت يديه، ورجل مشى بين اثنين فلم يمل مع أحدهما على الآخر بشعيرة، ورجل قال الحق فيما عليه» وسائل الشيعة: ج ١٥ ص ٢٩٤ - ٢٩٥ ب ٣٧ ح. ٢٠٥٥٣

٦ - عن أبي عبد الله عليه السلام، قال - في حديث له -: «ألا أخبركم بأشد ما فرض الله على خلقه - فذكر ثلاثة أشياء أولها - إنصاف الناس من نفسك» بحار الأنوار: ج ٧٢ ص ٣٤ ب ٣٥ ح. ٢٧

٧ - عن أبي أسامة، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «ما ابتلي المؤمن بشيء أشد عليه من خصال ثلاث يجرمها». قيل: وما هن؟ قال: «المواساة في ذات يده، والإنصاف من نفسه، وذكر الله كثيراً. أما إنني لا أقول: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله، ولكن ذكر الله عند ما أحل له، وذكر الله عند ما حرم عليه» الكافي: ج ٢ ص ١٤٥ - ١٤٦ باب الإنصاف والعدل ح. ٩

٨ - وقال الصادق عليه السلام: «من أنصف الناس من نفسه رضي به حكماً لغيره» من لا يحضره الفقيه: ج ٣ ص ١٣ باب آداب القضاء ح. ٣٢٣٧

٩ - عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «أوحى الله إلى آدم عليه السلام أني سأجمع لك الكلام في أربع كلمات - إلى أن قال - وأما التي بينك وبين الناس: فترضى للناس ما ترضى لنفسك، وتكره لهم ما تكره لنفسك» وسائل الشيعة: ج ١٥ ص ٢٨٧ ب ٣٥ ح. ٢٠٥٣٧

١٠ - عن أبي جعفر عليه السلام، قال: قال رسول الله ﷺ: ثلاث خصال من كن فيه أو واحدة منهن، كان في ظل عرش الله يوم لا ظل إلا ظله: رجل أعطى الناس من نفسه ما هو سائلهم، ورجل لم يقدم رجلاً ولم يؤخر رجلاً حتى يعلم أن ذلك لله رضى، ورجل لم يعب أخاه المسلم بعيب حتى ينفي ذلك العيب عن نفسه؛ فإنه لا ينفي منها عيباً إلا بدا له عيب، وكفى بالمرء شغلاً بنفسه عن الناس» الكافي: ج ٢ ص ١٤٧ باب الإنصاف والعدل ح. ١٦.

والإنصاف من (النصف) أي أن يكون النصف في طرفك والنصف الآخر في الطرف الآخر، على أن لا تستغل أكثر من ذلك النصف الذي في طرفك، ولا أن يستغل هو أكثر من النصف الذي هو حقه.

وكلّما تراضى أبناء المجتمع الواحد وتحلوا بالثقافة والأخلاق، ساد الإنصاف بينهم.

والرؤية المستقبلية تكشف عن أنه: لما كانت المجتمعات البشرية مضطرة في المستقبل إلى التلاحم والتراضي، ومقبلة على الثقافة والأخلاق، فمن المؤكد أنها ستكون متصفة بالإنصاف إلى جانب بقية الصفات والفضائل.

١٧: الأرض لله ولمن عمرها

حكم الأرض حكم سائر المباحات، فالأرض مثلها مثل الهواء والماء والنور والدفع، وهي ملك البشرية قاطبة. فمن حق كل فرد أن يحيي أرضاً ليسكن عليها، ويستفيد منها في منافع المشروع، وهذا الحق محدود بأن لا يكون مزاحماً للآخرين، فيستفيد كل بقدر حاجته وشأنه وإمكاناته.

والفطرة تدعو إلى مطالبة الإنسان بهذا الحق، فلو كان - مثلاً - لدينا ألف شخص، وكان هناك مليون متر مربع من الأراضي غير المملوكة، فيمكن توزيع ألف متر مربع لكل شخص منهم إذ تساوت قدراتهم وإمكاناتهم على أعمار تلك الأراضي.

والمرجع في ذلك هو قانون: (من سبق) في إطار (العدل وعدم الإجحاف بالآخرين)، أو فسح المجال لكل من يريد الأعمار.

أما لو أراد أحدهم أكثر من حقه المشروع بأن يستغل حقوق الآخرين، فسيبقى البعض في العراء بلا ملك.

وهذا هو أمر فطري وعقلاني وطبيعي بالنسبة إلى الأرض، فلا شيء منها

للدولة، ولا لأحد قبل أن يملكه أحد، أما إذا امتلكه وعمّره فهو له، لذا وضع الإسلام قاعدة مهمة: (الأرض لله ولمن عمّرها)^(١).

١٨: لا تعذيب في السجون

لا يجوز استخدام التعذيب الجسدي أو النفسي في السجون وغيرها، فالتعذيب حرام مطلقاً، ولا فرق في الحرمة بينهما؛ لأنه امتهان لكرامة الإنسان المُعذَّب.

أما المُعذَّب فهو إنسان حقير النفس ظالم، وقد جرد نفسه عن كل معاني الإنسانية، وكذلك من يشاهد - عيناً أو علماً - فيرى أو يعلم، ويستطيع أن يفعل شيئاً ولكنه يسكت ولا يفعل شيئاً، فهو يجرد نفسه عن كل معاني الإنسانية أيضاً.

ولما كانت البشرية في طريقها لاسترداد حقوقها، ولما كانت الدعوة إلى حقوق الإنسان أقوى دعوة وتطبيقاً في المستقبل، فإن مستقبل البشرية سوف لا يكون فيه مجال لممارسة التعذيب بإذن الله تعالى.

١٩: التقليل من حجم القوانين

لا يجوز سنّ القوانين الكابته لحرّيات الناس؛ فإنه لا حاجة أساساً لهذه الكثرة من القوانين، التي فرضها البشر على نفسه، أو على بني نوعه. فالقوانين إذا كثرت ضيّقت على الناس وأضرت بهم، كما أنه تتلاشى قابلية التنفيذ عندئذ، وقد قالوا في المثل: «إذا أردت أن لا تطاع فأمر بما لا يُستطاع».

ثم إن كثرة القوانين، إما ناشئة عن جهل أو غرور وظلم، وكلاهما آخذان

(١) الكافي: ج ٥ ص ٢٧٩ باب في إحياء أرض الموات ح ٢، وسائل الشيعة: ج ٢٥ ص ٤١٤ ب ٣

في الزوال نتيجة انتشار الوعي ، وبسبب الأنشطة الحقوقية التي تقوم بها جمعيات حقوق الإنسان وما أشبه ذلك .

ومن هنا تتجلى الحكمة في التشريع الإسلامي ، عندما اتخذ سياسة التقليل من القوانين الاقتضائية والإلزامية . فقد قال رسول الله ﷺ : «لولا أن أشقَّ على أمّتي لأمرتهم بالسواك»^(١) ، وهذا واحد من الأمثلة التي يريد الإسلام من خلالها أن يبين يسره ، حتى يعيش الناس في راحة تامة .

٢٠: التقليل من السجون

لا يجوز الإكثار من بناء السجون ؛ فإنها وسائل قمع وأدوات استبداد ، وسوف نرى في المستقبل خلواً من هذه الكثرة الكاثرة من السجون . إذ لا مكان في المستقبل لتقييد حرية الإنسان إطلاقاً ، إلا في موارد ضرورية جداً^(٢) ، ولا مكان للجريمة في المستقبل بعد انتشار العدالة ، وانتشار الوعي ، وإعطاء كل إنسان حقه .

إن السجون تأتي نتيجة الظلم والتعسف ، والانحراف عن خط الوعي والفترة البشرية .

ثم إن السجون لا بد أن تكون - مضافاً إلى قتلها - متصفة بأمور تعليمية وترفيهية كاملة ، تتناسب مع كرامة الإنسان وحقوقه الشرعية ، وقد فصلنا ذلك في بعض كتبنا^(٣) .

(١) من لا يحضره الفقيه : ج ١ ص ٥٥ باب السواك ح ١٢٣ .

(٢) وقد تحدث الإمام المؤلف رحمته عن هذا الموضوع بإسهاب في موسوعة الفقه : ج ١٠١ - ١٠٢ كتاب الدولة الإسلامية .

(٣) راجع كتاب "كيف ينظر الإسلام إلى السجين" للإمام المؤلف رحمته .

٢١: نبذ العنف

لا عنف في الإسلام، إذ ليس العنف من صفة الإنسان، بل هو من صفات الوحوش الكاسرة. والعنف - عادة - يأتي مرافقاً للظلم، فإذا انتهى الظلم توقف العنف من الجانبين، من الظالم ومن المظلوم الذي قد يضطر في بعض الأحيان إلى استخدام العنف للمطالبة بحقه^(١).

٢٢: انتشار الإسلام الأصيل

يلزم العمل لانتشار الإسلام بمبادئه وقوانينه، وسيتحقق ذلك بإذنه تعالى. وإحدى طرق نشر الإسلام، هو أن يصبح المسلمون قدوة حسنة للآخرين، وسيشهد المستقبل بإذن الله تعالى تحولاً لدى المسلمين باتجاه العمل بما يفرضه عليهم دينهم، وما تدعوه إليه فطرتهم وعقولهم. فهم أقدر على جذب الآخرين إلى محاسن الإسلام، التي تتمثل في سلوكهم وأخلاقهم وتصرفاتهم.

٢٣: التعايش السلمي

يلزم نشر وتطبيق قانون الإسلام في التعايش السلمي، فإنه كلما زاد وعي المسلمين زادت علاقتهم الأخوية مع الآخرين، باعتبار أن «الناس إماماً لك في الدين، أو نظير لك في الخلق»^(٢). والدليل على ذلك هو وجود المسلمين وغير

(١) على سبيل المثال: إن وجود الأسلحة الخفيفة بين الناس في الوقت الحاضر، تؤدي إلى قتل إنسان واحد في كل دقيقة، أي نصف مليون إنسان في السنة الواحدة، هذا ما أكدته إحصاءات منظمة العفو الدولية.

(٢) إشارة إلى الحديث الوارد عن أمير المؤمنين عليه السلام. انظر نهج البلاغة، الرسائل: رقم (٥٣) ومن كتاب له عليه السلام كتبه للأشتر النخعي لما ولاه على مصر وأعمالها.

المسلمين في بلاد كثيرة من أوروبا في وئام وسلام وطمأنينة^(١)، قال الله تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾^(٢).

٢٤: القضاء على وسائل الإبادة الجماعية

يلزم القضاء على وسائل الإعدام الجماعية: كالقنبلة الذرية^(٣) والجرثومية والهيدروجينية^(٤)، والقنابل العنقودية^(٥) والانشطارية، وما أشبه ذلك من وسائل الفتك والقتل، التي سوف لن تجد سوقاً لها مع وجود الرغبة الجماعية في التعايش السلمي.

فهذه الأسلحة لا تفتك بجماعة دون جماعة، فاستخدامها يسبب الدمار الشامل، وهذه الحقيقة باتت تقضّ مضاجع الأمم المتحدة والشعوب والدول،

(١) يبلغ عدد المسلمين في البلاد الغربية عشرين مليوناً.

(٢) سورة الممتحنة: ٨.

(٣) قامت أمريكا بإلقاء قنبلتين ذريتين على هيروشيما وناغازاكي اليابانيتين بأمر من الرئيس الأمريكي هاري ترومان. تقع هيروشيما في الجزء الجنوبي الغربي من جزيرة هونشو، بينما تقع ناغازاكي في الجزء الشمالي الغربي من جزيرة كيوشو. فقد أُلقيت القنبلة الذرية الأولى على هيروشيما في ٦ آب / أغسطس ١٩٤٥م فجعلتها قاعاً صافصفاً، فقضت في الحال على عدد لا يحصى من سكانها. وبعد ثلاثة أيام أي في ٩ آب / أغسطس ١٩٤٥م أُلقيت القنبلة الذرية الثانية على مدينة ناغازاكي، فقتلت في الحال أربعين ألف شخص وجرحت أربعين ألفاً آخرين، ومحت جزءاً كبيراً من المدينة.

(٤) يقال إن القنبلة الهيدروجينية الواحدة تبلغ من القوة سبعين ضعفاً بالمقارنة بقوة القنبلة التي أُلقيت على هيروشيما وتقدر بالميجا طن وتصل درجة الحرارة الناتجة عن انفجارها إلى خمسة آلاف درجة.

(٥) وهذه القنبلة تمتاز بصناعتها إسرائيل وقد استخدمتها بريطانيا بعد أن اشترتها من إسرائيل في جنوب العراق كالبصرة والزيبر والعمارة والناصرية في الحرب الأمريكية على العراق علماً أن ٢٪ من هذه القنابل لا تنفجر، وهذا ما يجعلها قابلة للانفجار في أي وقت.

التي اضطرت لأن تعيش في منظومة أمنية بعيداً عن احتمالات استخدام هذه الأسلحة^(١).

(١) إن سلامة البشرية وبقاء الحضارة يتوقف على نزع السلاح، وإقامة آليات دولية فعّالة للرقابة والضبط قادرة على منع الأسلحة، وإيقاف التجارب النووية. وقد بدأت الأمم المتحدة عام ١٩٤٩م بإنشاء هيتين عبر مجلس الأمن، لدراسة قضايا نزع السلاح وتنظيم التسليح، هما: لجنة الطاقة النووية، ولجنة الأسلحة التقليدية. وفي عام ١٩٥٢م استبدلتا بلجنة نزع السلاح، وكلفت بمهمة اقتراح مشروعات من أجل التخفيض المتبادل في كل أفرع القوات المسلحة، والحد من جميع أنواع الأسلحة والرقابة عليها، ووضع نظام دولي للرقابة الفعّالة على الأسلحة النووية، من أجل حظر إنتاج السلاح النووي، وضمان استخدام الطاقة النووية فقط للأغراض السلمية، والتخلص من كافة أسلحة الدمار الشامل. وفي عام ١٩٦٠م شكّلت لجنة خاصة لنزع السلاح، وتغيّر اسمها بعد ذلك إلى مؤتمر لجنة نزع السلاح. وفي عام ١٩٧٥م تغيّر اسمها إلى لجنة نزع السلاح. واقترحت أمريكا «خطة باروخ» والتي تنص: على إقامة سلطة دولية لتنمية الطاقة النووية، تسيطر على جميع مراحل إنتاج واستخدام الطاقة النووية. كما واقترحت روسيا «خطة جروميكو» وتنص: على حظر إنتاج واستخدام الأسلحة النووية، وتدمير المخزون القائم منها في غضون ثلاثة أشهر، وإقامة لجنة أو هيئة دولية تشرف على التبادل العلمي، ومراقبة استخدام الطاقة النووية، وتوجيهها للأغراض السلمية. يقول الدكتور حسن نافعة في كتابه "الأمم المتحدة في نصف قرن" ص ٢٠٥ - في صدد فشل الأمم المتحدة من نزع السلاح -: (لاشك أننا إذا حاولنا أن نحكم على جهود الأمم المتحدة في نزع السلاح، أو في تنظيم التسليح من خلال المقارنة بين الأرقام الخاصّة بالنفقات العسكرية، أو القوات، أو أنواع الأسلحة عند قيام الأمم المتحدة سنة ١٩٤٥م، وبين أرقام هذه البنود عند نهاية الحرب الباردة، فلن تكون المقارنة في مصلحة الأمم المتحدة إطلاقاً، ومن ثم يصبح تقييمنا لجهود الأمم المتحدة سلبياً تماماً. فعند نهاية الحرب الباردة وصل حجم النفقات العسكرية في العالم إلى أكثر من ٩٠٠ مليون دولار، كما وصلت أحجام القوات المسلحة وترسانات أسلحة الدمار الشامل بمختلف أنواعها إلى أرقام لم تعرفها البشرية في تاريخها).

ثم يضيف في نفس الكتاب: (إن تعثر محاولات إحياء نظام الأمن الجماعي، أو تجديد آلياته، أو تعديله بحيث يمتّع بأيّ قدر من الفاعلية أو المصدقية. وخروج عملية التفاوض حول موضوع الأسلحة النووية من نطاق الأمم المتحدة، وعدم قدرة الأمم المتحدة على منع صنع السلاح ◀ في الدول المتقدمة، وعدم قدرتها على إيجاد حلول عالمية للمشكلات المتعلقة بالتحوّل إلى

- الصناعات المدنية، والحد من تصدير الأسلحة، وعدم قدرتها على إيجاد آليات جماعية لضبط ورقابة الأسلحة، وفقاً لمعايير موحدة ومقبولة من الجميع، سواء في مجال أسلحة الدمار الشامل، أو في مجال الأسلحة التقليدية، كل هذه العوامل أدت إلى عدم نزع السلاح في العالم). هذا، وقد أمتضت الأمم المتحدة منذ تأسيسها عدة اتفاقيات للحد من التسلح، منها:
- معاهدة خاصة بقارة القطب الشمالي - أنتاركتيك - عام ١٩٥٩ م.
 - معاهدة حظر التجارب النووية في الجو وتحت الماء عام ١٩٦٣ م.
 - معاهدة حظر التجارب في الفضاء الخارجي، ومنع وضع أسلحة في مدارات حول الأرض والقمر والأجرام السماوية عام ١٩٦٦ م.
 - معاهدة تلاتيلوكو بإخلاء أمريكا اللاتينية ومنطقة الكاريبي من الأسلحة النووية عام ١٩٦٧ م.
 - معاهدة حظر انتشار الأسلحة النووية عام ١٩٦٨ م.
 - معاهدة حظر وضع الأسلحة النووية في قاع البحر أو تحته عام ١٩٧١ م.
 - معاهدة حظر إنتاج وتطوير وتخزين الأسلحة البيولوجية أو الجرثومية عام ١٩٧٢ م.
 - أبرمت اتفاقية للحظر من إنتاج الأسلحة البيولوجية عام ١٩٧٣ م.
 - معاهدة حظر الأسلحة اللإنسانية التي تستهدف الإنسان في المقام الأول ويصعب اكتشافها، كالشراك الخداعية عام ١٩٨١ م.
 - معاهدة راروتونجا الخاصة بإخلاء منطقة الباسيفيكي من الأسلحة النووية عام ١٩٨٥ م.
 - أبرمت معاهدة للحد من الأسلحة التقليدية عام ١٩٩٠ م.
 - أبرمت معاهدة سارت واحد في تموز عام ١٩٩١ م، والتي بموجبها خفّض الاتحاد السوفيتي - السابق - رؤوسه النووية من ١١ ألف إلى ٦٥٠٠ رأس. وأمريكا من ١٠ ألف إلى ٨ ألف رأس في نهاية القرن العشرين.
 - أبرمت معاهدة سارت الثانية في كانون الثاني ١٩٩٣ م، والتي بموجبها تخفّض روسيا ثلاثة آلاف رأس نووي، وأمريكا ٣٥٠٠ رأس إلى عام ٢٠٠٣ م. وأن تنزع دول الكومنولف وروسيا البيضاء وكازاخستان وأوكرانيا من الأسلحة النووية.
 - أبرمت اتفاقية حظر واستخدام وإنتاج وتخزين واستعمال الأسلحة الكيميائية في كانون الثاني عام ١٩٩٥ م، ووقّع على هذه الاتفاقية ١٥٩ دولة.
 - أبرمت اتفاقية حظر وإنتاج وتخزين الأسلحة البيولوجية والسامة في كانون الثاني ١٩٩٥ م، ووقّع على هذه الاتفاقية ١٣١ دولة.

٢٥: حماية البيئة من التلوث وتطهيرها وتحسينها

يلزم الاهتمام بنظافة البيئة والقضاء على ملوثاتها، وهذا ما يحدث بإذن الله في المستقبل. فإن هذا التلوث ناشئ من الغازات التي تفرزها المعامل والمصانع، وخاصة العسكرية والنووية، والتي زمامها بيد الغربيين، وناشئ - أيضاً - من إلقاء نفايات المصانع الذرية وغيرها في مياه المحيطات والأنهار، حيث أوجدت هذه الملوثات ثقباً في طبقة الأوزون والتي بدورها سببت ظهور التصحر وغيره.

فملوثات البيئة هي نتيجة حتمية للجشع والاستغلال والاستعلاء والظلم والطغيان وما أشبه ذلك، فلو توقف الاستغلال والظلم، فإن البيئة ستعود إلى حالتها الأولى خضراء غناء^(١).

إن تشبث الإنسان بالحياة في المستقبل ووعيه، لكفيل على إزالة هذه الظاهرة، وهذه الأمراض الوييلة.

٢٦: نشر الثقافة وتوسعة نطاقها

يلزم العمل لنشر الثقافة والوعي بين المجتمع.

إن من حتميات المستقبل - بإذن الله تعالى - أنك لا تجد أمية لسعة الحضارة وسرعة الاتصالات، ولأن الجميع سيكتشفون فوائد العلم، وتتهياً لهم أسباب تحصيله ومقدماته، فيقبلون على الدراسة. كما وأن وسائل التعليم ستكون أكثر بساطة من الآن، فيستطيع المرء أن يتعلم حتى وهو في بيته، حتى ربات البيوت

- أبرمت اتفاقية حظر انتشار الأسلحة النووية في كانون الثاني ١٩٩٥م، وصادق عليها ١٧١ دولة. كما أبرمت في نفس العام معاهدة حظر إنتاج المواد الانشطارية.

(١) فصل الإمام المؤلف *تنتس* الحديث عن التلوث البيئي وآثاره والحلول الوقائية والعلاجية في كتابه: " الفقه: البيئة"، وقد طبع هذا الكتاب في بيروت من قبل مؤسسة الوعي الإسلامي، وفي الكويت من قبل هيئة محمد الأمين.

سيجدن فرصة كافية للتعليم والتعلم.

وهكذا تكثر المراتب الرفيعة من العلم في مختلف أبعاده، سياسية واجتماعية واقتصادية وتربوية وعلمية ودينية وغيرها، حيث إن رقيّ الإنسان في المستقبل سيدفعه إلى اتخاذ القرارات الصائبة في التعليم وغيره من الأنشطة.

٢٧: الرجوع إلى قانون «من سبق»

يلزم تطبيق قانون (من سبق)، فإن من حق الإنسان الاستفادة من خيارات الأرض سواء من الغابات أم البحار أم المعادن أم من ضوء الشمس أم من الهواء، وفق قانون «من سبق إلى ما لا يسبقه إليه المسلم فهو أحق به»^(١).

مثلاً ضوء الشمس يمكن الاستفادة منه في توليد الطاقة لإضاءة المدن ولتشغيل السيارات، وتشغيل الوسائل المنزلية كالغسالات والثلاجات^(٢)، وكذا استخراج الطاقة الكهربائية من طاقة الأرض الحرارية أو طاقة الرياح وما أشبه.

فليس لأحد سلطة على منع استغلال واستثمار هذه الطاقات، وليس لأحد الحق في أخذ الضريبة على ذلك. وهذا هو قانون الفطرة وقانون ﴿خَلَقَ لَكُمْ﴾^(٣)، الذي يصرّح بأحقية البشرية في استثمار الطاقات.

وفي المقابل إلغاء هذا القانون ولّد للبشرية مشاكل كثيرة، منها زيادة نسبة البطالة في العالم، وكثرة الفقر والحرمان.

ومن الواضح أن المستقبل يسير وفقاً للفطرة البشرية المنسجمة مع معطيات العقل الذي يقرّ هذه الحقوق المشروعة للبشرية، فلا بدّ من الرجوع إلى هذه

(١) مستدرك الوسائل: ج ١٧ ص ١١١ - ١١٢ ب ١ ح ٢٠٩٠٥.

(٢) بدأ العالم بتحضير الطاقة الشمسية عبر طرق ثلاثة: ١ - استخدام المرايا العاكسة، ٢ - تجميع

حرارة الشمس وامتصاصها، ٣ - البطاريات الشمسية.

(٣) سورة البقرة: ٢٩.

الحقوق وإلى هذا القانون، وقد سمينا مثل هذا الأمر رجوعاً؛ لأنّ الناس بطبيعتهم كانوا هكذا في السابق.

وقد أدركت بنفسي هذه الحالة، فرأيتها في العراق قبل الحرب العالمية الثانية، فقد كانت الأرض لله ولمن عمّرها، وكان الناس لهم الحقّ في الاستفادة من حطب الصحاري، وأسماك الأنهار، ومن الأملاح، ومن المعادن^(١) من دون أن تمنعهم الدولة، أو تفرض عليهم ضرائب.

وكان أغلب بلدان العالم الإسلامي يعيش هذا الواقع، ثم إنّ القوانين الوضعية وبسبب الجشع والجهل والغرور والظلم والاستعمار حالت دون ذلك، وكلما رجعت البشرية إلى التعقل والفضيلة، رجعت هذه الحالة الإنسانية مجدداً.

٢٨: تقليل الأمراض

يلزم العمل لتقليل الأمراض وقايةً وعلاجاً، فإنّ هناك أمراضاً شائعة منشؤها القلق والاضطرابات النفسية، كمرض السرطان والضغط الدموي والسُّكَّر في بعض مصاديقها، وهناك أمراض منشؤها ارتكاب المحرمات كالإيدز والسفلس، وهناك أمراض ناتجة عن استخدام الأسمدة الكيماوية ومبيدات الحشرات، وأخرى عن استخدام العلاجات الطبية الحديثة، فإنّ بعض الأدوية لها مضاعفات جانبية.

ولما كان المستقبل - بإذن الله تعالى - هو مستقبل الهدوء والطمأنينة والإيمان والعلم والوعي، فإنّ أغلب هذه الأمراض ستزول مع عودة البشرية إلى فطرتها، وإلى تحكيم العقل والدين في المأكل والمشرب والأمور الجنسية وغيرها.

وبالتقدم العلمي ستكتشف البشرية أدوية من الأعشاب تكون بديلة للعقاقير

(١) وقد تحدث الإمام المؤلف رحمته الله عن ذلك في كتاب "بقايا حضارة كما رأيت"، وكتاب "حياتنا قبل نصف قرن".

الكيمائية، وقد لاحظنا في الآونة الأخيرة عودة الأطباء إلى الطبيعة باستثمار الأعشاب في المعالجات المعقدة كالسكري والسرطان^(١).

نعم، إننا لا ننكر أهمية المكتشفات الحديثة والمفيدة في التطبيق كعلم التشريح والعمليات الجراحية وما أشبهه، لكن لا بد من الدمج بين الطب القديم والحديث، والاستفادة من الصحيح منهما.

٢٩: لا مكان للكماليات الزائدة

لا حاجة للكماليات إلاّ بالمقدار الذي يقرّه العقلاء، فالبحث عن الكماليات هو ديدن البسطاء الذين يرون من الحياة ظاهرها، فيريدون أن يكتفوا بمظهر حسن، وهم بعيدون عن الواقع والجوهر والحقائق.

ومنشأ البحث عن الكماليات هو خفة النفس، وخفة النفس تنشأ من عدم فهم الموازين. ولما كان الإنسان في المستقبل أقدر على فهم كفاءاته، فهو أقدر على النضج وإيجاد الموازنة المعقولة التي تجعله يتصرف تصرفاً معقولاً في الحياة دون إفراطٍ أو تفريط.

إن الجمال شيء، وجعله هدفاً رئيسياً ولو على حساب سائر الواجبات، أو ذريعةً لنيل الهوى شيء آخر، وقد ورد في الحديث الشريف: «إن الله جميل يُحب الجمال»^(٢).

وفرق بين الموردين: الجمال كأصل، والجمال كهدف دون غيره أو ذريعة، كما هي حالة الكثير من الناس في الأوساط المادية.

(١) لقد نشأت في بعض بلدان العالم مستشفيات وصيدليات خاصة في طب الأعشاب: كالهند والصين وألمانيا وباكستان.

(٢) الكافي: ج ٦ ص ٤٣٨ باب التجمل وإظهار النعمة ح ١، وسائل الشيعة: ج ٤ ص ٤٥٥ ب ٥٤ ح ٥٧٠٤.

وهناك قاعدة إذا التزم بها الإنسان قلّ توجهه نحو الكماليات وهي : التوجه نحو المعنويات.

فكلّما تعلّق الإنسان بالمعنويات قلّ إقباله على الكماليات المادية.

٣٠: التقليل من الموظفين

يحرم التكثير من الموظفين ؛ لأنه أكل مال الأمة بالباطل ، ولأنه سبب تقييد الحريات ، ولكونه تبذيراً ، وفي أدنى صورته إسراف غير جاز ، فإنه لا حاجة إلى هذه الكثرة من الموظفين ، بل إن كثرة الموظفين منشؤها الغرور والجهل والكبر والظلم والطغيان ، وكلُّ هذه الصفات ستخفّ في المستقبل بإذن الله تعالى ، وستقلّ تبعاً لذلك آثارها الاقتصادية والاجتماعية المدمرة.

فبالعلم سيزول الجهل.

وبالإيمان سيزول الغرور والكبر.

وبالحريات الصحيحة سيزول الظلم والطغيان.

وعندما تسود المعرفة وينزع عن المسؤولين لباس الغرور والكبر والظلم

والطغيان ، فإنهم سيكتفون بأقل ما يمكن من الموظفين.

ومن الواضح أنّ قلة الموظفين تسبب كثرة الحريات ، والعكس بالعكس ، إذ

إنّ كل موظف إضافي هو قيد إضافي يكبل حريات الناس بالقرارات الجائرة.

٣١: المحافظة على ثروات الأجيال

يجب حفظ ثروات الأمة، ومنها ما يرتبط بالأجيال القادمة.

والنظرة المستقبلية تدلنا على أن ذلك سيتحقق بإذن الله؛ لأن منشأ الفساد والتهالك على الثروات هو الجشع والحرص والظلم والإنفاق غير الطبيعي، التي تسبب في هدر إمكانيات الأمة في أشياء تافهة مسببة فقراً للشعوب. فالبشرية في المستقبل ستعيش محافظة للثروات، فهي واعية ومتصفة بالقناعة، وستقتصر على الأمور غير الباهظة، بعيدة عن الإسراف والتبذير. مثلاً بدلاً من شراء عدة سيارات شخصية فارهة يكتفون بالمقدار اللازم، وربما يستفيدون من وسائل النقل العامة، وبذلك يدخر للشعوب القادمة جزء كبير من الثروة^(١).

أما ما نرى اليوم من تبذير لثروات الأمة من قبل الحكومات، فلا مجال له في المستقبل.

(١) وقد ذكر الإمام المؤلف رحمه الله دليل حق الأجيال في موسوعة الفقه: ج ٨٠ كتاب «إحياء الموات» ص ٢٦٨ وإليك نصّه: «إن ثروات الأرض ليست لجيل أو نحوه ويستفاد من «لكم» ونحوه كما ذكرناه مفصلاً في الفقه الاقتصاد، الأرض لله والناس عبيده، وقد جعل كل الثروات لكل من أول البشر إلى آخره، يستفيد كل بقدر حاجته بلا إسراف ولا إقتار إلا إذا حصل تعارض غير طبيعي، فيكون اللازم الإقتار حسب التوزيع بالعدل، كما إذا لم يقدر اثنان على الماء وكان هناك ماء يكفي لأحدهما فإنه يقسم بينهما، لقاعدة العدل والإنصاف وغير ذلك. إن الثروات في البلاد على قسمين: ١ - الدورية التي لا تنضب كالبحر والغابات. ٢ - غير الدورية التي تنضب كالنفط، وهذه يلزم ملاحظتها أكثر حيث يلزم أن يقدر الخبراء بالنسبة إليه قدر حق هذا الجيل بما لا زيادة ولا نقيصة حتى لا يكون تعدد على هذا الجيل بالنقيصة ولا على سائر الأجيال الآتية بالزيادة.

٣٢: تقوية الإيمان بالله ﷻ

يلزم العمل لزيادة الإيمان بالله سبحانه ، وسيكون ذلك في المستقبل بإذنه تعالى . فإن معوقات الإيمان كثيرة ، منها الجهل والغرور والظلم ، وعندما تزول هذه المعوقات يصبح الطريق مفتوحاً أمام الإنسان ليشق طريقه نحو الله تعالى ملبياً نداء العقل ، ومتجاوباً مع الفطرة الإنسانية .

فالعقل والفطرة في حالة صفاء الإنسان يسيران بخطوات قوية متعاضدة مستمرة إلى الله عز وجل : ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾^(١) .

وهكذا نجد في عالمنا اليوم أعداداً كبيرة من الملحدين والمشركين عادوا إلى ربهم ، بعد أن زالت القيود التي كانت موضوعة على عقولهم ، وزالت الغشاوة التي كانت تحجبهم عن فطرتهم ، وكلما زادت عقيدة البشرية بالله سبحانه زاد الخير في الوجود ، وعمت الفضيلة أرجاء الكون .

٣٣: إلغاء الطبقة

تحرم الطبقة ، ويجب إلغاؤها ، فإنه لا طبقة في الإسلام . وقد نشأت الطبقة نتيجة جشع الطبقات المرفهة ، وطغيانها في المال والإمكانات ، بينما تقيّد ذوو الطبقات السفلى بقيود الفقر والحرمان ؛ وعندما تسمو البشرية في المستقبل ، وتتجاوز الاعتبارات المادية ، وتتصف بالوعي اللازم ، فإنها ستزيل الجشع بكفاحها المتواصل .

وبزوال الجشع يزول الاستغلال ، وتضمحل الفروقات الطبقة ، وتعود كل الطبقات متحابة في الإيمان والصدق ، ومتساوية أمام القانون .

٣٤: تطوير الزراعة وتوسيع دائرتها

(١) سورة الروم: ٣٠ .

يلزم الاهتمام بالزراعة وتوسعة نطاقها، فإن عودة الإنسان إلى الطبيعة من مصاديقه الاهتمام بالنشاط الزراعي. فالإنسان يحب الزراعة؛ لأنها منبع الطعام له ولغيره أولاً، ولأنه سيكسب منها أرباحاً طائلة ثانياً، ولجمالها ثالثاً، ولنقاء هوائها رابعاً، ولأنها تحميه وتقيه من الفيضانات خامساً.

والزراعة تتسع ويكثر إنتاجها بالأيدي العاملة، ووفرة الماء، ووجود الأرض الخصبة، وعدم مضايقة الدول من إحياء الأراضي، ومتى ما توفرت هذه العناصر كثرت الزراعة، وانتشرت المحاصيل الزراعية، وهذا ما يكون في المستقبل بإذن الله تعالى.

وإني لأذكر وضع العراق قبل الهجمة المادية - أي قبل الحرب العالمية الثانية - كانت الأرض عامرة بالزراعة، فإنها كانت لمن يزرعها ولمن يعمرها. فكان الناس يختارون الأراضي الصالحة للزراعة ويزرعونها بالمحاصيل، مستفيدين من مجاري المياه، ومتى حدث الشح في المياه، يعوض أصحاب الأراضي ذلك باستخراج المياه من جوف الأرض.

والسبيل إلى تحقق التقدم الزراعي هو انتشار الحرية، فبدون الحرية لا يستطيع أحد من تحقيق أبسط خطوة على طريق التقدم الزراعي.

وازدهار الزراعة عامل مهم في تغيير السلوك الأخلاقي للناس، فإنه - وبمساعدة العوامل الأخرى - يقضي على الفقر، ويزيد في إيمان الناس، وقربهم من الله سبحانه، وتزداد تطلعاتهم إلى الحياة الكريمة، كما وأنهم يصبحون أكثر كرمًا، وأكثر انفتاحاً نحو مكتسبات الحياة الأخرى.

٣٥: الإعمار والتوسع العمراني

يلزم الاهتمام بالتوسع العمراني، فكما للحرية أثر إيجابي على الإنتاج الزراعي، كذلك لها أثر إيجابي على العمارة وتطور البناء. والرؤية المستقبلية تكشف عن جدية الناس في ذلك، فيتحركون بخطى قوية وعزائم راسخة لعمارة المدن، وإرساء دعائم المدنية المنسجمة مع حاجات الناس. وقد لاحظنا كيف أن البلدان التي يقل أو يضعف فيها الاستعمار والتسلط الأجنبي والاستغلال، فإنها تشهد تقدماً عمرانياً كبيراً، وقد لاحظنا أيضاً توسع العمارة وتطورها في العصر الإسلامي حيث كانت الحرية مفتاح كل تقدم. وعند العودة إلى التاريخ نجد العمارة مرافقة دائماً مع الحرية، فكلما توفرت الحرية كان التقدم العمراني نتيجة طبيعية لهذه الحرية.

٣٦: ازدهار السفر والسياحة الدينية

يلزم الاهتمام الأكبر بالسفر النزيه والسياحة الدينية، وسيكون ذلك في المستقبل، وهذه النتيجة قائمة أيضاً على عامل الحرية، فمع وجود الحرية تزداد رغبة الناس إلى السفر.

وإن حرية التنقل هي إحدى أنواع الحريات الضرورية للبشرية. فإذا ازدادت معنويات الناس وأطلقت حرياتهم وضعف الاستعمار والتسلط الأجنبي، ازداد إقبال الناس على السفر وزيارة العتبات المقدسة والمزارات الشريفة، فيكثر حجاج بيت الله الحرام، ويزداد زوار حرم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وحرم الإمام الحسين عليه السلام، وسائر المزارات المطهرة.

ومع تزايد عدد الزوّار تكثر الحركة التجارية وينشط الاقتصاد، فتكثر أموال الناس، ويزداد اندفاعهم للزراعة والصناعة.

٣٧: حقوق المرأة

يلزم الاهتمام بشؤون المرأة، ومنحها حقها الواجب، وحريتها المشروعة. وسيكون المستقبل لصالح المرأة من جهة إعطاء حقوقها، ومساواتها مع الرجل فيما ساواها الله تعالى، من الأمور الثقافية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها، باستثناء ما منعه الإسلام لأمر مرتبطة بينائها وتكوينها الجسدي والعاطفي والنفسي.

فإن التساوي بينهما هو الأصل في الشريعة، واختلاف الأحكام استثناء، وأصل التساوي من مقتضيات العقل والفطرة البشرية، وقد ذكرنا تفصيل ذلك في كتبنا المعنية بهذا الأمر^(١).

وليس شذوذاً ما تطالب به المرأة من حقوق شرعية، فالعقل والفطرة والشريعة معها في مطالبها المشروعة، وقد قال الله سبحانه في كتابه: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾^(٢)، فالمرأة مساوية للرجل إلا في ما امتاز به الرجل.

وما امتاز به الرجل، ذكره سبحانه وتعالى في محكم كتابه: ﴿وَاللرِّجَالُ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾^(٣).

وهذه الدرجة من جهة ما يقتضيه البناء والتكوين الجسدي والعاطفي والنفسي والعقلي، فلا وجه لتأخرهن اجتماعياً وسياسياً وتربوياً، وغير ذلك. وإفادة للتساوي قال سبحانه: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ

(١) للمزيد راجع كتاب: "العائلة" وكتاب "الفقه: النكاح" وكتاب "لماذا تأخر المسلمون؟" للإمام المؤلف رحمته الله.

(٢) سورة البقرة: ٢٢٨.

(٣) سورة البقرة: ٢٢٨.

وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ
وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ
وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ
اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿١﴾.

وحيث إن الاجتماع أخذ بالتقدم إلى الأمام من جهة إعطاء الحقوق حيث
الجمعيات والمنظمات الحقوقية، وحيث تقدم العلم والوعي، وحيث تطلع كل
ذي حق إلى أن ينال حقه كاملاً غير منقوص، فسيكون المستقبل لصالح المرأة،
فعلينا أن نتحمل أعباء المسؤولية الاجتماعية جنباً إلى جنب الرجل.

وهنا لا بد من القول: إن المطالبة بحقوق المرأة يجب أن لا يستغل استغلالاً
سيئاً باطلاً؛ لإخراجها من كيانها كامراً وجعلها وكأنها رجل، أو مصادرة
شخصيتها وجعلها أداة للدعاية والفساد، يُستفاد منها في دور عرض الأزياء
ودور البغاء أو ما أشبه ذلك.

فعالنا اليوم يعيش حالة الإفراط والتفريط في خصوص المرأة، وهذان
الأمران سينتهيان في المستقبل بإذن الله تعالى، ويكون الأمر حسب الموازين العقلية
والفطرية والعقلانية.

٣٨: اختفاء النعرات

لا مكان للنعرات القومية والعرقية وما أشبه في الإسلام.

وإننا سنرى عالم المستقبل قد ابتنى على أن التمايز فيه على أساس الكفاءة
والفضيلة والتقوى، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (٢)،
وسوف لا تكون للعرقية والقومية قيمة في المستقبل؛ لأنها لا تقوم على الفطرة
السليمة ولا يقرها العقل.

(١) سورة الأحزاب: ٣٥.

(٢) سورة الحجرات: ١٣.

فعر المستقبل هو عصر العلم والإيمان والواقعات، التي تميز الإنسان على أساس علمه وكفاءته وأخلاقه. وقد ورد في الديوان المنسوب للإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

النَّاسُ من جَهة التمثال أكفاءُ أبوهُم آدمُ والأُمُّ حواءُ
فإن يكن لهم من أصلِهِم شَرَفٌ يُفأخرون به فالطينُ والماء
نفسٌ كنفسٍ وأرواحٌ مشاكلةٌ وأعظمُ خلقت فيها وأعضاءُ
وإنما أمهاتُ النَّاسِ أوعيةٌ مستودعاتٌ ولأحساب
آباءُ^(١)

لا يقال: إذا لم تكن اللغة واللون والوطن سبباً للامتياز - لأنه لا دخل للإنسان والإنسانية فيها - فلماذا يكون الامتياز في الغنى والفقر والبلادة والذكاء، والحال أن الإنسان لا دخل له فيها أيضاً.

لأننا نقول: في جانب (الثروة العامة) تجب المساواة في المعيشة وغيرها في حدود العدل والإنصاف دون الزائد، وهذا يتحقق عن طريق توزيع الثروة بصورة عادلة.

أما (الثروة للخاصة) فلكل حسب سعيه، قال تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾^(٢)، وقال سبحانه: ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾^(٣)، فإن الإسلام يقر الملكية الفردية، فالفارق مرتبط بسعي الإنسان وجهده، وما يرتبط بكفاءاته والاستفادة منها، وهذا مما يقره العقل والعقلاء.

وفي جانب الذكاء، فإضافة إلى أنه اختياري في الجملة - بالتخطيط لعوامله قبل انعقاد النطفة، ويتطوِّره لدى الكبر عبر طرق علمية ونفسية، وعبر الغذاء

(١) ديوان الإمام علي عليه السلام: ص ٢٤ الناس من جهة التمثال أكفاء.

(٢) سورة البقرة: ٢٨٦.

(٣) سورة النجم: ٣٩.

والدواء - فإنَّ الإنسان خاضع لمعادلة الاختلاف في الأشياء التي اقتضتها حكمة الخلق.

فإنَّه سبحانه خلق التراب مختلفاً، والمعادن مختلفة، والماء مختلفاً، وهكذا ما في السماء من كواكب ونجوم، ولو خلق الأشياء بدون تفاوت لذهبت جمالية الكون، والذي يحكم بلزومها العقل والعقلاء، إذاً هو من باب الأهم والمهم. ثم إنَّ الاختلاف في الذكاء وسائر المشابهات، يعدُّ مما له قيمة ذاتية عكس الاختلاف في اللون والجغرافيا وما أشبهه.

وهناك جواب آخر ذكره الحكماء، حاصله: إنَّ كلَّ ممكن يطلب بلسان الحال إفاضة الوجود عليه، فلماذا لا يفيض الله سبحانه الوجود على هذا الممكن الأدنى؟ مع أنه كان ممكن الإفاضة.

هذا، مضافاً إلى أن كثيراً من الفوارق نتيجة قانون الأسباب والمسببات والمعادلات والتي للإنسان التأثير فيه.

٣٩: زوال الاستعمار بشتى أشكاله

لا يجوز الاستعمار - بالمعنى المصطلح - فإنه ظلم للآخرين، ويجب السعي لإنهاء الاستعمار والاستغلال للضعفاء.

ومن الحتميات المستقبلية بإذن الله تعالى أنه لا يبقى مكان للاستعمار في الأمم، فمع وجود الوعي ووجود الحريات والإرادة الشعبية النشطة، لا مجال للأفكار الاستعمارية.

فالاستعمار يعيش في: بؤرة الجهل، والخرافة، والفقر، والضعف، والخضوع.

لننظر اليوم إلى الدول المتقدمة، هل نجد فيها الاستعمار، مع أن هذه الدول كانت مستعمرة لفترات طويلة من الزمن.

هل تجد استعماراً في فرنسا وسويسرا، هذه الدول التي كانت مستعمرة لهتلر؟.

هل تجد استعماراً في أمريكا بعد أن كانت مستعمرة لبريطانيا؟.

هل تجد استعماراً في الهند والصين - رغم كثرة نفوسهما وانتشار الفقر فيهما - بعد أن كانتا مستعمرتين من قبل دول أخرى؟.

فبالوعي والعمل الدائم والمثابرة المستمرة أزاحوا الاستعمار من بلدانهم. وهكذا سينتهي دور الاستعمار في بلداننا، إذا ما قرّرنا أن نأخذ بالوعي، ونعمل بجد ونثابر من أجل غدٍ مشرق.

٤٠: سيادة المسلمين

يلزم العمل لنشر سيادة المسلمين، فإن فيها أكبر خدمة للبشرية جمعاء، لقد تعلّم الغرب والشرق من المسلمين مناهج الحياة الفكرية والعملية بل وحتى في الاعتقادات السليمة؛ لأن مناهج الحياة عند المسلمين مناهج راقية وعملية وواقعية، وليس للغرب أو الشرق مثل هذه المناهج.

فهناك مجموعة كبيرة من المناهج والأصول والقيم والفنون في مختلف العلوم والأنشطة، ستجد طريقها إلى الغرب على الرغم من عدم تطبيقها بصورة تامة عند المسلمين، أو عدم تطبيقها بتاتا.

إذ أن عدم تطبيق هذه المناهج لا يعني فشلها، فعدم تطبيق النظام الديمقراطي أو الاستشاري والشوري بالمعنى الصحيح، لا يعني فشل الديمقراطية الصحيحة والشورية المشروعة.

وكما استفاد الغرب في السابق من علوم المسلمين وثقافتهم وعلو دينهم، وأوجدوا نهضة فكرية أدت إلى نشوء الحضارة الغربية التي هي مدينة للإسلام،

فإنهم سيعودون ليأخذوا مناهجهم وقيمهم من المسلمين ثانية.

٤١: العمل لزيادة الأسلمة

يلزم العمل لزيادة عدد المسلمين في العالم، وهداية الآخرين إلى دين الإسلام، فإنه نوع إرشاد للجاهل وهداية للغافل، وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر، إلى غيرها من العناوين المذكورة في الفقه.

وإن من الحتميات المستقبلية بإذن الله تعالى هو ازدياد عدد المسلمين بشكل سريع وكبير، حتى يكون الدين الأوسع انتشاراً على الإطلاق، بل سيكون الدين كله لله، وتوسع رقعة الإسلام إلى ما لا يتصوره الناس؛ وذلك لأن الإسلام ودستوره وقوانينه وأصوله وفروعه، هي من الأمور الفطرية المنسجمة مع المعطيات العقلية والمتطلبات الإنسانية.

وقد قرأت في إحدى المجلات، أن عدداً كبيراً من اليهوديات انجذبن إلى الإسلام من خلال احتكاكهن مع النساء الفلسطينيات، إذ وجدن الإسلام يُعطي للمرأة مزيداً من الشخصية ومزيداً من الحقوق والتقدير.

إن هناك الآن حركة أسلمة قوية في مختلف بلدان العالم، إذ قد اكتشفت البشرية بعض محاسن الدين الإسلامي، وأخذ الناس يدخلون في دين الله أفواجاً، على رغم وجود ثلاثة أمور تمنع استمرار الحركة:

الأول: افتقار المسلمين إلى حركة عالمية نهضوية إسلامية شاملة، تقوم بأعباء الدعوة إلى الإسلام وتبين مزاياه، عقيدةً وشريعةً وأخلاقاً وسلوكاً.

الثاني: كثرة المنظمات المعادية للإسلام في الغرب والشرق، والتي تحارب المسلمين وتحاول إن لا تبقي مجالاً لنفوذ المسلمين، ووصول أفكارهم ومبادئهم إلى تلك البلاد حتى يكتشفوا محاسن الإسلام.

الثالث: تلوّث سمعة الإسلام من قبل حكّام المسلمين ودولهم الظالمة،

بتصرفاتهم الاستبدادية، وبأنظمتهم الديكتاتورية، وبالسجون والمعتقلات، وما أشبه ذلك مما الإسلام منه بريء.

وكذلك من أهم الموانع، هو عدم معرفة الناس بالإسلام الذي جاء به رسول الله ﷺ وبينه وطبقه هو وأهل بيته الطاهرون ﷺ، أما الإسلام الذي ادعاه وطبقه الغاصبون للخلافة من الأمويين والعباسيين ومن قبلهم ومن بعدهم، فهو بعيد كل البعد عن الإسلام الحقيقي.

لكن كما يبدو أن هذه الأمور المانعة في طريقها إلى الزوال بإذن الله تعالى، فهناك بوادر نهضة إسلامية شاملة تعم كافة المسلمين، مما سيزيد من أنشطة الأسلمة التي تقوم بها بعض المؤسسات والجمعيات الإسلامية.

كما وأن فشل المنظمات والجمعيات المعادية في مواجهة الإسلام، جعلها غير قادرة على تعبئة الرأي العام ضد الإسلام والمسلمين، كما أن الشعوب الإسلامية تخطو نحو يقظة ثقافية وسياسية ترفض الاستبداد والمستبدين.

وقد أخذ العالم يتعرف على الإسلام، الذي أكمله الله تعالى بولاية العترة الطاهرة (صلوات الله عليهم أجمعين).

ولقد شهدت الفترة الأخيرة حركة فعالة نحو الدين الإسلامي الحنيف، قادها أشخاص أسلموا حديثاً، وعملوا بكل إخلاص وتضحية في سبيل الله، وهذا مما يذكرنا بالمسلمين الأوائل من أصحاب رسول الله ﷺ الأخيار، أمثال:

سلمان^(١)..

(١) سلمان الفارسي: زوريه بن خشفوذان. وقد سمّاه الرسول الأكرم ﷺ بـ (سلمان)، عالم ومحدث وقائد إسلامي. ترك أهله ووطنه أصفهان، ثم هاجر في سبيل الوصول إلى ◀ المنهج الروحي، الذي يستقي منه تعاليم الدين. فذهب إلى الشام والإسكندرية والحجاز، ولاقى في رحلته هذه من المصائب والمحن ما يعجز البيان عن ذكره. أسلم على يد الرسول ﷺ

والمقداد^(١) ..

في السنة الأولى للهجرة، وقال ﷺ في حقه: «سلمان منا أهل البيت»، وأخى الرسول ﷺ بينه وبين أبي ذر. اشترك مع الرسول ﷺ في غزواته وحروبه، فشارك في غزوة الخندق سنة ٥ هـ، وهو الذي أشار بحفر الخندق؛ ليقى المسلمين من هجمات قريش. وشارك في حرب ثقيف بالطائف؛ وأشار باستعمال المنجنيق، كما وشارك في فتح المدائن الغربية - بهرسير -، وفتح المدائن - توسفون -، وتولى إمارتها في عهد عمر بن الخطاب، وبقي فيها إلى أن وافاه الأجل سنة ٣٤ هـ، وقيل: ٣٦ هـ. وعاش على أقل الأقوال مائتين وخمسين سنة، وقيل: ثلاثمائة وخمسين سنة، وقيل: إنه أدرك بعض أوصياء عيسى ﷺ. راجع ترجمته في سفينة البحار: ج ١ ص ٦٤٨، تهذيب الأسماء واللغات: ج ١ ص ٢٢٦، الاستيعاب بهامش الإصابة: ج ٢ ص ٥٨ - ٥٩.

(١) المقداد بن الأسود الكندي، وهو ابن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة البهرائي، لُقّب بالأسود؛ نسبةً لحليفه الأسود بن عبد يغوث الزهري، وبالكندي؛ نسبةً إلى حلفاء أبيه. صحابي جليل، ومجتهد كبير، وفارس شجاع، وكان يعادل ألف فارس على حدّ تعبير عمرو ابن العاص، كما ذكر ذلك اليعقوبي في تاريخه: ج ١ ص ١٤٨. اشترك في غزوة بدر سنة ٢ هـ، وقد وصف الإمام أمير المؤمنين ﷺ شجاعته قائلاً: «ما كان فينا فارس يوم بدر غير المقداد بن عمرو». ثم اشترك في معركة أحد سنة ٣ هـ، والغابة وخيبر وفتح مصر، كما ذكر ذلك في الغدير: ج ٩ ص ١١٦، وتهذيب الأسماء: ج ٢ ص ١١٢، والإصابة: ج ٣ ص ٤٥٤. قال عنه الرسول الأكرم ﷺ: «أمرني ربي بحب أربعة من أصحابي، وأخبرني أنه يحبهم». فقيل: يا رسول الله، من هم؟ قال ﷺ: «علي والمقداد وسلمان وأبو ذر»، وقال ﷺ في حقه: «وذاك منا، أبغض الله من أبغضه، وأحب الله من أحبه»، وقال ﷺ أيضاً: «الجنة تشتاق إليك يا علي وإلى عمار وسلمان وأبي ذر والمقداد». وأشهر ألقابه: حارس رسول الله ﷺ، كما نقل ذلك مستدرک الوسائل: ج ٣ ص ٣٤٨. زوّجه الرسول ﷺ بـ (رباعة بنت الزبير بن عبد المطلب). وقف في وجه الخط الانحراف الذي سرى في القيادة بعد وفاة رسول الله ﷺ، وجاهر بالمخالفة للثلاثة، وكان يقول: «وا عجباً من قريش واستشارهم بهذا الأمر على أهل هذا البيت، معدن الفضل، ونجوم الأرض، ونور البلاد. والله، إنّ فيهم لرجلاً ما رأيت رجلاً بعد رسول الله ﷺ أولى منه بالحق، ولا أقضى بالعدل، ولا أمر بالمعروف، ولا أنهى عن المنكر». عارض تصرفات ثالثهم بالخصوص - عثمان - في نهب أموال المسلمين وتقسيمها بين أقربائه. توفي (رضوان الله تعالى عليه) سنة (٣٣هـ/٦٥٣م)، وعاش سبعين سنة.

وأبي ذر الغفاري^(١)، فإنهم (رضوان الله عليهم) خير أسوة للمسلمين المجاهدين طول التاريخ، وهذا ما يؤكد لنا أن الطريق مفتوحة لعودة الإسلام ليصبح الدين الرئيسي في عالمنا اليوم.

(١) جندب بن جنادة، من بني غفار، سمّاه رسول الله ﷺ: عبد الله. وهو أول من حيّاه الرسول ﷺ بتحية الإسلام. جهر بإسلامه في مكة، فضرب حتى عُشي عليه، فأمره الرسول الأكرم ﷺ بالرجوع إلى قبيلته؛ يدعوهم إلى الإسلام. يعد من خيار الصحابة، قال في حقه الرسول ﷺ: «والله، ما أظلت الخضراء، ولا أقلت الغبراء، من ذي لهجة أصدق من أبي ذر». حضر غزوة تبوك، لازم الرسول ﷺ إلى أن وافاه الأجل فقال: «لقد تركنا رسول الله ﷺ وما يحرك طائر جناحيه في السماء إلا ذكرنا منه علماً». اشتهر بتقواه وبساطته، عارض بيعة أبي بكر، ثم عاش في بلاد الشام بعد وفاة الرسول ﷺ قرابة عشر سنوات، وكان يجمع الناس حوله ويحدثهم بأحاديث الرسول ﷺ في فضائل علي عليه السلام، ونعى على معاوية الترف والإسراف واللعب بأموال المسلمين. ولما بنى معاوية قصرًا له، بعث أبو ذر إليه أحداً يقول له: «يا معاوية، إن كان هذا من مال المسلمين فهي الخيانة، وإن كان من مالك فهو الإسراف». فضاق معاوية به ذرعاً واشتكاه لعثمان، فأرسله إلى المدينة بصورة يندى لها الجبين. يقول المسعودي في مروج الذهب: «رد إلى المدينة على بعير عليه قتب يابس معه خمسمائة من الصقالية يطردون به حتى أتوا به المدينة، وقد تسلخت بواطن أفخاذه وكاد يتلف». وقف بوجه عثمان، الذي تسلط هو وأقرباؤه من بني أمية أمثال مروان بن الحكم على رقاب المسلمين، الذين اتخذوا مال الله دولاً، وعباد الله خولاً، ودين الله دخلاً، وكان يمر بالطرقات والأزقة يحرص المسلمين على عثمان ويقول: «الَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ»، فمنعه أعوان الخليفة من ذلك. فقال ﷺ: «أتنهونني عن قراءة القرآن! وأضاف: والله، لئن أرضي الله بسخط عثمان أحب إليّ وخير لي من أن أسخط الله برضا عثمان». دافع عن المحرومين وكان يصرخ في وجه الحكام قائلاً: «أتنتكم القطار بحمل النار، اللهم العن الأمرين بالمعروف التاركين له، اللهم العن الناهين عن المنكر المرتكبين له»، كما جاء في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٨ ص ٢٥٧. من وصاياه ﷺ: «إن الله قد فضلك فجعلك إنساناً فلا تجعل نفسك بهيمة ولا سباعاً»، فناه عثمان إلى الربذة قائلاً له: «اخرج عنا من بلادنا وجوارنا»، وتوفي فيها غريباً سنة (٣٢هـ/٦٥٢م). للمزيد راجع الإصابة، وفرائد السمطين، وتاريخ يعقوبي، وتاريخ الطبري، والاستيعاب، وأعيان الشيعة، والغدير، والبداية والنهاية لابن كثير، والموسوعة الإسلامية لحسن الأمين، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد.

كما وأن شعوب العالم أخذت تفرز - ولو بنسبة - في حساباتها بين الإسلام كدين، وبين تصرفات حكام المسلمين وسلوكياتهم، وهذا ما وعدنا الله سبحانه وتعالى به: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾^(١)، وهذه حكمة الله في الحق والباطل والنور والظلمة.

٤٢: تقليص أضرار الكوارث الطبيعية

يلزم العمل لتقليص وتحجيم أضرار الكوارث الطبيعية، من قبيل: الزلازل، والفيضانات، والجفاف، والتصحر، واحتراق الغابات والبراكين. وسيكون المستقبل بإذن الله تعالى كذلك، فسوف تستعد البشرية لمواجهة الأخطار الطبيعية، فهي ستوصل إلى طرق لمعرفة زمن وقوعها، ثم إنها ستتخذ التدابير اللازمة لمواجهتها، بحيث حتى لا تعود تُشكل خطراً كبيراً على الناس، إلا أن يشاء الله أمراً آخر.

مثلاً ستبنى في مناطق الزلازل بيوت مقاومة للزلازل، بما تتميز به من مرونة وبمواد البناء وتركيباتها وغير ذلك، ولربما لاحظ البعض منا أن الزلازل التي تقع في الدول المتأخرة تسبب في موت أكثر من ١٠٠ ألف نسمة، بينما نفسها تقع في اليابان غير مسببة تلك الخسارة الفادحة^(٢).

(١) سورة الأنبياء: ١٨.

(٢) كما حدث ذلك بالنسبة لمدينة رشت الإيرانية، حيث أصابها زلزال بدرجة ٧ على مقياس ريختر، فذهب ضحية هذا الزلزال ما يقارب العشرة آلاف شخص، إضافة إلى الأضرار المادية التي لحقت بالمدينة وضواحيها، بينما حدثت في اليابان زلزلة بنفس الدرجة فلم تسبب إلا قتل شخصين وكان سبب موتهما، كانا يمران في سيارة على الجسر أثناء حدود الزلزال، فقذف
▶ الجسر بالسيارة في مكان بعيد مما أودى بحياة الراكبين. ومن الزلازل التي ضربت الصين وخلفت الضحايا زلزال عام ١٩٢٠م، والذي ذهب ضحيته ماثنا ألف شخص، وزلزال آخر عام ١٩٧٦م وذهب ضحيته نصف مليون إنسان. للتفصيل راجع كتاب: "الزلازل" الصادر عن

والسبب في ذلك هو: الاهتمام أولاً ، والتخطيط ثانياً ، وحسن التنفيذ ثالثاً ، إضافة إلى التقدم التقني في بلد كاليابان الذي مكنها من مقاومة الزلازل. ومن طرق الوقاية من الزلازل كما قالوا: إيجاد خزانات مائية كبيرة داخل التربة محيطة بالمدن الكبيرة ، فهذه الخزانات تعمل على صدّ موجات الزلازل ، فتمنع من وصولها إلى المُدن.

ومنها: أن توضع أساسات البناء بشكل تتجاوب فيه بدرجة ما مع ضغط الزلزال ، فلا يسبب هدمها وخرابها.

وفي المناطق التي تتعرض إلى الفيضانات ، يمكن إيجاد أنهر صغيرة فرعية ، وهذه الأنهر تقوم بقيادة موجات الفيضانات إلى خارج المدينة ، فلا تصل إلى الناس.

كما وأن إيجاد السدود يحول دون حدوث الفيضانات ، فقد كانت بغداد تتعرض كثيراً للفيضانات ، حتى أنشئ سدّ الثرثار قبل أربعين عاماً على نهر دجلة ، حيث قام بجمع المياه ومنع تسربها إلى المناطق الجنوبية عند ازديادها. كما أن بعض الكوارث ناشئة من التجارب النووية والهيدروجينية ، فلو أوقف العالم ذلك فستنتفي مشاكلها وسليباتها.

٤٣: تكريس الإيمان

يلزم العمل لانتشار ظاهرة الإيمان ومظاهره، من العبادات والأخلاقيات والقوانين الإسلامية وما أشبهه، وسيكون المستقبل إن شاء الله تعالى كذلك. فإنه كلما زادت معارف الإنسان، واتسعت آفاقه العلمية، كلما كثرت صلواته وصيامه ودعاؤه وذكره وخضوعه وخشوعه لله سبحانه وتعالى.

وكلما اكتشف الإنسان مظهراً آخر لعظمة خالقه جل وعلا، ازداد إيماناً و يقيناً وخضوعاً وخشوعاً، وازداد تواضعاً لله عز وجل، ويتجسد هذا التواضع في الصلاة والدعاء وسائر الأعمال الصالحة.

وكلما ازداد وعياً وثقافةً، التف حول الإسلام وأحكامه وقيمه ومبادئه أكثر وأكثر.

وللمثال على ذلك ننقل كلام أحد علماء الفلك، حيث يقول:

(نحن البشر نعيش على سقف هذا الكوكب، خلقنا فيه وليس لنا من الأمر شيء، ونحن جميعاً محكومون بقانونه الفيزيائي، فلا نستطيع أن نغير من قانونه قيد أنملة واحدة.

فهذا الكوكب وتسعة كواكب أخرى تشكل ما يسمى بالمجموعة الشمسية، وهي: الأرض، والمريخ، والزهرة، وعطارد، ونبتون، وزحل، والمشتري، واورانيوس، وبلوتون. ووسط هذه الكواكب جميعاً تقع الشمس التي تُرسل أشعتها إلى أفراد عائلتها التي ذكرناها.

وهذه الحقيقة العلمية الواضحة الآن تعتبر نتيجة الجهود المبذولة عبر أكثر من قرن، وهي أوائل معرفة الكون من حولنا. ولا بد من نظرة مبسطة جداً على بعض هذه المجموعة الشمسية لمعرفة حدودنا وإمكانياتنا، فالشمس التي تراها

بقدر طبق كبير من الطعام تبعد عن الأرض مسافة ١٤٩ مليون كيلومتر^(١)،
ويبلغ حجمها أضعاف حجم الأرض بمليون وثلاثمائة ألف مرة، ثم المشتري وهو
أحد كواكب المجموعة الشمسية، هو أكبر من حجم الأرض بـ ١٢٩٥ مرة، ويبعد
عنها حوالي ٧٧٧ مليون كيلومتر، وبلوتون وهو من كواكب المجموعة الشمسية
يبعد عن الأرض ستة آلاف مليون كيلومتر.

إذاً نحن نعيش في زحمة من الكواكب والأجرام في هذا الكون، وعلى رغم
هذا الزحام، فليس هناك إنسان وطأت قدمه هذه الكواكب على رغم قربها إليها
نسبة إلى بقية الكواكب والمجرات.

صحيح أن قدم الإنسان وطأت سطح القمر في سنة (١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م)،
وهو ليس بكوكب بل هو تابع للأرض، وإذا ما قايستنا بعد القمر عن الأرض
وهو ٣٢٨ ألف كيلومتر^(٢) بالمسافات الطويلة التي بيننا وبين الكواكب الأخرى،
فإننا سنقول حينذاك بأن الوصول إلى القمر ليس بذلك الإنجاز الكبير.

ومع هذه الحقائق يتصاغر الإنسان أمام الله سبحانه، وكلما اكتشف حقيقة
جديدة يزداد تواضعاً واستسلاماً لله تعالى.

والمستقبل سيكون مملوءاً بالمفاجآت العلمية، التي ستزيد من عزيمة الإنسان
وتمنحه الإيمان والإخلاص للخالق عز وجل.

(١) ولا يخفى أن بعد الشمس عن الأرض هو ١٤٧ر١٠٠ر٠٠٠ كم، وبعدها الأعظم عن الأرض
١٥٢ر١٠٠ر٠٠٠ كم، وبعدها الأوسط ١٥٠ر٠٠٠ر٠٠٠ كم، وقطرها ٦٩٦ر٠٠٠ كم،
وتركيبتها الكيماوي هو الهيدروجين والهيليوم وبعض العناصر الأخرى، وإن درجة حرارتها في
المركز ١٦ر٠٠٠ر٠٠٠ كلفن، وعلى سطحها ٥٨٠٠ كلفن، وفي البقعة الشمسية ٤٥٠٠ كلفن.
(٢) يبعد القمر عن الأرض وسطياً ٣٨٤ر٤٠٣ كم بسرعة وسطية تعادل ٣٧٠٠ كم في الساعة،
ويكمل دورة واحدة حول الأرض ٣٦٠٠ درجة خلال زمن أرضي مقداره ٢٧ يوماً وسبع
ساعات و٤٣ دقيقة و١١ ثانية.

٤٤ : زيادة المعارف والعلوم

يلزم العمل لزيادة المعارف والعلوم ، ويعد ذلك من الختميات المستقبلية بإذن الله تعالى ، فستزداد الاختراعات العلمية ، وتزداد المعارف البشرية آنذاك بشكل كبير وفي مختلف المجالات. فإن مع التقدم السريع يزداد اطلاع الإنسان على الحقائق والقوانين الكونية، وسيتوصل إلى مساحات كبيرة من المعرفة^(١).

فموارد المعرفة في هذا الكون كثيرة، لا يمكن إحصاؤها، والبشرية لم تكتشف حتى الآن - وسوف لا تكتشف حتى ظهور الإمام المهدي (عجل الله فرجه الشريف) - سوى حرفين من بين سبعة وعشرين حرفاً، كما ورد ذلك في الرواية^(٢). ثم بعد ظهور الإمام المعصوم عليه السلام وكشفه للبشرية طرقاً جديدة للمعرفة، فإن البشرية ستصل إلى بقية الخمسة والعشرين حرفاً، والأمثلة في هذا المجال كثيرة.

(١) مثلاً من الثابت في المعرفة التجريبية أن المعارف تتضاعف كل عشر سنوات، وأن العلوم في الربع الأول من القرن الواحد والعشرين ستتحول من عصر الاكتشاف إلى عصر السيطرة. ومن الثابت في حقل التجربة أن الكمبيوتر تتضاعف قدرته كل ثمانية عشر شهراً، والإنترنت كل اثني عشر شهراً، وسلالة DNA كل أربعة وعشرين شهراً. للتفصيل عن ذلك راجع كتاب "رؤى مستقبلية" للمؤلف: ميتشيو كاكو، ترجمة: د. سعد الدين خرفان.

(٢) إشارة إلى الحديث الوارد عن الإمام الصادق عليه السلام: «العلم سبعة وعشرون جزءاً، فجميع ما جاءت به الرسل جزءان، لم يعرف الناس حتى اليوم غير الحرفين. فإذا قام القائم عليه السلام أخرج الخمس والعشرين حرفاً، فبثها في الناس، وضم إليها الحرفين حتى يبثها سبعة وعشرين حرفاً». راجع منتخب الأنوار المضيئة: ص ٢٠١، وكتاب الخرائج والجرائح للراوندي: ج ٢ ص ٨٤١.

٤٥: بناء مُدن في الفضاء

يجوز - بالمعنى الأعم الشامل للوجوب المقدمي في مورده - بناء مدن الفضاء، ولعلّه ستبنى في المستقبل مُدن في الفضاء أو في الكواكب الأخرى، فيسافر الإنسان من كوكب إلى كوكب آخر لأموّر تجارية أو سياحية أو ما أشبهه، وهذا ما نشاهد إرهاباته في الوقت الحاضر^(١).

٤٦: إرجاع الطاقة إلى المادة

يجوز - بالمعنى الأعم - إرجاع الطاقة إلى المادة، وسيصبح من الممكن في المستقبل إعادة الطاقة إلى المادة. فالطاقة والمادة قد يكونان كوجهين مختلفين لشيء واحد، والعلماء الباحثون عاكفون على دراسة هذا الأمر، بعدما نجحوا في تحويل المادة إلى طاقة، كما يحصل في المفاعلات الذرية التي تولد الكهرباء. وهم الآن بصدّد تحويل الطاقة إلى مادة، ولكن الصعوبة تكمن في عدم توفر الأسباب والوسائل العلمية والعملية المناسبة لهذا الأمر في الوقت الحاضر. وفي القرآن الكريم ما يشير إلى ذلك، فقد ذكر الله تعالى في سورة النمل قصة نبي الله سليمان عليه السلام مع بلقيس ملكة اليمن، ونقل عرشها بالرغم من تلك المسافة الكبيرة الفاصلة بينهما، وقلة الوسائل الممكنة في ذلك الزمان. فبعدها طلب سليمان عليه السلام من أتباعه نقل عرشها، **إِقَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ**

(١) ولا يخفى أن في الكون كواكب يسكنها البشر، وقد أشار إلى هذه الحقيقة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: «هذه النجوم التي في السماء مدائن مثل المدائن التي في الأرض»، راجع تفسير البرغاني: ص ١٣٧ تفسير سورة البقرة الآية ٣٠، وتفسير القمي: ج ٢ ص ٢١٨ - ٢١٩ في تفسير سورة الصافات، خبر عمران الكواكب. كما أن بعض العلماء الغربيين ذكر أن في الكون مائة ألف نجم مسكون.

مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ»^(١)، فالذي عنده علم من الكتاب ربما - والله أعلم بحقيقة الحال - استفاد من هذه التقنية العالية والفاثقة السرعة، فحوّل عرش بلقيس من مادة إلى طاقة أولاً، ثم أرسلها ثانياً، وعند وصولها واستلامها أعاد هذه الطاقة إلى مادة مرة أخرى، وعلى ما كانت عليه سابقاً. ولذا عندما حضرت بلقيس عند سليمان عليه السلام، خاطبها قائلاً: [أَهْكَذَا عَرْشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوْتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ]^(٢).

إذن فهذا الأمر ممكن حدوثه، والعلم لا يمنع من ذلك، ولكن يبقى على العلم والعلماء تذليل الصعوبات والعقبات التي تقف بوجه هذا الأمر. وإذا ما ذُلت هذه الصعوبات والعقبات وأُزيحت من الطريق، فستحصل تغييرات جذرية في حياة الإنسان، وسيكون بالإمكان إرسال إي شيء كان حتى لو كان قصراً فحماً - كعرش بلقيس مثلاً - وإلى إي بقعة كانت ولو بعيدة جداً، وفي لمح البصر أو أقل من ذلك إن شاء الله تعالى.

٤٧: الحيلولة دون الجرائم

يجب الصد عن الجرائم، ومن المحتم للعلم أن يكتشف طرقاً جديدة لكشف الجريمة، وبذلك وبغيرها من الأساليب الوقائية يمكن تقليص الجرائم في المستقبل. إذ من الممكن اكتشاف أعقد الجرائم بعد ساعات قليلة من حدوثها أو أقل من ذلك، كأن تلتقط الصورة الحرارية التي تفرزها الأجسام، والتي تبقى في الفضاء، فيعاد تصوير الحادثة التي تمت بها الجريمة، فيُعرف المجرم وكيف ارتكب جريمته.

٤٨: ضحايا الجوع

(١) سورة النمل: ٤٠.

(٢) سورة النمل: ٤٢.

ستتقلص في المستقبل الهوة بين الأغنياء والفقراء، خاصة بعد زوال الربا والجشع والطمع والاستعمار، وتعديل برنامج صندوق النقد والبنك الدوليين، وخاصة إذا انتشر الإسلام الواقعي، الذي يكفل الحريات ويضمن التكافل الاجتماعي، ويوجب ثراء الناس جميعاً.

إن هذا البون الشاسع الذي تعيشه البشرية اليوم، يأباه العقل والفطرة الإنسانية، فقد دلت الإحصاءات على أن خمس العالم يسيطرون على أربعة أخماس ثروات البشرية، وأن أكثر من سبعمائة مليون شخص في العالم يفتقر إلى فتات خبز يعيش عليها^(١)، وهذا ما يجعل عقلاء العالم يفكرون في حلول لها.

٤٩: الارتباط بالجن والمَلَك والروح

يجوز في الجملة الارتباط بالجن والمَلَك والروح، ولا يستبعد أن يكون المستقبل بشكل يجعل الإنسان مرتبطاً بهؤلاء بما يخدم البشر، فهناك إرهابات تدل على ذلك، وقد كُتبت في هذا المجال كتب كثيرة.

فإن التقدم العلمي والديني يجعل الارتباط بهؤلاء أمراً قريباً، وقد بنى بعض علماء الغرب على إمكان أن يوصلوا روحاً أو جنّاً أو ملكاً إلى المجرات الأخرى التي لا يمكن الوصول إليها إطلاقاً بسبب هذا الجسم العادي.

فالملائكة كما عبر عنهم الله تعالى في محكم كتابه: ﴿قَالُمُدَبَّرَاتِ أَمْرًا﴾^(٢)، وقال جل وعلا: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ

(١) هذا وفق الإحصاءات القديمة، أما إحصاءات عام ٢٠٠٣م فتشير إلى وجود ثمانمائة وأربعين مليون جائع في العالم، وهم يتوزعون على ثمانٍ وثلاثين دولة: ثلاث وعشرون منها في قارة إفريقيا. وأن خمس سكان العالم يعيشون على أقل من دولار واحد في اليوم، وأن أربعة وعشرين ألف طفل يموتون يومياً من الجوع. وتشير التقارير إلى أن مشكلة هذه المجاعة ليست ناشئة من قلة الغذاء، وإنما من سوء التوزيع، واحتكار الاقتصاد والزراعة والتجارة.

(٢) سورة النازعات: ٥.

كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴿١﴾، ولا يكون كل ذلك إلا بإذن الله تعالى وإرادته.

كما أن بعض علماء الغرب بصدد أن يتمكنوا من تحويل الإنسان إلى طاقة ثم الطاقة إلى إنسان، وقد أشرنا إلى قول بعض العلماء بالنسبة إلى قصة عرش بلقيس أن آصف بن برخيا حينما أحضر العرش أمام سليمان عليه السلام قد بدل المادة - الجسم - إلى طاقة والطاقة إلى المادة ^(٢).

فبناءً على ذلك تكون الطاقة كالتخيل، فكما باستطاعة الإنسان أن يسرح خياله إلى أبعد نقطة، فيتصورها في لحظة واحدة، كذلك يتصور أن يرسل الإنسان طاقته إلى أبعد نقطة متصورة في الكون، فتأمل.

٥٠: حقوق الإنسان الكاملة

المستقبل سيضمن حقوق الإنسان بالمعنى الكامل والشامل، للصغير والكبير، والرجل والمرأة، والضعيف والقوي، وذلك عند حصول الوعي والقضاء على بواعث الظلم والطغيان.

أما اليوم فلا حقوق للإنسان، وإن كانت هناك مؤسسات تدعي رعاية ذلك، فإنها أشبه بشعارات فارغة من واقع خارجي، ومجرد إعلام ودعاية. ولكن المستقبل بإذن الله تعالى سيضمن الحقوق حتى لسائر المخلوقات من الحيوانات والجمادات، فكل يأخذ حقه من دون تعد على حقوق الآخرين.

(١) سورة السجدة: ٥.

(٢) إشارة إلى الآية الكريمة في سورة النمل: ٤٠، ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾.

الفصل الثاني

المنهجية في الدراسة

وفيه مسائل:

❖ العالم ومراكز الدراسات المستقبلية

❖ كيف نتنبأ بالمستقبل؟

❖ التنبؤ حسب موازين العقل والمنطق

❖ العلم بالمغيبات

❖ المستقبل بين الضرر وعدمه

العالم ومراكز الدراسات المستقبلية

مسألة: يلزم تأسيس مراكز الدراسات المستقبلية لمعرفة المستقبل ومتغيراته، ولأجل أن نكون صنّاعاً للمستقبل أو من صنّاعه على الأقل، ولكي نكيّف أنفسنا مع تلك المتغيرات.

وسنشيرها هنا إشارة بسيطة لمراكز الدراسات المستقبلية في الغرب وغيره، كي تكون عبرة لنا، لأنها من أسباب تقدمهم وسيطرتهم على العالم.

يقال: إن أول مركز تأسس لدراسة المستقبل - في العصر الحديث - كان في الولايات المتحدة^(١)، وتبعتها بعض الدول الغربية: كفرنسا، والسويد،

(١) كان لأمريكا قصب السبق في تأسيس مراكز الدراسات، وقد ظهرت فيها مئات المنظمات والهيئات التي ركّزت جهودها - كما تدعي - على بحث سبل وآليات خطط السلام في العالم، وقد قامت الحكومة الأمريكية بتنسيق جهود هذه المراكز، وشجّعت أعضاء الكونجرس والحزبين: الجمهوري والمحافظين على المشاركة.

يقول الدكتور حسن ناعفة في كتابه "الأمم المتحدة في نصف قرن" ص ٥٩: «إن الإدارة الأمريكية بادرت في مرحلة مبكرة جداً إلى تنسيق جهود المنظمات غير الحكومية، وجهود الجامعات، ومراكز البحث العلمي المهتمة بقضايا التنظيم الدولي، في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية»، ويضيف في ص ٦١: «ففي أمريكا خلال فترة الحرب الثانية تشكلت ما يقرب من ١٠٠ مجموعة عمل داخل الكليات، والجامعات الأمريكية المختلفة لدراسة مشكلات ما بعد الحرب، ونسّقت هذه المجموعات فيما بينها من خلال لجنة الجامعات لدراسة مشكلات ما بعد الحرب، وهي اللجنة التي حصلت على مقر لها في مؤسسة السلام العالمي. كما اهتمت العديد من الهيئات والمنظمات العربية الأخرى العاملة في حقل العلاقات الدولية، مثل: مجلس الشؤون الخارجية، ورابطة السياسة الخارجية، بدراسة قضايا التنظيم الدولي في مرحلة ما بعد الحرب».

وتشكّلت في أمريكا عام ١٩٣٩م لجنة دراسة تنظيم السلم، وأصدرت أربع دراسات مهمة خلال الأعوام ١٩٤١ - ١٩٤٤م.

وفي أواسط الثلاثينات طلبت الحكومة الأمريكية من وزارة الخارجية، الإعداد لمشروع ◀

والدانمارك، وألمانيا. وقد بلغ العاملون في هذه المراكز في الولايات المتحدة وفرنسا ٢٤٠ ألف متخصص حسب بعض الإحصاءات.

وفي السويد أنشأت في عام (١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م) إدارة لاستعراض دور الدراسات المستقبلية باسم (اختيار المستقبل)، وفي تلك السنة أنشأت أمانة عامة للدراسات المستقبلية، وقامت هذه الأمانة بدراسات رئيسية عن سوق العمل، والمواد الطبيعية، والمواد الخام، ودور السويد في العالم.

وقد أثار بعض الباحثين السويديين نقاشاً حاداً حين نشرت دراسة في السويد، أثارَت مسألة دراسية هامة هي: هل يمكن للسويد أن ترغب في تحديد مستوى استهلاكها لبعض المناطق الرئيسية؟.

وقال ذلك الباحث: إن معدلات النمو الحالية قد تؤدي إلى أرقام منافية للعقل وفي عقود زمنية قليلة، فماذا تفعل السويد بخمسة أضعاف ما لديها من صحف الآن، أو بأربعة أضعاف ما لديها من سيارات؟.

وفي الدانمارك تشكلت لجنة للدراسات المستقبلية، وأعدت تلك اللجنة تقريراً عن الدانمارك حتى عام (١٤١٠هـ / ١٩٩٠م)، كما قام معهد الدراسات

► دخول منطقة الخليج، فأوعزت وزارة الخارجية إلى مراكز الدراسات أن تقدم ما لديها في هذا الصدد، بفترة زمنية لا تتجاوز الستين. وانتخبت الحكومة إحدى الدراسات التي تنص على أن العراق هو بوابة الخليج. ومنذ تلك الفترة قامت الحكومة الأمريكية بالنفوذ في العراق عبر تقوية علاقاتها مع بعض المسؤولين في العهد الملكي، ومع بعض التجار. وبالفعل فقد تحقق حلم الأمريكيان بعد تنصيب حزب البعث في العراق الذي جاء بقطار أنجلو أمريكي على حدّ تعبير أمين سر القيادة القطرية، ووزير الداخلية، ونائب رئيس الوزراء، علي صالح السعدي في نهاية الستينات، وعلى حدّ تعبير عضو مجلس قيادة الثورة، ورئيس أركان الجيش، وقائد سلاح الطيران حردان التكريتي في مذكراته. وكما ذكر ذلك زبير سلطان قدوري في كتابه: "بغداد على خط الصفر"، وبالفعل لقد تحقق حلم الأمريكيان باحتلال العراق مباشرة عبر القضاء على صنيعتهم طاغية العراق المدوم صدام التكريتي في ٩/٤/٢٠٠٣م.

المستقبلية في العاصمة الداغارية كونهايغن بالتنبؤ عن التطورات السياسية والاقتصادية.

وكانت النزعة المستقبلية الألمانية قوية بإيعاز أو تشجيع من أحد العلماء، وكان ذلك العالم قد عزز دراسة المستقبل منذ عام (١٣٦٢هـ / ١٩٤٣م)، حينما كان راجعاً من الولايات المتحدة الأمريكية.

وكان هناك مركز في برلين في بحوث المستقبل، وهو يصدر مجلة تتضمن بحوثاً على مستوى رفيع، ومواد أخباره قصيرة تهم الموظفين والمسؤولين، الذين يحاولون التطلع إلى المستقبل.

كما أنشئت في ألمانيا جمعية تعزيز بحوث السلام والأمور المستقبلية، وقد تم تأسيسها عام (١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م)، وأنشئت كذلك جمعية باسم "المستقبل" عام (١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م).

وفي مكان على مقربة من صحراء سيناء المصرية، تأسس المعهد الدولي لتحضير الأنظمة التطبيقية، ويقوم هذا المعهد بعمل وثيق الصلة بدراسة المستقبل، حتى يمكن النظر إليه على أنه معهد ذو توجه مستقبلي. واهتم جمع من العلماء في بولندا بالبحوث المستقبلية.

كما توجد في هولندا مؤسسة مكرّسة بشكل تقني لخدمة الدراسات المستقبلية. وفي أكاديمية العلوم الهولندية مجموعتان مستقبليتان ناشطتان، إحداهما ملحقة بلجنة البحوث والتكهنات، والثانية مركز للبحوث التنبؤية.

وفي إيطاليا بدأ في عام (١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م) معهد البحوث الاقتصادية والتطبيقية أعماله، وكان مقره في روما، وقام المعهد بإصدار مجلة المستقبل، وبدأت مجموعة أخرى بإنشاء معهد في روما، معهد اللغات التطبيقية والدراسات، وقامت هذه المجموعة بإصدار نشرة خبرية عن الدراسات

المستقبلية، وأصدرت كتاباً تحت عنوان: "التنبؤ الاجتماعي".

وفي بريطانيا تأسست مؤسسة باسم "مؤسسة المستقبل العالمية"، ولديها لجنة تبحث عن دراسة الثلاثين سنة المقبلة، شكّلها مجلس العموم الاجتماعي، ولها أفراد بدؤوا يستقرؤون احتمالات المستقبل، وهكذا فإنّ لمؤسسة المستقبل العالمية مركزاً نشطاً في لندن.

وهناك أيضاً مركز دراسات الأمور المستقبلية في مدينة (ليدز) البريطانية، وفي أمكنة أخرى من أوروبا.

وقد نظّمت الرابطة السويسرية لبحث القضايا المستقبلية، أدوات وحلقات بحث، ودورات ومجموعات عمل، وأصدرت نشرة شهرية في ذلك. وفي إسبانيا يوجد (نادي أنصار علم المستقبل). إلى غيرها من المراكز العديدة التي تهتم بالمستقبل ودراساته.

البلاد الشيوعية ومراكز الدراسات

وتصدرت الدول الشيوعية عدداً من الدول الأخرى في المركزية والتحقيقات والبحوث الحكومية، ولكنها لم تبدُ طليعية في دراسات المستقبل كما هو كذلك في الغرب وسره واضح، فهناك - أي الغرب - بعض الحريات التي تكفل إنجاح هذه الدراسات، بينما روسيا الشيوعية ومن في فلكها ليسوا كذلك، فهم خاضعون للتوجيه الحكومي الديكتاتوري، وكأنّ المسؤولين الشيوعيين اتخذوا موقفاً مسبقاً هو: إن الشطر الأهم من المستقبل قد بات معروفاً، فالرأسمالية ستنتهار أخيراً والشيوعية ستنتصر، ولذا كان الأمر المهم لديهم هو العمل لذلك الهدف بأسرع وقت ممكن.

وبرأي الشيوعيين فإنّ مجموع هذه المشاكل الموجودة في العالم الغربي لاتحدث إلاّ في ظلّ الرأسمالية، وحيث إنّ الرأسمالية في طريقها إلى الانهيار

فلا فائدة من دراساتها المستقبلية!.

لكن الأمر حدث بصورة عكسية، فالشيوعية انهارت وروسيا الشيوعية تحطمت، وبقي الغرب كما كان نتيجة وجود بعض الحريات والتعددية الحزبية وتداول السلطة والإعلام المعارض - ولو نسبياً - وكثرة منظمات حقوق الإنسان، وتنوع مراكز الدراسات غير الحكومية أيضاً وشبه ذلك، ولذلك بقي الغرب مع تطوير بسيط.

لكننا ذكرنا في كتاب "الغرب يتغير" أن الغرب أيضاً لا يبقى على الكيفية الحالية، وإنما يتطور تطوراً باتجاه الأخذ بقوانين الإسلام الإنسانية أكثر فأكثر حسبما يظهر من القرائن؛ لأن التقدم - نحو الأصلح - هو حتمية لا بد منها في حركة التاريخ، وأية دولة من الدول تقف أمام ذلك فإنها تدريجياً ستضعف وتتأخر ولعلها ستسقط.

أما سبب عدم تقدم الشيوعيين في مجالات الدراسات المستقبلية؛ فلأنهم لا يسمحون للعلماء بتأسيس معهد أو رابطة مستقلة أو حتى شبه مستقلة، ولا بإصدار مجلة أو جريدة بدون الدعم والتوجه الحكومي، ولذا يصعب على المنظمات المستقبلية في البلدان الشيوعية أن تكون واقعية وأن تتطور، إلا أنها مع ذلك أخذت بالظهور قبل سقوط الحكومة الشيوعية وتنشطت بعد سقوطها.

وقد التحق المعسكر الشيوعي - بعد الانهيار - بالغرب الرأسمالي في إنشاء المؤسسات المستقبلية، فأحد مراكز الدراسات المستقبلية لديهم حالياً هو أكاديمية العلوم، حيث يقوم العلماء هناك بتفسير الشؤون المستقبلية الغربية وتأويلها.

وهناك أكاديمية البحوث الاجتماعية في موسكو، ومركزه في قسم التنبؤ الاجتماعي، وقد وضعت الأكاديمية عدداً من الكتب والدراسات المفسرة للمستقبلية الغربية بموجب النظرية الماركسية. وقد حضر سابقاً أحد العلماء الروس عام (١٣٩١هـ / ١٩٧١م) الجمعية المستقبلية العالمية في واشنطن، وأصدر

كتاباً عن كيفية تنبؤ العلماء والرأسماليين في الولايات المتحدة بالتطورات والعلاقات الدولية.

وفي وارشو البولونية هناك مؤسسة باسم "مجموعة التكهّنات الاجتماعية"، وقد نشرت عام (١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م) مجلداً عنوانه: "مشكلات علم الطرائق التنبؤية".

وفي رومانيا أسّس المركز الدولي للعلم طرائق الدراسات التنموية والمستقبلية، وأقيم في بخارست العاصمة مركز للتحقيق، وذلك عام (١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م) باسم مخبر البحث المنظوري، وقد قامت هذه المجموعة بقدر كبير من العمل في حقول عديدة، مثل: التنبؤ بوضع النظم العالمية، وتصميم النظام. وفي المجر مجموعة تقوم بدراسة علم المستقبل، ومقرها جامعة "كارل ماركس للعلوم الاقتصادية"، عملت على نحو طويل حول اتساق التنبؤات المعقدة، وحول الترابط بين البحوث المستقبلية والتخطيط الاجتماعي.

وروسيا قامت بما يمكن أن يعد جهداً كبيراً شارك فيه آلاف الأفراد، وإدارة مجلس المعونة الاقتصادية المتبادلة ويسمى بـ (الكوني كون)، وهو يخدم بلدان أوروبا الشرقية وكوبا وجمهورية منغوليا الشعبية، وقد ركز هذا الجهد اهتماماً خاصاً على فكرة حاصلها كيف ومتى يمكن للتطور الاقتصادي في البلدان غير الأوروبية أن يصل إلى المستوى الغربي؟.

وذكر بعض العلماء أن التنبؤ الاقتصادي في (الكوني كون)، يبلغ الآن مرحلة جديدة مع انهماك الدول في التنبؤ المشترك للطاقة البشرية، والدخل القومي، والأرصدة الثابتة.

ففي رأي بعض علمائهم أن (الكوني كون) سيقوم بتنبؤات على نطاق عالمي، لكن من الواضح أن روسيا لا تتمكن أن تصل إلى البلدان الغربية الحرة - نسبياً -؛ لأن الحرية هي أساس التقدم الاقتصادي والسياسي والاجتماعي

والتربوي وهي تفتقدها.

نعم، إذا تغيّر الوضع في روسيا وأخذت تنتهج الحرية الحقيقية - لا الشعار فقط - أمكن لها بعض الالتحاق بالغرب ولو بعد عشر سنوات أو أكثر.

نماذج أخرى من سائر الدول

وطوّرت اليابان في السنوات الأخيرة، عدداً من المؤسسات ذات الاهتمام المستقبلي، فالجمعية الاقتصادية التقنية اليابانية التي شكّلت في طوكيو عام (١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م) أقامت "معهد تكنولوجيا المستقبل". وفي اليابان أيضاً رابطة ذات توجه مستقبلي وهي "جمعية علم المستقبل اليابانية".

وفي الهند مركز لدراسة المجتمعات النامية، أنشئ في عام (١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م) وتموّله الحكومة الهندية، وعمله عمل تحليلي ومعياري حول التحديات المستقبلية التي تواجه المجتمعات، وقد ألف أحد علماء المستقبل كتاباً تحت عنوان: "خطوات نحو المستقبل" لأجل هذا الشأن.

وفي كوريا الجنوبية "معهد العلوم والتكنولوجيا"، الذي يبحث في مشروعات ترتبط بالمستقبل، كما أن "الجمعية الكورية للمستقبل" تركّز حالياً اهتماماً رئيسياً على نوعية الحياة في مجتمع كوري سريع التغيّر.

وفي كندا أسّست "الرابطة الكندية لدراسات الأمور المستقبلية"، ولها عدد من الفروع مثل "جمعية المستقبل العالمي"، وتصدر نشرة رئيسية بعنوان "كندا المستقبل".

ولدى جمهورية أفريقيا الجنوبية وحدة لبحث الأمور المستقبلية، وهي تتوقع أن تُصدر تقريراً عن الاتجاهات البعيدة المدى في جنوبي أفريقيا، ودليلاً تنظيمياً لدراسة الأمور المستقبلية، إلى غير ذلك.

وبذلك نجد أن جملة من البلاد الحرّة وغير الحرّة لها هذه المناهج، ولعل عمر هذا العلم لم يتجاوز الثمانين سنة.

البلاد الإسلامية وعدم دراسة المستقبل

أمّا في البلاد الإسلامية فلا شيء من هذا القبيل، اللهم إلا بعض البرامج المتناثرة هنا وهناك، والتي لا تتناسب مع إمكانات هذه الدول، ولا مع قدرات شعوبها الهائلة، ولا مع حجم التحديات، وذلك على الرغم من سعة بلاد الإسلام وكثرة المسلمين، حتى أن بعضهم عدّ المسلمين في الحال الحاضر مليارين، ولهم اثنان وخمسون دولة أو أكثر، بالإضافة إلى الجاليات الإسلامية الموزعة في بلاد أوروبا وأمريكا والهند وفرنسا وبريطانيا والصين وغيرها.

منظمات ذات التوجه المستقبلي

وكيف كان، فليس الأمر مجرد تنبؤات واحتمالات وتكهّنات وتراجيح، بل إنه التخطيط لتغيير المستقبل، فإن إنشاء المعاهد للبحوث والعلاقات ذات التوجه المستقبلي يدلّ على أن المستقبلين أخذوا بالعمل بشكل متزايد في موقع تأثير رئيسي على الحكومات، وكذلك في الأعمال التجارية والشركات، والتعليم والترية والميادين الأخرى من الحياة الإنسانية، ومن السهل نسبياً في الوقت الحاضر على المسؤولين الحكوميين ورجال الأعمال، طلب دراسات عن المستقبل، وتكليف الباحثين بها.

ولا يبعد أن يحصل ذلك في المستقبل القريب، بعد أن باتوا يدركون جدوى هذا النمط الجديد من الخبرة وأهميته.

التنسيق العلمي

وقد تطورت المنظمات ذات التوجه المستقبلي، بإقامة روابط بين المستقبلين، والعاملين في ميادين مختلفة في كل بُعد من أبعاد الحياة. ففي بداية الستينات^(١) كان لا يعرف المتنبئون التكنولوجيون في صناعة الفضاء شيئاً بالمقدار المطلوب عن المتنبئين في علم الاجتماع، كما لم يكن يعرف المتنبئون الاقتصاديون والرياضيون شيئاً عن علماء الدين الروحانيين المعنيين بمستقبل الدين.

أما الآن فقد اختلف الحال، إذ تبين ضرورة تكاملية النظرة المستقبلية من مختلف الجهات، وبات بمقدور المستقبلين المختلفين أن يتصلوا بزملائهم في الحقول الأخرى، وأصبح معظمهم يعي تماماً أن كل الأشياء يعتمد بعضها على بعض، ويرتبط بعضها ببعض ارتباطاً وثيقاً.

فكما أن الاقتصاد لا يستغني عن السياسة، والسياسة لا تستغني عن الاجتماع، هكذا في الحال الحاضر، كذلك الحال بالنسبة إلى المستقبل، فالاقتصاديون المستقبليون بحاجة إلى الاجتماعيين المستقبلين، وبذلك تتم الدراسات المتكاملة ذات الأبعاد المختلفة^(٢).

وقد عقدت مؤتمرات لأجل التعاون والتنسيق والتوفيق البحثي، ذلك مثل مؤتمر نُظّم للتعاون مع شركة كندية، قام فيه خمسة وثلاثون باحثاً للبحث عن الاتصالات اللاسلكية كبديل للسفر الشخصي.

ومثل محاكاة اجتماع لفريق عمل دولي عن مستقبل شبكات المعطيات الرقمية، حيث قام ثمانية عشر طالباً بأدوار مندوبين إلى اجتماع عقد في جنيف

(١) أي منذ عام ١٣٨٠هـ.

(٢) فبعضها يكون بالاجتهاد، وبعضها يكون بالتقليد.

لاتحاد الاتصالات اللاسلكية، ودافعوا عن مواقف الدول المشتركة.

ومثل مؤتمر تحقيق لبحث السياسة في التعليم، وقد جمع ما بين باحثي المعهد ومجلس إدارة مؤسسة بهذا الشأن.

ومثل مؤتمر دولي نظّمه المختبر التابع للجنة الطاقة الذرية، لدراسة نتائج التلوث الكبريتي على الكائنات البشرية، وقد أسهم عشرون مشاركاً في هذا النشاط.

ومثل مؤتمر جمع ما بين عدد من مراكز البحوث لدارسة التعليم التجريبي، وقد رعاه المعهد القومي للعلوم الاجتماعية الذي أخذ في العلم والتوسع منذ عام (١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م).

ومن الواضح أنّ الريادات المستقبلية قد تسهم أيضاً بميدان التاريخ الذي يدرس عموماً، فإنها تكشف كشافاً نسبياً للاتجاهات والأحداث كما سارت عليه وجرت.

ولكن المستقبل كما يراه المستقبليون يكشف مدى منوعاً لا نهائياً من السبل البديلة في عالم تكثر فيه الاحتمالات. والتوفيق بين بحثين قد يغيّر نظر الناس إلى التواريخ وما يجري في المستقبل.

كيف نتنبأ المستقبل؟

مسألة: كيف نتنبأ المستقبل؟

الجواب:

١: دراسة الماضي

أولاً: يمكن ذلك بواسطة دراسة شمولية وتحليلية للتاريخ الماضي، وكذلك دراسة شاملة للحاضر.

فإن دراسة الماضي تكشف للإنسان آفاق المستقبل، وعادة أفكارنا عن المستقبل تأتي من الماضي لا من المستقبل نفسه، وذلك واضح لأن المستقبل لم يأت بعد، فما حدث في الماضي هو مصدر إرشاد الإنسان إلى ما قد يحدث في المستقبل.

والمستقبلون لا يقتنعون بمجرد فهم أبعاد ما حدث في الماضي، بل إنهم يستخدمون معرفتهم الفنية والتقنية الآنية في فهم احتمالات المستقبل، والتخطيط له أيضاً. فالماضي قد مضى بخيره وشره، وقيمة الماضي تكمن بإمكان استخدامه لإنارة المستقبل.

أما كيف يمكن استخدام الماضي لدراسة المستقبل؟

فإن إحدى الطرق هي:

افتراض أن الأوضاع التي كانت في الماضي سوف تتواصل في المستقبل مع لحاظ المتغيرات القطعية والمحتملة.

مضافاً إلى دراسة الأسباب والمسببات والعلل والمعاليل، فإن كل سبب ينتهي

إلى نفس المسبب ، وتلك سنة الله الثابتة في الكون.

ويتوقع البعض أن الحاضر مرآة المستقبل في الجملة ؛ لأن الوضع الذي يلحظه الإنسان في هذا اليوم سيقى بنفسه إلى فترة من الزمن ، أو يتغير قليلاً في المستقبل.

نعم ، قد يكون التغيير كثيراً أو كبيراً. مثلاً: الإنسان يتوقع أن تبقى النجف الأشرف في مكانتها الرفيعة وفي خصوصياتها سنة ٢١٠٠م ، كما أنه يتوقع أن يكون عدد سكان العالم سنة ٢١٠٠ أضعاف سكانه اليوم.

نعم ، الأصعب في الأمر هو اكتشاف (المتغيرات) التي تؤثر في النسبة والكيفية ، وفي اكتشاف درجة التغيير أو التطور.

كما أن من سبل التوصل إلى ما ذكر ، هو استخدام علم الرياضيات في ذلك ، ومن أبسط أشكال ذلك استخدام العمليات الأربع الشهيرة.

٢: انتقاء الأحداث

وثانياً: ويمكن ذلك عن طريق: (قاعدة إعادة الأحداث)، فإن نماذج معينة من الأحداث تتكرر من وقت لآخر، بما يتقدمها من إرهاصات، وبما تحمل من وقائع، وبما تنتج من آثار؛ وذلك لأن الله تعالى خلق الكون على وتيرة واحدة في الكليات إلا الاستثناءات.

مثلاً: حين ينخفض الزئبق في مقياس الضغط الجوي نتنبأ أن عاصفة قد تجتاحنا في القريب العاجل.

والنتيجة: أننا إذا لاحظنا حدثاً في الحال والحاضر يشبه حدثاً ما في الزمن الماضي، فإننا سنصل إلى أن نتائج هذا الحدث في المستقبل ستكون شبيهة بنتائج ذلك الحدث في الماضي على الأغلب.

وهذه القاعدة يمكن تطبيقها أيضاً في السياسة، فوضع جديد يمكن وصفه

مثلاً بأنه يشبه الوضع السابق؛ فإذا حدث انقلاب في العراق بسبب قيام عبد الكريم قاسم^(١) الذي قتل ونهب وسجن وعذب، ثم ذهب ذلك الحكم بذهاب عبد الكريم، وجاء حزب ثانٍ مكانه بالانقلاب عليه، نتبأ أن هذا الحزب الثاني أيضاً إذا عمل نفس تلك الأعمال سيكون مصيره كسابقه.

وهذا هو سبب (التعميم في الأشياء) و(شموليتها) كالأزمات والأمراض والأدوية والفصول.

ومثاله الواضح: حين نرى أن إشارة المرور أضواء ضوءاً أحمر، فإننا سنعرف على الفور بأن ذلك مثل الضوء الأحمر السابق الذي شاهدناه في بلد آخر وفي وقت سابق، حيث يلزم علينا أن نقف حتى تتغير الإشارة إلى خضراء، وإن كنا لم نر خصوص هذا الضوء الأحمر من قبل.

وهكذا تكون لرغباتنا أدوار في تشكيل أفكارنا المستقبلية، مثلاً نحن نشعر بالعطش فنطور فكرةً في الحصول على كأس من الماء بدل الاعتراف باليد أو غير ذلك، أو نحس بالقلق فنطور فكرةً للقيام بنزهة أو مطالعة كتاب أو القيام برسم أو غير ذلك.

(١) عبد الكريم قاسم محمد بكر الزبيدي، ولد في بغداد عام ١٩١٤م. التحق بالكلية العسكرية في ١٩٣٢م وتدرج في الرتب العسكرية. انتمى لتنظيم الضباط الأحرار عام ١٩٥٦م. قام بانقلاب عسكري عام ١٣٧٧هـ الرابع عشر من تموز عام ١٩٥٨م، فأطاح بالحكم الملكي بعد أن قتل أغلب أفراد العائلة الملكية بما فيهم الملك فيصل الثاني. أعلن الحكم الجمهوري وشكل مجلس السيادة، وترأس مجلس الوزراء إضافة إلى وزارة الدفاع بالوكالة لثلاث دورات. ألغى المظاهر الديمقراطية كالبرلمان والتعددية الحزبية ما عدا الحزب الشيوعي. كما ألغى الحكم المدني وأضحت البلاد خالية من الدستور. تعرض خلال فترة حكمه إلى محاولة اغتيال فاشلة. أطيح بنظام حكمه عن طريق انقلاب عسكري دبره عبد السلام عارف مع مجموعة من الضباط البعثيين أمثال: أحمد حسن البكر، وصالح مهدي عماش، وغيرهم وذلك في يوم الثامن من شباط عام ١٩٦٣م، ثم أُعدم رمياً بالرصاص في اليوم التالي مع بعض رفاقه في دار الإذاعة ببغداد.

وكثيراً ما يقود التفكير بما يسرنا إلى أحلام اليقظة الفاعلة في الجملة في كشف المستقبل أو صناعته، إذ من الواضح أن أحلام اليقظة قد تساعدنا على كشف بعض ما نريده، فهي بذلك تسبب دوراً في مساعدتنا على اتخاذ القرارات الصائبة، إذ باستكشاف الأفكار المرضية - السارية وغير السارية - قد نملي مفهوماً عن الأهداف التي نريد تحقيقها.

وقد ذكر بعض الأطباء: إن عشرة مليارات من الخلايا العصبية موجودة بأدمغتنا، فيها كمية هائلة لا نعرف عددها من المعلومات عما حدث في الماضي، وحين نستخدم هذه المعلومات لتكوين أفكار عن المستقبل يجب أن نكون انتقائيين؛ لأن جزءاً صغيراً فقط يمكن استخدامه في أية لحظة لتفكيرنا الواعي؛ وإحدى القوى الرئيسية في انتقاء ذكرياتنا للتفكير فيها هي حافظتنا ودافعنا الحالي.

نعم، يلزم أن نجعل في الحساب أيضاً: الطوارئ أو المصادفة بمعناها العرفي لا الفلسفي، مثلاً: من ذهب في طريق مكرراً ومرّ على نهر من الماء أو أنبوب أو ما أشبه ذلك، فإنه يحتمل أن لا يكون الأنبوب في هذه المرة موجوداً بسبب أمر طارئ كالزلازل أو أسباب أخرى، لكن الكلام غالباً في العموميات.

التنبؤ لا يعني الحتمية

ومن هنا فليس من الصحيح اعتبار (التنبؤ) أمراً قطعياً ذا نتائج حتمية، فإن الأمور كلها بيد الله عز وجل.

كما أنه لا ينبغي الغفلة عن دراسة الاحتمالات الأخرى وإن كانت ضعيفة، والاستعداد لها.

اللهم إلا لمن عنده علم الغيب من الله تعالى، وهم الأنبياء والأئمة المعصومون ﷺ.

التنبؤ حسب موازين العقل والمنطق

مسألة: يلزم أن يكون التنبؤ بالمستقبل حسب موازين العقل والمنطق، لا حسب موازين العاطفة وردود الأفعال. كما نشاهد ذلك في الثورة الشيوعية في روسيا حيث لم تكن الموازين عقلية ومنطقية، وإنما كانت عاطفية وردود أفعال في أحسن الفروض.

من هنا كان من المحتم أن يعتبر الناس وتعتبر الحكومات المستبدة بمصير الاتحاد السوفيتي، وأن تقدم مراكز الدراسات المستقبلية بدراسة هذه التجربة البشعة، بشتى جوانبها للاستفادة منها للحيلولة دون قيام أنظمة دكتاتورية مشابهة ولو بنسبة عشرة بالمائة في المستقبل، بأن تدرس عوامل نشوء وتكون وقوة ونمو وسيطرة الشيوعية ثم عوامل سقوطها الذريع.

فقد كان نجاح الثورة وسيطرتها لعوامل موضوعية - لا ترتبط بسلامة أو قوة المنطق والفكر الشيوعي أبداً - وأخرى عاطفية.

ومن أهم العوامل الموضوعية: انفصام النظام وتهرؤه، والتعامل الفوقي الجائر، والديكتاتورية التي بلغت إلى أبعد حد، وتردي الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، والتخلف المشين بالقياس إلى الغربيين الذين تقدموا أثناء ثورة الشيوعيين، حيث تقدموا عليهم في ميادين التصنيع والتقنين والالتزام بمبادئ حقوق الإنسان ولو نسبياً.

أما غير الموضوعية والتي تتجسد فيها العاطفة وردود الأفعال: ما فعله (اليمين) في روسيا، حيث كان نموذجاً للشباب الثائر الرافض للسلطة الديكتاتورية، ولقد ملأته حادثة إعدام أخيه (الكساندر) حقداً على السلطة

حينما أعدمه حاكم روسيا، ودفعته تلك الحادثة بقوة نحو الثأر والانتقام. وساعده على ذلك المحرومون والمضطهدون والذين أُعدم أصدقاؤهم، إمّا بالمشانق أو رمياً بالرصاص، في حركة عمالية قوامها مائتا ألف متظاهر.

لكن الثورة البلشفية لما قامت وبعد شهر تقريباً، أعلن اليمين إلغاء الملكيات ومصادرتها من أصحابها بلا تعويض، ومصادرة الملكيات الزراعية ووضعها تحت سيادة مجالس الفلاحين، وأعلن سيادة الثورة على جميع المؤسسات الصناعية والتجارية والزراعية، ثم أُلغيت التجارة الداخلية، وتمّ تأميم البنوك والشركات والمعامل، ورافق كل هذه التحولات حماس كبير واندفاع لتطبيق النهج الماركسي في الاقتصاد والمجتمع وغيره حتى يكونوا مجتمعاً ليس فيه طبقة ولا ملكية ولا حرية ولا دين ولا أخلاق.

وهكذا أخذوا يسرون في هذا الطريق الخاطئ الخطير بكل عاطفة وحماس واندفاع، ولكن بعد سنوات قلائل انطفأ الأمل في قلوب الجميع وتبدد الحلم وأخذ كل شيء يتراجع، حال ذلك حال العربة التي تدفع بقوة إلى هضبة، حيث إن عدم إمكان صعودها يسبب لها الرجوع السريع.

وهذه السنوات القلائل التي كانت أقل من أربع سنوات كانت كافية لتبرهن للينين^(١) وأصدقائه، استحالة تطبيق تعاليم ماركس^(٢). فبدأ بالتراجع عن

(١) فلاديمير إيليتش أوليانوف، المشهور بـ (لينين)، نسبة إلى اسم نهر لينا حيث كان منفياً على ضفافه في العهد الملكي الإمبراطوري. زعيم وكاتب روسي، وُلد سنة ١٨٧٠م ومات سنة ١٩٢٤م، دخل المعتزك السياسي بتأسيس الحزب الشيوعي في روسيا، وقاد الثورة البلشفية سنة ١٩١٧م، وأطاح بحكومة كيرنسكي. أسس الاتحاد السوفيتي السابق، وأصبح رئيساً للبلاد بين سنة ١٩١٧م - ١٩٢٤م. أهم مؤلفاته: "الاستعمار أعلى مراتب الرأسمالية".

(٢) كارل ماركس الألماني، مؤسس الحركة الاشتراكية. وُلد بمدينة «ترير» سنة ١٨١٨م، من أبوين يهودين، ومات في لندن سنة ١٨٨٣م. دخل العمل السياسي والاجتماعي سنة ١٨٤١م، فأبعد من ألمانيا إلى فرنسا، ومنها إلى لندن. فعمل بالصحافة فيها سنة ١٨٤٨م، وكتب مع فردريك ◀

القرارات السريعة، وألغى الاستيلاء على فائض الإنتاج عيناً، فسمح بحرية التجارة الداخلية.

كما سمح لصغار المنتجين أن يبيعوا منتجاتهم لحسابهم الخاص، وألغى التأميم على المؤسسات الصناعية التي لا يزيد عدد العمال فيها عن عشرين عاملاً. كما سمح للأفراد بإقامة مصانع تكون ملكاً لهم، بل وأخذ في التراجع الكبير حين فسح المجال للشركات الأمريكية لاستغلال بعض الثروات في بعض مناطق البلاد.

ثم بعد ذلك سمح لعشرين شركة أميركية وبريطانية وفرنسية وألمانية حقّ الاستثمار في تجارة الخشب وصناعة التعدين، وانصرف عن أكثر مبادئه، وأصبح هو وجماعته من أكبر الرأسماليين، كما أخذ هو وجماعته والحزب المرتبط به مباشرة يتكلمون حول محاسن الرأسمالية وأنها ليست شرّاً مطلقاً، فقد قال في تصريح له:

(إننا أغنياء وضعفاء، وقد اعتدنا القول بأن الاشتراكية شيء حسن وإن الرأسمالية شيء سيء، لكن الرأسمالية ليست سيئة إلا بالنسبة إلى الاشتراكية، أما بالنسبة إلى القرون الوسطى حيث لا تزال روسيا متأخرة فليست الرأسمالية سيئة).

وهكذا استمر انحدار النظام الاشتراكي حتى بعد لينين، الذي تمّرض مرضاً شديداً أقعده عن العمل؛ بسبب قذف قنبلة يدوية عليه.

► إنجلز البيان الشيوعي في نفس السنة، والذي حددا فيه مبادئ الشيوعية الحديثة، ووجها فيه نداءً إلى عمال العالم يدعوهم إلى الاتحاد والتعاون. وقد أصبح هذا البيان أحد الركائز الرئيسية التي قامت عليها الأحزاب الاشتراكية والشيوعية، وخلال تواجده في لندن دون الكتب التالية: "نقد الاقتصاد السياسي" سنة ١٨٥٩م، وكتاب "نداء إلى الطبقات العاملة في أوروبا" سنة ١٨٦٤م، وكتاب "رأس المال" سنة ١٨٦٧م.

وبمجيء ستالين تلميذ لينين، بدأ عهد جديد في السياسة السوفيتية. فبعد العداء المستحكم على الأنظمة الرأسمالية والإمبريالية على اصطلاحهم، أخذ ستالين يعقد التحالفات ويبرم الاتفاقيات مع الدول الرأسمالية كبريطانيا. وأصبح في الحرب العالمية الثانية شريكاً لهذه الدول، فأصبح الاتحاد السوفيتي وبريطانيا والولايات المتحدة وفرنسا يشكلون جبهة عسكرية وسياسية واحدة أمام دول المحور.

وبعد انتهاء الحرب، أخذ الاتحاد السوفيتي يمدّ بأصابعه إلى الدول المجاورة في أوروبا الشرقية والعالم الثالث، وتحت ستار الشيوعية العالمية بسط نفوذه في أكثر من ست وعشرين دولة في العالم، فإذا بتلك الدول الداخلة في الشيوعية جديداً وجدت نفسها تابعة تماماً للاتحاد السوفيتي بجميع مظالمها ونقائصها وانحرافاتهما.

فلم تكن تختلف تلك الدول في شيء عن الدول التابعة أو المستعمرة للمعسكر الرأسمالي، من حيث إلغاء الإرادة الشعبية والقرار السياسي، واحتكار الثروة الوطنية لمصلحة المصانع السوفيتية، بل صارت أسوأ وأسوأ بكثير من الدول التابعة للرأسماليين.

وأخذ الساسة السوفيت يفكّرون بتوفير ضمانات لتدفق المواد الأولية إلى بلادهم حتى يكونوا لأنفسهم إمبراطورية كبيرة، ولذا سعوا إلى بسط نفوذهم على القارتين الإفريقية والآسيوية، بالإضافة إلى الجزء الفقير المتخلف من أميركا، مستهينين بإرادة ومصير شعوب هاتين القارتين، وسلبوا منهم كل شيء حتى لقمة خبزهم.

ولم يأل هؤلاء الساسة المنحرفون جهداً، باستخدام ما لديهم من الأسلحة المادية والمعنوية لبسط نفوذهم، بما في ذلك استخدام القوة العسكرية، كما حدث في أفغانستان ومن قبل في المجر؛ إذ لم يمرّ على التجربة الاشتراكية ثلاثة عقود

حتى عرف العالم أنها أسوأ بكثير من الرأسمالية. فالكذب والخداع أكثر، ولقمة العيش أقل، والحرية معدومة، والأخلاق والدين تحت الصفر، والعائلة مفككة إلى أبعد الحدود، والمجتمع يعمه الفجور والبغاء، وقضايا الفحشاء والفساد الأخلاقي وصلت إلى ذروتها. لكن النظام الاشتراكي كان يسعى دائماً ليغطي بشعاراته البراقة على كل مظاهر الفقر والانحطاط، وكان يصف الأيدي العاملة على أحسن ما يمكن، في حين كان العمال يستعبدون في المعامل بالإضافة إلى فقدانهم الصحة الجسدية. ولذا كان أكثر العمال إن لم يكن كلهم أسارى المستشفيات والمصحات، وأحياناً ينامون فيها طول مدة عطلهم.

هكذا فعلت الشيوعية بالعراق!

وقد رأينا الشيوعية في العراق أبان انقلاب تموز، الذي قاده عبد الكريم قاسم^(١) في أشنع صورة يتصورها الإنسان. فقد كان أزلام النظام يلقون من يعتبرونه عدواً لهم في الشارع ثم يربطون حبلاً برجله ويجرونه في الطرقات، وكان أعوانهم الغوغائيون آخذين بأيديهم العصي وأعمدة الحديد لضرب من يشكّون في أنه مخالف لهم.

وكانوا يمارسون أشنع أساليب التعذيب في حق المواطنين، وكثيراً ما أخذوا إنساناً وربطوه بسيارتين متعاكستين، فتنتلق السيارتان حتى يتمزق الضحية إلى نصفين! ثم يجعلون القطعتين على القنارة ويقطعون اللحم قطعاً ويعطونها لرفقائهم.

(١) وكان ذلك في الرابع عشر من تموز عام ١٩٥٨ م. ومن المثالب التي تؤخذ عليه: إلغاؤه للمظاهر الديمقراطية كالبرلمان والتعددية الحزبية، وتجريد العشائر من السلاح، ومحاربة الحوزة العلمية ومؤسساتها، وإعلانه للأحكام العرفية.

وكان رفقاؤهم مأمورين بأكل ذلك اللحم الإنساني النيّ، وذلك لكي تقسوا قلوبهم فلا يرحمون أحداً.

ولأجل زرع الرعب والخوف في صفوف الناس، ولأجل تدريب أعضائهم على قساوة القلب، كانوا يجتمعون في الليالي في الساحات العامة والميادين الكبرى، ثمّ يأتون بكلب إلى تلك الساحة ويرجمونه بالأحجار، وكلّما هرب الكلب إلى جهة رُجم من تلك الجهة حتى يسقط ويتهدأ لحمه.

ومن الصور البشعة للشيوخيين، أنهم كانوا يملؤون القناني بالعقارب، ثمّ يأتون بالضحية ويخلعون ملابسه، ويمدّونه على الأرض ويربطونه ربطاً محكماً بالسلاسل أو الحبال، ويفرغون تلك القناني على جسم الضحية، فتلدغه العقارب إلى أن يموت.

كما أنهم كانوا يحرقون المحلات التجارية والدكاكين، وقد فعلوا في كربلاء المقدسة ذلك، حيث كنّا نشاهدهم بتلك الأحوال بل وأبشع من تلك الأحوال التي ذكرناها.

أمّا ثورة الموصل فقد سمعنا عنها أشياء غريبة، لم نجد لها مثيلاً في التاريخ حتى أيام غزو المغول^(١).

كما تدين تدان

وحيث إن (كما تُدين تدان) يعدّ من سنن الله الكونية، فإن الجميع شاهد كيف عاش الاتحاد السوفيتي في عهد ستالين فترة مظلمة مليئة بالظلم والطغيان، حتى اضطر فيها الحزب الشيوعي فيما بعد إلى إدانة تلك الفترة، وقام بنبش قبر

(١) وقد أشار الإمام المؤلف رحمه الله إلى بعض ما اقترف الشيوعيون في عهد عبد الكريم قاسم في كتابه "تلك الايام"، وأشار إلى مجزرة الموصل في ص ١٥٨. وللمزيد عن مجزرة الموصل راجع كتاب "مجزرة الموصل" لهلال ناجي، وكتاب "مجزرة الموصل" لراشد بدري.

ستالين، وإخراج جسده المحنط وإحراقه، وتبع ذلك إدانة صريحة واستنكار لما فعله.

وفي المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي، أعلنوا أن الحلول التوفيقية التي اتبعتها ستالين في التنظيم الاشتراكي داخل الاتحاد السوفيتي كانت خطأ فظيماً.

قال الله تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ * وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّنَا كَرَّهْنَا فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يَرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾^(١).

وتشكلت من هذه الإدانة الصريحة نقطة الإصلاح النسبي والتغيير في الاشتراكية، فقد حمل "خروتشوف"^(٢) شعار الإصلاح، إلا أن التيار المتشدد

(١) سورة البقرة: ١٦٦ - ١٦٧.

(٢) نيكيتا خروتشوف (١٨٩٤ - ١٩٧١م). زعيم شيوعي ورجل دولة سوفيتي. ولد بمقاطعة كورسك الواقعة على الحدود الفاصلة بين روسيا وأوكرانيا، من عائلة يعمل أفرادها في المناجم. عمل في البداية راعياً، ثم عاملاً في مصانع الحديد والصلب، وانتسب إلى الحزب الشيوعي عام (١٩١٨م)، وحارب إلى جانب الحرس الأحمر أثناء الحرب الأهلية. وبعد أن استتب السلام بانتصار الثورة، اشتغل كعامل مناجم وانتسب إلى الجامعة العمالية عام (١٩٢٢م)، حيث أصبح أمين سر خلية شيوعية فيها. وبعد أن أنهى دراسته في الجامعة العمالية تفرغ للعمل السياسي في الحزب الشيوعي الأوكراني. انتخب عضواً في اللجنة المركزية (١٩٣٢م)، ثم عضواً في مجلس السوفيت الأعلى (١٩٣٧م)، ثم سكرتيراً أولاً للحزب الشيوعي الأوكراني. تولى الحكم السوفيتي بعد وفاة ستالين عام (١٩٥٣م)، فحكم الاتحاد السوفيتي حتى عام ١٩٦٤م، تميز حكمه بالمعاداة الشديدة للستالينية، وانتعاش التحريفية، وبارساء الدعائم الأولى لسياسة الإفراج الدولي، والتعايش السلمي التي تعتبر ردة عن القواعد اللينينية. تصدى لحل مشاكل كانت مفتاح شعبيته: كتحسين الأوضاع المادية، والإفراج عن المعتقلين السياسيين، والتقارب مع تيتو، وتطوير الاقتصاد الزراعي. غير أن ضربته الكبرى أتت في المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفيتي، الذي أعلن فيه الحرب على الستالينية، والتي كانت تعتبر حرباً على ▶ الثوابت الشيوعية. فانتشرت روح التنديد بستالين، والإشادة بخروتشوف في عدة بلدان

الملتزم بالنص الماركسي المنتفع بالمنهج، قام بمعارضة قوية ضد حركة الإصلاح التي بدأها خروتشوف.

وهناك من أدانها بشدة في الداخل والخارج، منهم "أنور خوجة" سكرتير الحزب الشيوعي الألباني، الذي كتب كتاباً أدان فيها الإصلاحات التي دعا إليها خروتشوف، ثم رأينا ماذا كان مصير أنور وألبانيا التي وقعت فيها الحرب والفوضى.

تحولات المعسكر الشرقي وتراجعها

وجاء بريجنيف^(١) ليعمل بالنصوص الماركسية اللينينية، ثم بعده حكم اثنان من الزعماء^(٢) الذين لم يسمح لهم المرض مواصلة دورهم كرؤساء، وكانت فترة حكمهم فرصة نشط فيها الإصلاحيون.

وبعدهما كان النص يتحرك، والأحداث تتطور لصالح (غورباتشوف)^(٣)،

اشتراكية، مسببة العديد من التصفيات والخلافات الحزبية، وممهدة الطريق أمام انقسام الحركة الشيوعية بين موسكو وبكين. في أكتوبر (١٩٦٤م) نُحي خروتشوف عن جميع مناصبه، فاعتكف في دار ريفية قدمتها له الحكومة السوفيتية حتى توفي عام (١٩٧١م).

(١) ليونيد إيليتش بريجنيف (١٩٠٦ - ١٩٨٢م)، رئيس الإتحاد السوفيتي للفترة ١٩٦٤ - ١٩٨٢م، تولى الأمانة العامة للحزب الشيوعي السوفيتي للفترة ١٩٦٤ - ١٩٨٢م، ثم ترأس الإتحاد كخليفة لخروتشوف. ازدادت في عهده قوة المافيا وانتشارها بشكل واسع وملحوظ.

(٢) الأول: يوري اندروبوف عاش ما بين عام ١٩١٤ - ١٩٨٤م. الثاني: قسطنطين تشيرنينكو عاش ما بين عام ١٩١١ - ١٩٨٥م.

(٣) وُلد ميخائيل غورباتشوف في عام ١٩٣١م. شغل منصب رئيس الدولة في الإتحاد السوفيتي السابق للفترة ١٩٨٨ - ١٩٩١م، ورئيس الحزب الشيوعي السوفيتي للفترة ١٩٨٥ - ١٩٩١م. كان يدعو إلى إعادة البناء أو البروسترويكا، وقد شارك رونالد ريغان في إنهاء الحرب الباردة، وحصل على جائزة نوبل للسلام عام (١٩٩٠م). آتت البروسترويكا ثمارها في ◀▶
كانون الأول عام ١٩٩١م، عندما دخل الإتحاد السوفيتي صفحات كتب التاريخ بعد توقيع

زعيم الحركة الإصلاحية في الاتحاد السوفيتي، مما سبب خروج تلك البلاد عن الشيوعية الصريحة، وإن كانت بقايا الشيوعية باقية فيها بما سبب الفوضى. حتى أن حركة المافيا وحدها تجند في الاتحاد السوفيتي السابق خمسين ألف خلية، ولها أربعة بنوك ذات أرصدة عالية، وقد رأيت بنفسي جماعة من الذين ذهبوا إلى تلك البلاد فسألتهم عن الوضع الاقتصادي؟.

فقالوا: إن الشاب والفتاة يبيعان أنفسهما، ويقترفان الفساد والفحشاء، في قبال حصولهما على قرص خبز لإشباع بطونهما.

وهكذا فإن التنبؤ المستقبلي، إذا لم يكن تحت نظر العقلاء والعقل والمنطق والدليل القويم، يسبب انحرافاً مشيناً بما ستكون له أحياناً أوخم العواقب.

وكيف كان فتراجع الاقتصاد في الاتحاد السوفيتي، سبب تراجع النمو وانخفاض الإنتاجية والعوائد وانتشار الفساد والمرض، مما أدت بالنظام إلى الاستعانة بالدول الأجنبية لسد العجز في مستوى الإنتاج خصوصاً في المواد الغذائية.

إذ بلغ إجمالي ما تعاقد عليه الاتحاد السوفيتي عام (١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م) مع الولايات المتحدة اثنين وعشرين مليون طن فقط من الحبوب، ضمن اتفاقية مدتها خمس سنوات، وفي كل سنة يستورد الاتحاد السوفيتي من أميركا ملايين الأطنان من الغذاء.

وقد رأيت في تقرير أن ثلاثة أرباع خبز الاتحاد السوفيتي يأتي من أميركا، ومعنى هذا: لولا الخبز الأمريكي لبقى الشعب ثلاثة أرباع السنة جائعاً. وبسبب ذلك انخفاض النمو في الدخل القومي عام (١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م) إلى أدنى معدل هو ٢٤٪، بينما شهدت أقطار العالم تقدماً ملموساً في معدلات النمو خلال

تلك السنوات وخصوصاً جار الاتحاد السوفيتي الجنوبي وخصمه السياسي والإيديولوجي.

والجدير بالذكر: إن بعض الأحداث التي جرت في الصين، أثرت على السوفيت بقوة، إذ أن الصين ألغت بعضاً من بنود الشيوعية، بسبب إلغائها تنظيم المزارع الجماعية التي كانت على عهد (ماوتسي تونغ) المظلم، والتي أقيمت وفقاً لنموذج سوفيتي، واستبدلت بتنظيم جديد يقوم على اللامركزية، وتنشيط دوافع الربح، وأخذت تهوّل نحو الرأسمالية، وقد هزّ هذا التحول في الصين السوفيت هزاً عنيفاً حتى وصلوا إلى إلغاء الشيوعية رأساً.

سياسة غورباتشوف

وكيف كان فقد أصدر غورباتشوف قوانين إصلاحية اقتصادية، وأخرى اجتماعية تخالف الشيوعية تماماً. ففي الجانب الاقتصادي: أجاز قانون ممارسة ما يقرب من خمس وستين مهنة بطريقة فردية، مثل: صناعة السجاد، والملابس، والأحذية، والأثاث، ولعب الأطفال، وسيارات الأجرة الخاصة، والإصلاح الفني للسيارات، وإصلاح الأجهزة والمعدات المنزلية، وتقديم خدمات لتنظيم حدائق المنازل، والعمل الخاص في الحدائق.

كما فتح أبواب المشاركة لرؤوس الأموال الغربية للاستثمار في الاتحاد السوفيتي، والتخفيف من المركزية بإعطاء بعض الحريات للهيئات والوكالات والمزارع في تحديد أسعار السلع، والحصول على القروض الأجنبية.

وفي المجال الاجتماعي: أصدر قوانين لمكافحة تفشي المشروبات الكحولية، وإقامة رابطة بين منظمات اتحاد الشباب والشرطة لمواجهة حالات الانحراف، والاستجابة لظاهرة تأثر الشباب بنمط الاستهلاك الغربي، وإزالة هالة القداسة التي أوجدتها أنظمة لينين وستالين للقيادات الحزبية؛ وذلك بالتأكيد على مبدأ

الرقابة الصارمة على الكوادر والمنظمات الحزبية، وإدخال الأسلوب شبه الديمقراطي على النظام الانتخابي، كما أصدرت بعض القوانين لمكافحة مظاهر الرشوة والاختلاس والفساد الإداري، إلى غير ذلك.

ولا يخفى أن كل تلك الإصلاحات لم تجد نفعاً في حفظ (إمبراطورية الشيوعية) من السقوط، فإن الدكتاتورية لا بد أن تسقط، وحبل الظلم قصير وإن طال، وقد قال تعالى: ﴿الآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾^(١).

نعم، هذه الإصلاحات النسبية، سببت تحرر دول كثيرة من نير الاستعمار الشيوعي، وأعدت لروسيا وشعبها بعض الحرية والأمل.

ومما يشار إليه هنا أن الجزء الصحيح من الإصلاحات المذكورة شيء سبق إليه الإسلام منذ أربعة عشر قرناً، وهو ما تنادي به الفطرة والعقل، وقد ذكرنا ذلك في كتاب "الغرب يتغير"، وقلنا: إن الكثير من الإيجابيات التي في الغرب هي من الإسلام، ولا بد للغرب أن يتغير إلى سائر الأجزاء من الإسلام أيضاً إن أراد البقاء، أما الكمال والدقة في القوانين فهو مختص بنظام الإسلام لا غيره.

(١) سورة يونس: ٩١.

العلم بالغيب لله عز وجل

مسألة: العلم بالغيب - بل مطلق العلم - أولاً وبالذات يختص بالله عز وجل ، فإنه العالم بذاته لا بسبب غيره ، وهو العالم بالاستقلال لا بالتبع . أما غيره فعلمه بالعرض وبالتبع وبإذنه عز وجل ، وفي القرآن الكريم : ﴿ **وَلَوْ كُنْتَ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ** ﴾ (١) .

فلا يعلم الغيب إلا الله سبحانه ، ومن أذن الباري عز وجل له بذلك ، ومن هنا يكون علم الغيب عند الأنبياء والأوصياء والأولياء عليهم السلام ، كما قال سبحانه : ﴿ **إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ** ﴾ (٢) .

ثم إن علم المعصوم عليه السلام يمتاز بالشمولية والمطابقة للواقع تماماً . وقد يحصل نادراً بعض العلم بالغيب لبعض المرتاضين ومن أشبهه ، وذلك بسلوك أسباب دنيوية كمخالفة النفس في مراتبها العالية ، ولكن لا شمولية لعلمهم ، ولا يطابق الواقع دائماً فربما حصل فيه الخطأ ، لاختلاط الحق والباطل فيما يراه .

فيختص علم هؤلاء ببعض الموارد دون بعض ، و(غيبيهم) محدود جداً بالقياس إلى غيب الأنبياء والأوصياء (عليهم سلام الله) ، كما يرى ذلك فيمن ارتاض رياضة سببت ضعف قواه الجسمانية وتقوية قواه الروحانية ، كبعض مرتاضي الهند وإن كانوا كفرة ، وكذلك في بعض من يسخر الجن وما أشبهه .

ومن هنا يتضح الفرق جلياً بين علم الغيب الرباني في المعصوم عليه السلام وهذه

العلوم .

(١) سورة الأعراف : ١٨٨ .

(٢) سورة الجن : ٢٧ .

أما معرفة المستقبل عبر الأدلة والقرائن والمقتضيات والسنن الكونية، فهذا متاح نسبياً لكل من علم بالمقدمات اللازمة وانتقل منها إلى ذبيها، فالرؤية المستقبلية وإن كانت نوع غيب بالمعنى اللغوي، ولكنها تختلف تماماً عن معناه الاصطلاحي، ومن مصاديق الرؤية المستقبلية:

ما قاله تعالى عن لسان الشيطان: ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾^(١).

وما يقوله الرجل الفلكي: إن اليوم الفلاني يوم كسوف أو خسوف، أو إن القمر سيكون في برج العقرب أو ما أشبه ذلك.
وهكذا يعلم كل إنسان أن غداً تطلع الشمس، وهو من الغيب اللغوي، فإنه غائب عن الحواس الخمس.
ومنه قول الطبيب: إن المريض سوف يموت بعد أيام، لكثرة التجربة وتكرارها.

وهكذا قولنا: إن في الصيف تباع وسائل التبريد أكثر، وفي الشتاء وسائل التدفئة، إلى غير ذلك من الأمثلة الكثيرة.

الطوسي رحمته الله وعلم المستقبل

وقد مثل العلامة الشيخ نصير الدين الطوسي رحمته الله^(٢) لفائدة علم المستقبل

(١) سورة الأعراف: ١٧.

(٢) الشيخ محمد بن محمد بن الحسن الجهرودي الطوسي والمشهور بـ (نصير الدين). وُلد في خراسان سنة (٥٩٧هـ / ١٢٠١م) وتوفي في الكاظمية سنة (٦٧٢هـ / ١٢٧٣م). عالم وفقه وفيلسوف ورياضي وفلكي وسياسي، درس في طوس ونيسابور التي فرّ منها خلال اجتياح جنكيز خان لها، ولجأ إلى قلاع الإسماعيليين التي هي الأخرى تعرضت لغزو هولوكو، واستسلم من فيها وقتلهم هولوكو جميعاً باستثناء طبيبين والشيخ الطوسي، وحمل هولوكو الثلاثة معه. ◀ وبطريقة ذكية استغل الطوسي هولوكو، فأنقذ الكثير من علماء المسلمين من القتل، وحفظ الكثير من الكتب الإسلامية من الحرق والتلف، عبر إنشاء مرصد في مدينة مراغة سنة ٦٥٧هـ،

بمثال جميل ، حيث إنه أراد حفظ علماء المسلمين وكتبهم وأوقفهم أمام إعصار المغول ، وقد استطاع بذلك وبسائر كلماته ومواقفه الحكيمية حفظ أربعمئة ألف عالم باحث في مختلف العلوم من القتل .

فقال للملك : إنني أعلم ماذا سيحدث في المستقبل ، ويمكنني أن أخبرك بأيام الانتصار وأيام الانكسار .

قال الملك : فما الفائدة من علم المستقبل ؟ .

قال الطوسي رحمته الله - في مثال توضيحي - : إنني سأمر بإلقاء طست كبير من النحاس من السطح في المجلس ، عند حضور الوزراء في يوم كذا وساعة كذا ، وعندئذ ستري بأمر عينيك ماذا يحدث .

فأمر الطوسي رحمته الله بإلقاء الطست ، فسقط فجأة في وسط المجلس بدوي كبير هائل ، وإذا بالحضور باستثناء الملك أخذوا يفرّون بكل رعب وهول ، لكن الملك بقي يضحك .

قال الطوسي رحمته الله للملك : أ رأيت حيث كنت تعلم بالحادث أخذت بالضحك ، أما الوزراء ولأنهم لم يعلموا أصابهم ما رأيت . وهكذا يكون علم المستقبل مضافاً إلى أنه يعرفك أيام الانتصار وأيام الانكسار ، فقبل الملك .

وقال الطوسي رحمته الله : لا بد في الإخبار بالمستقبل من حفظ الأمور الثلاثة :

والذي اشتهر بآلاته وراصديه ، وجمع الكثير من العلماء من البلدان ، وجلبهم ليساعده في هذا الأمر ، وأسس المكتبات والمدارس ، فضمت إحدى المكتبات في زمانه أربعمئة ألف كتاب ، والأكثر من هذا جعل الكثير من المغول يعتقدون الإسلام ، وأسهم في تطوير علم المثلثات . من مؤلفاته : "شكل القطع" ، "تربيع الدائرة" ، "تحرير أصول إقليدس" ، "تجريد الكلام" ، "التذكرة النصيرية" ، "تحرير المجسطي" ، "الأخلاق الناصرية" ، "تلخيص المحصل" ، "الفصول النصيرية" ، "شرح الإشارات" ، "الفرائض النصيرية" . ترجمه روضات الجنات : ج ٦ ص ٣٠٠ .

علماء المسلمين، وكتبهم، وأوقافهم، فإنها كوادِر وأدوات العمل.
وبأمثال هذا الأمر تمكّن الشيخ الطوسي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ من حفظ علماء المسلمين
وكتب المسلمين وأوقاف المسلمين، من ذلك الإعصار الهائل وصنع الزيج
المشهور، وبقيت آثاره إلى الحال الحاضر.

المستقبل بين الضرر وعدمه

مسألة: يتصور البعض أن علم المستقبل ضار وليس بنافع، فلو علم الإنسان
بالمستقبل فسدت حياته، ولذا استأثر الله بعلمه لنفسه.
قالوا: كيف يمكن أن يعيش الإنسان حياة سعيدة وهو يعلم متى سيموت،
وماذا سيجري عليه في المستقبل من البلاء، وما سيكون عليه ابنه الذي في رحم
زوجته، في حياته وموته وأعراضه وأمراضه؟
أو كيف يعيش الإنسان سعيداً، وهو يعلم أنّ في الغد ستقع سيول وأمطار،
ورياح تقلع الأشجار وتهدم البيوت والمساكن، أو أن هناك بركاناً سيتفجر ويقتل
آلآفاً من الناس، ويهدم آلافاً من المنازل؟
أو أنّ في المستقبل سيحصل جفاف يلحق بالبلد كبير الأضرار ويطول
سنوات، ليهلك فيها الحرث والنسل.

إذن الإخفاء عن الإنسان يعد رحمة به، لذا قال الله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبَدِّلْ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ﴾^(١)، وقال تعالى:
﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ
إِلَّا قَلِيلًا﴾^(٢)، وقال عز وجل: ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا

(١) سورة المائدة: ١٠١.

(٢) سورة الإسراء: ٨٥.

نُشُورًا»^(١)، وقال سبحانه: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾^(٢)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مِمَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾^(٣)، إلى غير ذلك من الآيات.

وفي حديث عن الرسول الأكرم ﷺ قال: «لو أنكم تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً»^(٤).

وفي الجواب نقول: تختلف المسائل، فلا يمكن القول بأن الجهل بالمستقبل أفضل مطلقاً وفي كل الأمور؛ لأن هناك أشياء إذا علم الإنسان بأنها ستكون في المستقبل، تمكن من تداركها واجتنابها ودرء مخاطرها، فلا يتضرر بها.

فإذا علم مثلاً: أن في الشهر الفلاني سيحل في البلد وباء الطاعون، أو يداهم زلزال مدمر، أو يعتريه بركان محرق، أو يقتحمه فيضان مغرق، يتمكن من مغادرة البلد إلى مكان آمن لا يصاب فيه بشيء من هذه الكوارث والأهوال والأخطار، ويمكنه إخبار الآخرين لتجنب الأخطار.

وكذلك لو علم أن قطاراً سريعاً بعد ساعة يمر على السكة الحديدية، فإنه لا يقف أو ينام هناك حتى يدهسه القطار، وهكذا بالنسبة إلى حيواناته وقطيع أغنامه وما أشبهها.

وكذا لو علم أن العدو يعد العدة لمداهمة البلاد، وقتل الناس وإحراق الأخضر واليابس، استعد لها وحاول الحيلولة دونها، إلى غير ذلك من الأمثلة. ولذا حرّض الإسلام على العلم بصورة عامة، وحرّض على التفكير، قال

(١) سورة الفرقان: ٣.

(٢) سورة البقرة: ٢٥٥.

(٣) سورة لقمان: ٣٤.

(٤) شرح نهج البلاغة: ج ١٩ ص ٢٨٨ نبذ من الأقوال الحكيمة في وصف حال الدنيا وصرورها.

تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾^(١)، وقال عز وجل: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٢)، وقال سبحانه: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾^(٣)، وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾^(٤)، وقال عز وجل: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾^(٥).

وقال رسول الله ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة»^(٦)، وقال ﷺ: «اطلبوا العلم ولو بالصين»^(٧)، إلى غير ذلك مما لا حاجة إلى تعداده.

ومن الواضح أن علم المستقبل من مصاديق ذلك، بل قد يكون من أهم مصاديقه.

لا يقال: إنه منصرف عنه.

لأنه يقال: الانصراف لو كان فإنه بدوي.

(١) سورة المجادلة: ١١.

(٢) سورة آل عمران: ١٩١.

(٣) سورة الذاريات: ٢١.

(٤) سورة الغاشية: ١٧.

(٥) سورة الروم: ٨.

(٦) مستدرک الوسائل: ج ١٧ ص ٢٤٩ ب ٤ ح ٢١٢٥٠، بحار الأنوار: ج ٢ ص ٣١ ب ٩ ح ٢٠.

(٧) وسائل الشيعة: ج ٢٧ ص ٢٧ ب ٤ ح ٣٣١١٩، بحار الأنوار: ج ١ ص ١٧٧ ح ٥٥ ب ١.

مناقشة الاستدلال

أما استدلالهم بالآيات الكريمة فيبدو أنها غير مرتبطة بكلامهم :
 أما قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءٍ إِن تَبَدَّ
 لَكُمْ تَسْؤُكُمْ﴾^(١) فهي أشياء خاصة ، ولذا قال : ﴿عَنَ أَشْيَاءٍ﴾ ولم يقل «عن
 كل شيء» ، ولا يمكن الاستدلال بموجبة جزئية وتعميها على سائر الموارد.
 وأما قوله سبحانه : ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾^(٢) ، فلوضوح أن فكر
 الإنسان لا يستوعب كنه الروح ، كما لا يستوعب كنه العقل والنفس ، وما أشبه
 ذلك من الجواهر أو الأعراض ، ومنها : الصفات النفسية الكثيرة ، ومن هذه
 الصفات كنه الحزن والغضب والكرم والبخل والشجاعة والجن والغرور
 والغيرة ، وبقية الصفات الحسنة والصفات السيئة ، فإنها أشياء مجهولة في داخل
 الإنسان ، لا يعلم ذواتها وحقائقها كما لا يعلم كثير من خصوصياتها مثل : هل
 هي بالإشعاع من الخارج كإشعاع الشمس؟ أو بالتأثير من الداخل كتأثير الدورة
 الدموية؟ أو بالاشتراك؟.

وذلك أن وعاء الإنسان وعاء صغير قادر على أن يستوعب كمية محددة من
 المعلومات ، فلا يتمكن أن يستوعب غيرها ، وقد ذكر علماء الكلام والفلسفة ،
 أن سرّ عدم إدراكنا لله تعالى هو ذلك .

قال سبحانه : ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾^(٣) ،

فكل وادٍ إنما يتمكن من استيعاب كمية خاصة من الماء لا أكثر من ذلك .
 ولكن من الممكن للإنسان أن يعرف شيئاً من المستقبل ، وهذا نوع من

(١) سورة المائدة : ١٠١ .

(٢) سورة الإسراء : ٨٥ .

(٣) سورة الرعد : ١٧ .

التطور العلمي المحبذ في مصاديقه المفيدة.

وقد رأينا منذ نصف قرن أن مع كل اختراع علمي قائم، بدءاً من السيارة والطائرة إلى اللاسلكي والسلكي وغيرها، ثمة جماعة يرفضون ذلك التقدم العلمي بحجج واهية.

الاستنساخ بين الحلية والحرمة

وفي الوقت الحاضر نشاهد جماعة من العلماء وغير العلماء، يرفضون مسألة الاستنساخ البشري الشائعة في هذه الأيام، فقد قال كبير علماء السعودية^(١): إن الاستنساخ أكبر فساد في الأرض، وأضاف: أرى أن أدنى عقوبة للذين ابتكروا الاستنساخ أن تُقَطَّع أيديهم من خلاف!، وهذه أقل عقوبة في حقهم وإلا فيجب إعدامهم.

ورفض أحد مشايخ الأزهر عملية الاستنساخ البشري، وأعلن عميد كلية الدين في جامعة الأزهر: إن الإسلام يحظر الاستنساخ.

وقال أحد رؤساء قسم العقائد والأديان: ومن المعلوم أن القرآن نبّه إلى أن البيئة المناخية والاجتماعية والوراثية مركبة تركيباً كيميائياً وإحيائياً دقيقاً، وأنه لا يجوز للإنسان التلاعب بمعاييرها.

إلى غير ذلك من الكلمات التي قالوا بمثلها قديماً بالنسبة إلى المخترعات والمكتشفات السابقة، ثم اكتشفوا بعد حين أنها مفيدة للبشرية، وكانوا هم من المستفيدين منها.

أما ما يقوم بعض الناس بالفائدة السيئة منها، فهو كاستفادة البعض من السكين في قتل الأبرياء، أو من سم الفأر لتسميم أعدائهم، والأمثلة كثيرة.

(١) وذلك في مجلة (المسلمون) التي تصدر من لندن.

وأما قوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾^(١)

فهو على خلاف مقصدهم أدل، إذ الآية صريحة في الاستثناء، وما يشاؤه تعالى هو كل علم بأسبابه الممكنة، فهو كقوله تعالى: ﴿لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾^(٢).

وأما قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَآذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾^(٣)، فبعد أن علم الساعة خاص به عز وجل، فإن المراد (العلم الاستقلالي) لا (العلم التبعي)، فإن كل علوم غيره تعالى إنما هي بإذنه سبحانه وإفاضته، وهو القادر على ما يشاء، ومن قدرته أن يمنح خلقه علم المستقبل بالمقدار التي تقتضيه حكمته فحسب، يوفرونه من أسبابه التي خلقها الله.

ثم إنه لعل المراد العلم الشامل، فإن البشر قد يعلم ماذا يكسب غداً، لكن ببعض جهاته لا كلها، أما العلم الشامل التام فهو خاص به تعالى، ثم إن البشر قد يعلم لكنه لا يعلم البداء فيه، وغير ذلك مما هو مذكور في علم الكلام.

نعم، بعد ذلك كله فإن بعض العلوم المستقبلية أو بعض مصاديقها قد توجب للإنسان القلق والاضطراب.

لكن لا يصح الاعتراض بذلك، لا كبرى ولا صغرى: إذ ليس كل قلق وخوف واضطراب سلبياً وسيئاً، بل بعضه مطلوب ولازم لتقدم الإنسان والحياة، ولذا خلقها الله في الإنسان، بل ثبت علمياً أن القلق والخوف في الجملة ضروريان لصحة الإنسان أيضاً. ثم إن القلق له سبل للحيلولة دونه - في الضار منه - فاللازم سلوكها، لا إغلاق باب العلم بذريعة أنه يسبب القلق.

(١) سورة البقرة: ٢٥٥.

(٢) سورة الرحمن: ٣٣.

(٣) سورة لقمان: ٣٤.

الباب الثاني:

وفيه تمهيد وثلاثة فصول وخاتمة:

❖ تمهيد

❖ الفصل الأول: المستقبل المنظور

❖ الفصل الثاني: المستقبل غير المنظور

❖ الفصل الثالث: المستقبل الأخرى

❖ خاتمة

تمهيد

أقسام المستقبل

إنَّ المستقبل بمعناه العام والشمولي ينقسم إلى: منظور، وغير منظور، وأخروي.

❖ فالأول: المستقبل المنظور، وهو ما نحن بصده الآن، وقد أنشأ علماء الغرب عشرات المؤسسات في مختلف البلاد الغربية وأميركا واليابان لأجل ذلك، حيث يقيسون المستقبل بواسطة علم التاريخ وعلم النفس وعلم الاقتصاد وعلم الاجتماع وما أشبهه، بعد مزجها بمعطيات الحال الحاضر والإحصاءات، وما إلى ذلك.

مثلاً يقولون: في مدينة كذا مائة ألف إنسان، وكل ألف إنسان يولد منهم خلال العام ثلاثون وليداً، فيألى عشرة أعوام أخر تضاف ثلاثون ألفاً إلى المائة ألف، وهؤلاء الجدد بحاجة إلى التعليم والتربية وحل النزاعات وحفظ الأمن والمقدار اللازم من المدارس والمستوصفات وسائر الخدمات الحيوية، فيقولون في المستقبل يجب أن تكون لنا كذا مدرسة وكذا مستوصف، إلى غيرها، بالإضافة إلى الحفاظ على القدر الموجود في الحال، وهكذا يكون الأمر بالنسبة إلى سائر أبعاد الحياة.

❖ والثاني: المستقبل غير المنظور، وهو بظهور مولانا الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف)، وهو المستقبل الزاهر التي تكون فيه الأرض كروضة من رياض الجنة.

وإذا أردنا أن نعرف هذا المستقبل المشرق، فالطريق لكشفه هو الروايات الواردة عن المعصومين (صلوات الله عليهم أجمعين)، بالإضافة إلى جملة من الآيات الكريمة؛ لأنه من الغيب الذي لا وسيلة إلى استكشافه إلا بما ذكرناه.

❖ والثالث: المستقبل في العالم الآخر، من القبر والمحشر والجنة والنار والأعراف وما أشبه ذلك. وهذا أيضاً لا يعرف إلا عن طريق النقل، أي ما ورد في الكتاب والسنة الشريفة المروية عن المعصومين عليهم السلام من عشرات الآيات والروايات بل مئاتها.

وفي هذا الكتاب نبحت المستقبل في الأقسام الثلاثة بإيجاز، ونسأل الله سبحانه التوفيق لما يحب ويرضى وهو المستعان.

الفصل الأول

المستقبل المنظور

وفيه مسائل :

- ❖ لماذا تخلف المسلمون؟
- ❖ مصير الحضارة الغربية
- ❖ مقومات النهضة الإسلامية
- ❖ لأجل هذا ضعفت الحضارة
- ❖ إستراتيجية العلاقة في الإسلام
- ❖ يقظة بعد سبات
- ❖ أن نعرف كيف نعيش؟

لماذا تخلف المسلمون؟

مسألة: الإعراض عن ذكر الله تعالى حرام، وهو سبب التخلف والتأخر، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾^(١).

والذكر هو القرآن الحكيم، والإعراض عنه بعدم العمل بقوانينه، والتي منها:

- الحريات، كما قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾^(٢).
- و: الأخوة، قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾^(٣).
- و: الأمة الواحدة، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾^(٤).
- و: التعددية، قال سبحانه: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾^(٥).
- و: وقف النفس والنفيس لله تعالى والدين والخدمة، قال عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾^(٦).
- و: الشورى، قال تعالى: ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾^(٧).
- و: العدل والإحسان، قال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ

(١) سورة طه: ١٢٤.

(٢) سورة البقرة: ٢٥٦.

(٣) سورة الحجرات: ١٠.

(٤) سورة الأنبياء: ٩٢.

(٥) سورة المطففين: ٢٦.

(٦) سورة التوبة: ١١١.

(٧) سورة الشورى: ٣٨.

وَالْإِحْسَانِ ﴿١﴾، ونظائرها.

فنتيجة إعراض المسلمين عن هذه الآيات المباركات وأشباهها، أنهم تأخروا تأخراً كبيراً، على عكس غيرهم فهم في التقدم والازدهار ولو النسبي.

نقل الوالد رحمته الله (٢): إنه كان جالساً في محضر خاله الميرزا محمد تقي الشيرازي قده (٣) قائد ثورة العشرين - والقصة قبل ثمانين سنة تقريباً - وكان في

(١) سورة النحل: ٩٠.

(٢) وهو السيد مهدي بن السيد حبيب الله الحسيني الشيرازي، وُلد في مدينة كربلاء المقدسة سنة ١٣٠٤هـ، وتوفي في شهر شعبان من سنة ١٣٨٠هـ، عن عمر يناهز الست والسبعين سنة. تنقل في طلب العلم بين كربلاء وسامراء والكاظمية والنجف. تتلمذ عند: الشيخ الخراساني، والسيد البيدي، والشيخ محمد رضا الهمداني، والسيد علي نجل المجدد الشيرازي، والميرزا النائيني، والشيخ محمد تقي الشيرازي. آلت إليه المرجعية بعد وفاة السيد حسين القمي سنة ١٣٦٦هـ. شارك في ثورة العشرين، وفي سنة ١٣٦٠هـ / ١٩٤١م أفتى بطرد الإنجليز من العراق، وفي نهاية الخمسينات وقف بوجه المد الشيوعي، وأصدر فتوى بتكفيرهم وتصدي سنة ١٣٦٠هـ لانحرافات الشاه الذي سعى لنشر التبجح والخلاعة في إيران، ودعا إلى الالتزام بالأحكام الشرعية في الأوقاف، وفي منع الاختلاط في المدارس، ووجوب تدريس الأحكام الشرعية في المدارس، وتحسين الوضع الاقتصادي العام. كما وقف بوجه المد القومي في زمن عبد السلام عارف. من مؤلفاته المطبوعة: "ذخيرة العباد"، "ذخيرة الصلحاء"، "الوجيزة" تعليقة على العروة الوثقى، "تعليقة على وسيلة النجاة". ترجمته في كتاب "أسرة المجدد الشيرازي" لنور الدين الشاهرودي، وكتاب "أضواء على حياة الإمام الشيرازي".

(٣) آية الله العظمى الشيخ محمد تقي الشيرازي، قائد ثورة العشرين التحررية في العراق ضد الاستعمار البريطاني. وُلد في شيراز سنة ١٢٥٦هـ / ١٨٤٠م، واغتيل بالسم في ١٣ ذي الحجة من سنة ١٣٣٨هـ الموافق ١٣/٨/١٩٢٠م، ودفن في حرم الإمام الحسين عليه السلام. تتلمذ في سامراء عند المجدد الشيرازي، وفي كربلاء عند الشيخ حسين الأردكاني والسيد علي تقي الطباطبائي. له باع طويل في حفظ الحوزات العلمية، ونشر علوم أهل البيت عليهم السلام. من مواقفه السياسية: إصداره فتوى ضد الاحتلال الإنجليزي للعراق سنة ١٩١٤م، وتخطيطه للثورة ضدهم، وإصداره فتوى سنة ١٣٣٧هـ / ١٩١٩م ضد المعتمد السامي الذي نصب نفسه حاكماً على العراق عبر الانتخابات الصورية. كما أصدر فتوى أخرى جعل الإنجليز يجرؤون أذيال الخيبة

المجلس شخص يعرف أساليب الغرب في السيطرة على الشعوب، وخبير بالتفوق الغربي في المجال الصناعي.

فبدأ حديثه: إنَّ الغربيين يفكرون في تمزيق بلاد الإسلام وإذلال المسلمين، ويستعينون بالصناعة والتقنية الحديثة لتحقيق مآربهم.

يقول الوالد رحمته الله: وكان الشيخ الخال قُدْرَتُهُ يستقبل كلمات هذا الرجل بعبارة: «عجيب»، أما بقية الحضور فكانوا يستهزئون من المتكلم، حيث كانوا يرون كلامه ضرباً من المستحيل، ويتعللون بحديث الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: «الإسلام يعلو ولا يُعلَى عليه»^(١)، بأنه كيف تمكن سيطرة الكفار على المسلمين؟ وكيف يمكن تقدمهم الصناعي؟ وكيف يمكن لكلمة الكفار أن تعلو على كلمة المسلمين؟.

صورة من التخلف

ولقد كان البعض يعتقد أن التقدم الصناعي نوع من الخرافة، فزعم باستحالة التصوير الفوتوغرافي لاستحالة انتقال الأعراس كما عليه الفلاسفة!. وكانوا يعتقدون باستحالة وجود المصباح بشكله الجديد؛ لاستحالة بقاء النار في مكان مغلق.

والانكسار ويسحبون جيوشهم من أرض الرافدين. ومن مواقفه أيضاً استنكاره للمعاهدة البريطانية - الإيرانية سنة ١٣٣٦ هـ، والذي أدى موقفه إلى إلغائها. قال عنه السيد حسن الصدر في التكملة: (عاشرته عشرين عاماً، فما رأيت منه زلة، ولا أنكرت عليه خلة). من مؤلفاته: "حاشية على المكاسب"، "رسالة في صلاة الجمعة"، "رسالة في أحكام الخلل". ترجمه أعيان الشيعة، معارف الرجال، نباء البشر في القرن الرابع عشر: ج ١ ص ٢١٦ وطبقات أعلام الشيعة.

(١) من لا يحضره الفقيه: ج ٤ ص ٣٣٤ ب ٢ باب ميراث أهل الملل ح ٥٧١٩.

وكذلك استحالة أن يتكلم الإنسان في داره، ويسمع كلامه إنسان آخر في دارٍ أخرى وفي بلد آخر عبر ما يسمى بالهاتف. وهكذا كانوا ينكرون التقدم الصناعي الذي توصل إليه العلم في ذلك الزمان.

وكان بعضهم يعتقد بأنه ليس علينا شيء من الإصلاح حتى يظهر الإمام الحجة المنتظر (عليه السلام وعجل الله تعالى فرجه الشريف)، وقد أجبنا عن ذلك في بعض كتبنا^(١).

وكان آخرون يعتقدون أن صلاح المجتمع فيما يقرره الخليفة العثماني في الآستانة، أو ما يقرره الملك في طهران، فهؤلاء يطبقون أحكام الإسلام، ويعزلون الولاة، ويؤمنون سلامة الطرق بواسطة الخيالة^(٢).

إلا أن الخليفة العثماني زاد في ظلمه وجوره، وسعى في خراب البلاد وإذلال العباد، فملاً السجون، وعذب الأبرياء وقتلهم، وصادر أموال الناس، وأخذت البلاد تتأخر يوماً بعد يوم والغرب يتقدم، وهكذا كان حال الملك القاجاري.

(١) راجع كتاب "الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف" للإمام المؤلف رحمته الله.

(٢) كان الحفظة من الشرطة يركبون الخيول السريعة، وكانوا يترددون بين كربلاء والنجف فارسين فارسين، وفارسين فارسين من كربلاء إلى النخيلة ومن النخيلة إلى كربلاء، ثم من النخيلة إلى خان النص آخران، ومن خان النص إلى النخيلة آخران، ومن خان النص إلى المصلّى فارسان، ومن المصلّى إلى خان النص فارسان وهكذا. وقد رأى المؤلف رحمته الله ذلك في صباحه، وهكذا الأمر بين كربلاء وبغداد، وبين الأخيرة وسامراء، وبقية المدن العراقية.

رواد النهضة الإسلامية

وفي تلك الحقبة الزمنية ظهرت حركات نهضوية في بعض المناطق الإسلامية، كتركيا والعراق ومصر وسوريا، وبعض بلاد فارس كطهران وأصفهان وشيراز وتبريز، تسعى من أجل الجامعة الإسلامية، والدعوة للرجوع إلى قوانين الإسلام الحيوية، والتي نادى بها أمثال جمال الدين الأفغاني^(١) لأجل وقف التدخل الغربي.

وكان رواد هذه النهضة يتطلعون إلى نشر التعليم الشامل، والأخذ بنصيب وافر من الصناعة والزراعة، ومحاربة التخلف والتعاس في العمل، والوقوف بوجه الظلم والاستبداد والفردية.

وكانوا يطالبون بإنقاذ المرأة من الظلم ومن التأخر، لكي تصل إلى مكانتها اللائقة التي قررها الإسلام، وكانوا يطالبون بالشورى، وكان كتاب النائيني^(٢)

(١) وُلد في أفغانستان سنة (١٢٥٤هـ / ١٨٣٨م)، وقيل: وُلد في أسد آباد من توابع مدينة همدان الإيرانية، ومات سنة ١٣١٥هـ / ١٨٩٧م) في تركيا. كاتب وخطيب ومصالح ديني واجتماعي وسياسي وداعية في القرن التاسع عشر الميلادي، سعى إلى تحرير المسلمين من الاستعمار والتدخل الأجنبي. وفي عام (١٢٧٣هـ / ١٨٥٧م) دعا إلى فكرة الجامعة الإسلامية، وأنشأ جمعية أم القرى. كافح الاستعمار البريطاني في أفغانستان والهند، وأبعد إلى مصر سنة (١٢٨٦هـ / ١٨٧٠م)، ثم رحل إلى الهند سنة (١٢٩٦هـ / ١٨٧٩م)، ثم انتقل إلى فرنسا سنة ١٣٠٠هـ / ١٨٨٣م) وفيها أنشأ مع محمد عبده جمعية باسم "العروة الوثقى"، ومجلة تحمل نفس الاسم. كما أنشأ في المجلتر مجلة "ضيء الخافقين" بعد أن رحل إليها. نُفي إلى اسطنبول سنة (١٣٠٩هـ / ١٨٩٢م) في عهد عبد الحميد الثاني العثماني إلى أن وافاه الأجل. من مؤلفاته: "الرد على الدهريين".

(٢) الشيخ محمد حسين بن عبد الرحيم النائيني، وُلد سنة ١٢٧٧هـ ومات سنة ١٣٥٥هـ. بدأ دراسة المقدمات الدينية في مدينة أصفهان، ثم هاجر إلى العراق، ودرس عند السيد المجدد الشيرازي في مدينة سامراء، ثم هاجر إلى مدينة كربلاء المقدسة وبقي فيها مدة، وهاجر منها إلى ◀

"تنبيه الأمة"، وكتاب الكواكبي^(١) "طبائع الاستبداد"، وبعض المقالات لجمال الدين الأفغاني، ومن أشبهه، هي بعض المحور في الثقافة ذلك اليوم. فالمتقفون من شباب المسلمين كانوا يدعون إلى هذه الأفكار، بينما كانت الغالبية من الناس إما في معزلٍ عنها أو معارضين لها.

ماذا فعل الغرب ببلاد المسلمين؟

كانت هذه القضايا، وهذه التطلعات تشكل في القرن الماضي وأوائل القرن الحاضر، دوام فكرة النهضة الإسلامية، والتي مازالت مطروحة على بساط البحث.

وكانت في ذلك اليوم خمس دول مهمة: العثمانية والمغربية واليمنية والإيرانية والمصرية. أما غيرها فكانت أجزاء تابعة لتلك الدول كالسنجقات بالنسبة إلى الدولة العثمانية مثل سنجق العراق وسنجق سوريا.

وكان الوضع في إيران غير مستقر، فكانت هناك دعوات لانفصال أجزاء من إيران وإلحاقها بروسيا القيصرية، وكانت تراود الأذهان نتيجة سياسة الملك

► النجف الأشرف، وتلمذ عند الشيخ محمد كاظم الخراساني، وأصبح عضواً في مجلس إفتائه، وشاركه في ثورته المشروطة. من مؤلفاته: "تنبيه الأمة وتنزيه الملة". ترجمه نقباء البشر: ج ٢ ص ٥٩٣.

(١) عبد الرحمن بن أحمد بن مسعود الكواكبي، وُلد في مدينة حلب سنة (١٢٦٥هـ / ١٨٤٩م)، وقُتل مسموماً من قبل الوالي العثماني في القاهرة سنة (١٣٢٠هـ / ١٩٠٢م). مفكر إسلامي و كاتب وصحفي، ينتسب لأسرة تحظى بالعلم والمعرفة، ويرجع نسبه لآل الرسول ﷺ. تنقل لنشر الإسلام في سواحل إفريقيا الشرقية والجنوبية وسواحل آسيا وبلاد الهند وسواحل الصين واليمن ومصر وتوفي فيها. اشترك في القضاء والإفتاء حيث أصبح رئيساً للمحكمة الشرعية في حلب، وأصدر جريدة "الفرات" وجريدة "الشهباء" سنة ١٨٧٨م وجريدة "الاعتدال" ١٨٧٩م. تعرض للسجن والاعتقال من قبل الوالي العثماني عارف باشا وأبي الهدى الصيادي. من مؤلفاته: "طبائع الاستبداد"، "أم القرى".

القاجاري فتح علي شاه غير المتزنة.

وكانت فكرة إنشاء وطن لليهود في فلسطين، وفكرة تأسيس دولة للنصارى تراود في الألسن، حسب ما ذكره أمير المؤمنين عليه السلام في أخباره الغيبية، والتي نظمها أحد شعراء الهند في قصيدة منها هذه الأبيات:

قد قال في غيبه الكرار في علم بين الكتابين أرض الحق تنقسم
أتباع عيسى وموسى يغلبونكم أ و ليس ذاك فيكم من لهم همم
أما النصارى فقد شاهدت دولتهم أما اليهود فلم يظهر لهم علم

أقول: لكننا شاهدنا دولة اليهود الغاصبة في فلسطين منذ نصف قرن، وشاهدنا كيف تحول الغرب - ببلاده المختلفة وأمريكا التي رفعت لواء ما سموه بالحرية والسلام والتقدم - إلى بلاد استعمارية من أشجع أنواع الاستعمار.

لقد استعبدوا الشعوب بالحديد والنار، وانهمكوا في السلب والنهب، ونقلوا إلى أوطانهم كل ما اعتبروه نافعاً لهم، سواء من المواد الأولية، أم السواعد البشرية، أم العقول المثقفة، أم الآثار والمخطوطات الثمينة، وما أشبه ذلك.

لكن التكالب المادي وضيق الأفق في البلاد الغربية جعلهم يتحاربون فيما بينهم، في حروب أشد ضراوة وأكثر همجية ووحشية من كل ما حدث في تاريخ العالم، وذلك كما في الحربين العالميتين^(١).

(١) وهما: الحرب العالمية الأولى، اندلعت سنة ١٩١٤م بين ألمانيا والنمسا والمجر من جانب، وفرنسا وإنجلترا وبلجيكا واليابان وأمريكا من جانب آخر، وانتهت في سنة ١٩١٨م. بلغت تكاليفها ١٩٠ مليار دولار، وقد قُتل فيها تسعة عشر مليون إنسان. من الأسباب غير المباشرة لهذه الحرب: نمو النزعة القومية في أوروبا، ووجود الصراع السياسي والاقتصادي بين الدول، إضافة إلى التكتل الدولي. ومن الأسباب المباشرة: إعلان النمسا الحرب على صربيا سنة (١٣٣٢هـ / ١٩١٤م)، وإعلان ألمانيا الحرب على روسيا ثم فرنسا. انتهت الحرب بعقد

وقد قرأت في تقرير: إن في الحرب العالمية الثانية وحدها، كان هناك أكثر من سبعين مليوناً من البشر قتلوا، أو فقدوا، أو بترت أعضاؤهم، أو ما أشبه ذلك.

تغيرت البلاد ومن عليها

وهكذا تغيرت البلاد ومن عليها، وصارت كلُّ الوعود سواء من المسلمين أم غيرهم معكوسة، ولم يتعقب الزمان إلا في ضرر المسلمين مادياً ومعنوياً. مثلاً جمعية الاتحاد والترقي^(١) التي بشرت بمستقبل أفضل لتركيا ومن في فلکها، انقلبت إلى شيء مضاد للاتحاد والحريّة، حتّى أنّ أحد قادتها وهو جلال نوري كتب في كتابه "تاريخ المستقبل" تعبيراً صريحاً ضدّ المسلمين قائلاً: (علينا أن نهجر السوريين من أوطانهم، وأن ننشئ مستعمرات تركيّة في كلِّ من اليمن والحجاز، وأن نعتبر اللغة التركيّة لغةً دينيّة، وهذه الأمور يجب أن ننجزها بسرعة؛ لأنّ الجيل العربي الصاعد يتأثر يوماً بعد يوم بالتيارات العنصريّة).

► معاهدة فرساي سنة (١٣٣٧هـ / ١٩١٩م).

والحرب العالمية الثانية، التي ابتدأت سنة ١٩٣٩م بين دول ألمانيا وإيطاليا واليابان من جانب، وفرنسا وإنجلترا وروسيا وأمريكا والصين من جانب آخر. انتهت سنة ١٩٤٥م، وبلغت تكاليفها ٢٨٥مليار دولار، وقد قُتل في الحرب العالمية الثانية ما يقارب خمسين مليون إنسان.

(١) جمعية الاتحاد والترقي أول تشكيلة حزبية قومية، تأسست في سلانيك سنة (١٣٠٧هـ / ١٨٩٠م)، وبلغت ذروة نشاطها سنة ١٩٠٧م. دعت إلى الأمة الطورانية - النزعة القومية العدائية تجاه العناصر غير التركية في الدولة العثمانية - وسعت إلى تغريب الدولة العثمانية، والقضاء على المفاهيم الإسلامية، وإن أغلب أعضائها من العسكريين، وتسمّى الجمعية بأسماء أخرى منها: "العثمانيون الجدد"، "تركيا الفتاة".

يقول صاحب كتاب "نشوء القومية" ص ٨٦ عن قيادات هذه الجمعية ما لفظه: (أحداهم بولوني اعتنق الإسلام، واثان يهود، ورابع بلغاري غجري اعتنق الإسلام، وخامس نصفه شركسي ونصفه مجري).

عن هذه الجمعية راجع "الموسوعة الإسلامية": ج ٤ ص ٧ حسن الأمين.

أما تركيا نفسها فقد جعلوها بلداً متخلفاً إلى أبعد الحدود، لا في الدين وقوانين الشريعة فقط، بل في أمور الدنيا أيضاً، حيث إنها مثقلة بدين إلى حد كبير، وخالية من الصناعة والتقدم المطلوب، ونشروا فيها الفساد والدعارة.

ولما كان القرآن هو حافظ اللغة العربية على مرّ العصور، فقد أدرك دعاة القومية التركية أنه لا بدّ من قطع حبل الاستمرارية الرابطة بين القرآن وبين اللغة العربية. فنأدى أتاتورك^(١) بضرورة ترجمة القرآن إلى التركية وحذف النص العربي، وفرض تدريس اللغة التركية في المدارس الابتدائية في الولايات العربية، وأمر بترجمة الأذان إلى التركية ومنع الأذان العربي، كما منع لبس العمامة على

(١) أتاتورك: قول آغاسي مصطفى كمال أفندي المشهور بـ (أتاتورك). وُلد سنة ١٢٩٨هـ / ١٨٨١م)، وحكم تركيا بعد انقلاب عسكري سنة (١٣٤١هـ / ١٩٢٣م)، واستمر في الحكم إلى أن أدركه الموت سنة (١٣٥٧هـ / ١٩٣٨م). حكم بسماتٍ عديدة أبرزها الفاشية والاستبداد، وقتل المفكرين والعلماء. ففي سنة (١٣٤٢هـ / ١٩٢٤م) أصدر ثلاثة قرارات: أ. إلغاء الخلافة، وطرّد جميع أفراد آل عثمان خارج البلاد. ب. إلغاء وزارة الأوقاف والأموال الشرعية. ج. توحيد التعليم. وبموجب هذه القرارات ألغى التشريعات الدينية من الأنظمة الحقوقية والمحاكم، وقلص دور المؤسسات الدينية، وجعلها تحت إشراف الدولة العلمانية لضبط حركة العلماء وأئمة الجمعة والجماعة والخطباء والمؤلفين، وضبط حركة التدريس لمنع المناهج الدينية في المدارس، ومنع التمثيل في الجانب السياسي بإلغاء الأحزاب الدينية. وفي سنة (١٣٤٣هـ / ١٩٢٥م) أجبر الشعب التركي على تقليد الغرب، فأصدر "قانون الملابس" بإبدال الطربوش بالقبعة، وبدأ تطبيقه بالتدرّج على حرسه الخاص، ثم على الجيش، ثم على الشعب، ونصب محاكم عسكرية في المدن؛ لتحكم على مئات الناس ممن لم يقبلوا بقراره بالشنق والرمي بالرصاص والسجن. ولا يخفى أن الاستعمار البريطاني - ولأجل تغيير عقول الناس بأفكارهم وعاداتهم وأزيائهم، وأساليب حياتهم، وبكل شيء يرتبط بنشأتهم الدينية الإسلامية وبماضيهم - قد نصب أربعة عملاء في الشرق الأوسط، وفي فترة زمنية متقاربة، وهم: أمان الله خان في أفغانستان، ورضا بهلوي في إيران، وياسين الهاشمي في العراق، وأتاتورك في تركيا. راجع "الذئب الأغبر" للمؤلف ه. س. أرمسترونج، و"العثمانيون في التاريخ والحضارة" د. محمد حرب، و"الرجل الصنم" لضابط تركي.

رجال الدين، ومنع ارتداء الحجاب، ومنع تدريس القرآن منعاً باتاً، وأخذوا يذوّنون المسلمين أيما إذلال.

وأجهضت جامعة الدول الإسلامية التي نادوا بها أولاً، فقد تحوّلت عاصمة الدول الإسلامية قرابة خمسمائة سنة إلى بلد صغير تؤخره القومية التركية الطورانية، وثمّ ماذا؟ لا شيء، كما قال الشاعر^(١):

وَلَقَدْ نَهَزْتُ مَعَ الْغَوَاةِ بِدَلْوِهِمْ وَأَسْمَتُ سَرَحَ اللَّهْوِ حَيْثُ أُسَامُوا
وَبَلَّغْتُ مَا بَلَغَ إِمْرُؤُ بِشَبَابِهِ فَإِذَا عُصَاةٌ كُلُّ ذَلِكَ أَثَامُ

فالعصاة هي: التأخّر والتخلف ديناً ودنياً، وأخلاقاً وسلوكاً.

أمّا بالنسبة إلى البلاد العربيّة التي كانت من سناجق العثمانيين، فقد وقعت تحت سيطرة إمبراطوريتين أورييتين: الإمبراطورية البريطانيّة والإمبراطوريّة الفرنسيّة. ولم يمر وقت طويل حتى استولى الأمريكان أيضاً وتقاسمتها مع الاستعمار القديم، باسم الانقلاب والحماية والاستيطان والاستعمار، عسكرياً كان أم اقتصادياً.

وقد قسموا سنجقاً واحداً من الجسم العثماني، وهو سوريا الكبرى التي تشمل: لبنان، وسوريا، والأردن، وفلسطين. وهكذا قسموا سنجق مصر إلى: مصر، وتشاد، وليبيا، والسودان.

فقد كان هناك مركز واحد وله أطراف تمتدّ إلى الخليج شرقاً، وقناة السويس غرباً، وإلى اليمن جنوباً، ولواء الإسكندرونة الذي يفصل بين سورية وتركيا شمالاً، إلى غير ذلك ممّا هو معروف في التاريخ.

وهذا لا يعني أبداً أننا نطالب بعودة تلك الخلافة الظالمة، كما كانت على عهد الدولة العثمانية، فمشكلة البلاد الإسلامية نشأت من الخلافة العثمانية

(١) أبو نؤاس، الحسن بن هانئ بن عبد الأول ١٤٦ - ١٩٨ هـ.

المنحرفة عن الدين والدنيا معاً، ومن الحكومة القاجارية الإيرانية التي كانت كذلك.

وإن ما نقصده، هو المطالبة بيقظة إسلامية عامة لهذه البلاد كافة، تُرجعها إلى: العقل والعقلانية، والفطرة، والإنسانية، والتآلف، والأخوة، ونبذ الحدود الجغرافية المصطنعة، وإرجاع الأخوة الإسلامية، والأخذ بالحريات الصحيحة، حتى لا نكون كسائر الشعوب الناهضة فحسب، بل نكون فوق ذلك كما بشر به القرآن الكريم: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ﴾^(١)، وقال رسول الله ﷺ: «الإسلام يعلو ولا يُعلَى عليه»^(٢).

وحينذاك سوف نشهد الغرب يأخذ من المسلمين ما طبقوه من شرائع دينهم في كل أبعاد الحياة كما أخذ الغرب من المسلمين سابقاً.

إن الاحتياج إلى قوانين الإسلام في العصر الحاضر - عصر العلم والصناعة والتكنولوجيا - أكثر من العصر السابق، فمثلاً قال رسول الله ﷺ: «من أعان على قتل مسلم ولو بشرط كلمة، جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه آيساً من رحمة الله»^(٣). فهذا الحديث نحتاج إليه في زمن القنبلة الذرية أكثر من احتياجنا إليه في زمان كانت آلة الحرب السيف والسهم والرمح وما أشبه ذلك، وهكذا بالنسبة إلى سائر أبعاد الحياة.

وإنني أتصور لو أن الغربيين عرفوا الإسلام كما جاء به القرآن والسنة المطهرة، وكما طبقه الرسول ﷺ والإمام أمير المؤمنين عليه السلام، لتمسكوا به أكثر من تمسك المسيحيين بالمسيحية، ومن تمسك كثير من المسلمين بالإسلام.

(١) سورة آل عمران: ١٣٩.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ج ٤ ص ٣٣٤ ب ٢ باب ميراث أهل الملل ح ٥٧١٩.

(٣) غوالي اللآلي: ج ٢ ص ٣٣٣ ب ٢ باب الصيد وما يتبعه ح ٤٨.

مصير الحضارة الغربية

مسألة: يرى البعض أن العالم الغربي سيتغير في القريب العاجل ، استناداً إلى بعض القرائن ، وإلى جملة من الآراء والأقوال .

قال أحد علماء الغرب : (العالم الغربي في طريقٍ مسدود ، لقد حصل على الكثير من الأمور الاقتصادية ، وفقد أي معنى وهدفٍ في الحياة ، وبدون هذه الأهداف ، المجتمع الغربي مثل أي مجتمع آخر في الماضي لا بدّ من أن يفقد حيويته وقوته الداخلية)^(١) .

وقال عالم آخر : (الخوف والكراهية والعنف أصبحت جميعاً وباءً مستوطناً)^(٢) .

أقول : ومن المعلوم أنّ الخائف يغيّر حاله ، والشاكّ يحاول أن يصل إلى اليقين فلا يبقى عند شكّه ، والذي يستخدم العنف ينقلب العُنف عليه فيكون عبرةً له ، والأوبئة لا بدّ أن تُعالج .

وحيث هذه هي حالة الغرب : فإنه خائف شاكّ ، مستخدم للعنف ، مليء بالأوبئة ، فلا بدّ أن ينقلب عن هذه الأمور ولو نسيباً ، بضغط من مفكره ، وبسبب وجود تعددية سياسية وتداول للسلطة ، وحريات نسبية ، ولو لم يفعل فإنه سيسرع في سقوطه كما هي سنة الله في الكون .

أحد العلماء الغربيين يقول : (إنّ هذه الحقبة حقبة شديدة الحرج ، يسودها العنف والصراع والثورة ، والدمار والوحشية ، والأخطار الذرية ، والانفجار

(١) وهو العالم الألماني أريك فرام .

(٢) وهو العالم الاجتماعي لويس منكورد .

السكّاني، والانفصام الإيديولوجي، والإضراب العام^(١).

ويقول كاتب غربي آخر: (كل الآراء المتفائلة قد باءت بالفشل حقاً، لم يعد السؤال البين هو عمّا إذا كانت قوى التكنولوجيا والديمقراطية والرأسمالية هي من العوامل التي تُبشّر بمستقبل زاهر، بل أصبح السؤال عن درجة مسؤولية هذه العوامل عن الآثار الحاقدة التي تولّدت عن الماضي)^(٢).

ويقول عالم آخر: (إنّ عدم التوازن بين سرعة التقدم الاقتصادي وسرعة التقدم التكنولوجي يؤدي إلى خلل خطير)^(٣).

ويضيف عالم آخر: (لدينا نظام لا يعمل، وتعطله عن العمل أخطر ممّا نتصوّر، والدليل هو إنفاقنا مائتي بليون دولار لإنقاذ صناعة الأذخار والقروض، الأمر الذي سيقم الدليل على فشل جهازنا التنظيمي، وانتهيار الاستقامة السياسيّة في نظامنا السياسي، وحتى ديمقراطيتنا القائمة على الانتخابات الحرة، والتي نعتزّ بها فقدت فاعليتها لحلّ المشكلات. أمّا مشكلة البلاد الرأسماليّة فتتمثّل في الجنح وسوء الإدارة حيث أصبح تكوين الثروة هو المعيار الأكبر في حياتنا)^(٤).

ويقول أحد علماء الاجتماع في الغرب: (إنّ الفساد السياسيّ، وحاكميّة نظام اقتصاد السوق، والنظام الاجتماعي الأمريكي اللاأخلاقي، ستغرق أمريكا في وحلّ الزوال - إلى أن يقول - النظام السياسي لأمريكا في طريقه إلى الزوال)^(٥).

(١) وهو العالم الإنجليزي هكسلي.

(٢) وهو العالم الإنجليزي هلبروانر.

(٣) وهو بول كينيدي أستاذ التاريخ في "جامعة ييل" في كتابه "صعود وأفول القوى العظمى" الذي صدر عام ١٩٩٠م.

(٤) وهو العالم روبرت ته.

(٥) وهو العالم باون أستاذ العلوم الاجتماعية في "جامعة جورج واشنطن" في مجلّة "بروفيل" النمساوية.

ويتحصّل من مجموع أقوال هؤلاء، مضافاً إلى سائر القرائن: التغيير في جوانب عديدة من حياة الغرب، وربما انهيار داخلي اجتماعي واقتصادي وسياسي، وفشل في السياسة الخارجيّة، واختفاء الكثير من المعادلات السياسيّة الدولية التي كانت تتعامل بها، ونمو قوى اقتصادية منافسة لأوروبا وأمريكا مثل اليابان والصين وما أشبه.

كما أن أمريكا أيضاً صار لها منافسان اليابان وأوروبا الموحدة، وذلك كلّ دليل على انتهاء دور الأكبر للغرب المادي، كما انتهت أدوار الفينيقيين^(١) والآشوريين^(٢)، ومن غيرهم ممن كانوا على شاكلتهم.

(١) قيل: هم الذين سكنوا سواحل البحر الأبيض المتوسط أكثر من (٤٠٠٠) سنة قبل الميلاد. اختلف المؤرخون في أصول نشأتهم، فمنهم من قال: إنهم أتوا من شواطئ البحر الأحمر، ومنهم من أرجعهم إلى شعب دلمون في الخليج، إلا أنهم اتفقوا على أن الفينيقيين هم كنعانيون ساميون من صلب سام بن نوح. وقد ربطهم الطبري بالعماليق من العرب البائدة. وقال أمين الريحاني: ما أجمع عليه المؤرخون والأثريون أن الفينيقيين مثل العرب ساميون، بل أنهم عرب الأصل، نزحوا من الشواطئ العربية الشرقية على الخليج، من القطيف ومن البحرين إلى سواحل البحر المتوسط في قديم الزمان. سيطر الفينيقيون في فترات محددة على معظم جزر البحر المتوسط حتى امتدت مستعمراتهم من قرطاج في شمال أفريقيا إلى كورسيكا وجنوب إسبانيا. اشتهر الفينيقيون بالأبجدية الخاصة بهم وكتاباتهم الأكثر تطوراً، والتي اعتمدت على مخارج الحروف بدلاً من الكتابة التصويرية، مثل الهيروغليفية والمسمارية. وكانت أصل الأبجدية المعاصرة لكل من اللغة العربية والعبرية واليونانية واللاتينية. ويرجح أن يكون سكان كل من سواحل سوريا ولبنان وتونس ومالطا يحملون جذوراً فينيقية.

(٢) قيل: هم قوم استوطنوا القسم الشمالي من بلاد ما بين النهرين - العراق وشرق سوريا - منذ الألف الثالث قبل الميلاد. وبرزوا كقوة عظيمة في الشرق القديم في بدايات الألف الأول قبل الميلاد حين استطاع ملكهم أداد نيراري الثاني إخضاع الأقاليم المجاورة، وتحالف مع بابل، ومعه بدأت الفتوحات الآشورية. وابتداء من زمن حكم هذا الملك أرخ الآشوريون أخبارهم بالطريقة المعروفة باسم "اللمو" وهي إعطاء تاريخ كل سنة يحكم فيها موظف كبير، أو ابتداء من اعتلاء الملك العرش. كان الآشوريون بالأصل من العموريين الذين تبنا اللغة الأكادية، ومن ثم

شواهد أخرى

وقال أحد العسكريين الأمريكيين^(١): هل أمريكا سائرة إلى الانحطاط؟ وقد طرَحَ هذا التساؤل في مقدمة مقالة كتبها في مجلة "نيويورك تايمز"، ويجب على هذا السؤال قائلاً:

هذا السؤال أخذ في السنوات الأخيرة يقضّ مضاجع الأمريكيين وكان قد أشاره إلى حدّ ما كتاب كنيدي "ارتقاء وانهيار القوى العظمى"، إلا أن اهتمام الأمريكيين بهذا السؤال لم يكن بسبب إثارته من قبل أحد المثقفين، بل هو أيضاً ناتج عن قلقهم بشأن العجز الفدرالي الضخم الذي برز في السنوات الأخيرة، وبالتالي عن تفاقم الدين الأمريكي القومي، والذي انعكس في الخشية من العجز في ميزانية التجارة، والحاجة إلى اقتباس واقتراض مبالغ مذهلة في كل المجالات، كما انعكس في القلق الذي ساور الأمريكيين نتيجة التردّي الدراماتيكي للولايات المتحدة من بلد كبير إلى أكبر بلد مُستدين، كذلك فإنّ مُبررّ الانهيار جاء نتيجة اعتقاد الأمريكيين بأنّ قدرتهم على المنافسة انهارت، وأنّ بلادهم باتت في مرتبة متأخرة عن غيرها من الدول في مجال التحديث ونموّ الإنتاجية، كما أنّه أيضاً نتيجة لتفاقم البطالة وانهيار القاعدة الصناعية، وبسبب تعاظم العجز التجاري في مواجهة الانخفاض الحادّ في سعر صرف الدولار، هذه الصورة لأمريكا اليوم متناقضة مع الصورة السابقة لأيام العزّ الأمريكي في فترة ما بعد الحرب. لقد

► اختلط العموريون والآشوريون الأوائل بالشعوب الجبلية الحثيين، والحوريين شمال العراق، وبالكلدانيين الآتين من بابل، واختلطوا بالآراميين - قبيلة الأخلامو والنبط - وقبائل العربي أو الأعربي - قبائل قيदार وقيدم وجندبو وسبأ وثمودي - التي أخضعها الآشوريون في القرن التاسع قبل الميلاد.

(١) وهو تشلينجر وزير الدفاع الأمريكي الأسبق.

خرجنا من الحرب العالمية الثانية وكنا مثلاً نملك ٥٠٪ من نسبة إجمالي النتائج للإنتاج العالمي، بينما اليوم تراجع هذه النسبة إلى ٢٥٪، إضافة إلى ذلك فقد كنا في تلك الأيام السابقة نحتكر صناعة الأسلحة النووية، ومن بعد ذلك احتكرنا تفوقاً ملموساً حقيقياً ولفترة طويلة في ميدان القوى الإستراتيجية، لكن في السنوات الأخيرة فإنّ الحالة هي على العكس تماماً على الرئيس وتكراراً على اعتقاده بأنّ الولايات المتحدة باتت من حيث الضيق الرئيسي الجعلي للقوة العسكرية في مرتبة أدنى من عدوها الرئيسي.

أقول: هذا صوت واحد من بين عشرات الأصوات المدوية، والمنطلقة بنبرات خائفة على مصير الحضارة المادية التي تتحمل اليوم أكبر المسؤولية عن شقاء الإنسان على هذه المعمورة. حيث نرى أن التقدم الكبير الذي أحرزته في مجال العلوم التطبيقية، لكن ما أنتجته من أمراض جديدة نفسية وعضوية وميكروبية، لهي أشدّ وطأً على الإنسان من الجذام والجذري والكوليرا التي استطاعت مواجهتها والقضاء عليها، بفضل التقدم الطبي.

ومن الأمثلة على ذلك أنه في سنة ١٩٧٩م استقال أربعة مدراء من أعلى المستويات في أحد أهم الشركات الغربية^(١) وقالوا أثناء استقالتهم: (لقد بات مستحيلاً علينا أن نخدم صناعة وحشية تكنولوجية فائقة). وقد قال البعض^(٢): (إنّ حادثاً نووياً هو أمر لا يمكن تجنّبه).

(١) وهي شركة جنرال إلكتريك.

(٢) وهو: روجيه غارودي في كتابه "نداء إلى الأحياء".

السقوط أم التصحيح؟

لكن من الضروري أن نعلم، أن المادية الغربية سببت للمجتمع الغربي وقوعها في دوامة هائلة من المشاكل والأوبئة والمفاسد والأضرار، إلا أنها - حسب المتصور - لا تسبب سقوطاً سريعاً للغرب بالمعنى المتداول للسقوط^(١)، وإنما تسبب في أن يفكر عقلاؤهم في تصحيحها، وبالأخذ بالإسلام وقوانينه بالذات لتصحيح أوضاعهم أو بعضها على الأقل، وذلك لوجود نوع من الحريات والتعددية، وهنالك يسمح لهم بالتصحيح الذاتي إلى حد ما، عكس الدكتاتوريات التي تستمر مصرّة على كافة أخطائها حتى السقوط الذريع والفجائي.

وفرق بين السقوط وبين التصحيح، فكما أن المعنويات لا تتمكّن أن تخلّق بجناح واحد، كذلك الماديات، فإذا كانت روح فقط احتاجت إلى المادة، وإذا كانت مادة فقط احتاجت إلى الروح، وقد ذكرنا بعض الإلماع إلى ذلك في كتاب "الغرب يتغيّر"، وعلى هذا فالغرب آخذ بالتصحيح، لا بالزوال والسقوط السريع على ما يبدو بحسب مختلف القرائن.

نعم، الغرب قد يضعف بمرور الزمن لو أصر على أخطائه، ومن أكبرها الاستعمار والسلاح، لكن ذلك قد يستمر لأكثر من العقود المنظورة، وإنما نقول ذلك كي لا يركن المسلمون إلى سقوط الغرب فيتكاسلوا عن العمل بجد ونشاط، منتظرين يوم سقوطه.

ثم إن من أسباب عدم سقوط الغرب - كما سقطت الشيوعية - عدم ظهور

(١) كحدوث انقلاب عسكري فيها، أو سقوطها بسرعة كبيرة كما تسقط الحكومات الدكتاتورية دفعةً.

البديل العملي الأفضل في السياسة والاقتصاد وما أشبه لهم، فإن الاتحاد السوفيتي كان من أسباب سقوطه، ظهور الأفضل منه، وهو الغرب وإن كان سيئاً من جهات عديدة، إلا أنه كان أقل سوءاً منه بكثير.

ويرجع هذا الأمر - عدم التعرف على البديل الأفضل وهو الإسلام - إلى عدم طرح المسلمين البديل الأفضل، بل الطرح العكسي في السياسة والاقتصاد والحقوق وما أشبه مما يراه الغرب على أرض الواقع.

والمسلمون حيث لهم الروح الصحيحة والمبادئ القيمة والحلول الأساسية، يجب عليهم توفير النموذج العملي الأفضل، وأن ينقذوا الغرب بهدأته، وذلك بتوفير جناح يخلق به حتى يطير في أجواء الخير لا الشر، وحتى لا ينتكس في الحريات النسبية التي توجد فيها، وبعض ما فيه من قوانين ومنظمات لحماية حقوق الإنسان وما أشبه، وحتى لا يكون حاله حال الشرق؛ حيث مضت عقود من الدكتاتورية البغيضة.

ومن الأمثلة على أخطاء الغرب الفادحة أنه:

قد صرفت أمريكا لأجل إسقاط الشرق ما سبب العجز في ميزانيتها ومديونيتها، فهي ناشئة من صرف الموارد المالية في الإنفاق العسكري والتدخل في شؤون الدول الأخرى وما أشبهها.

وقد قرأت تقريراً ينص على إنفاق ما يقارب من ألف مليار دولار طيلة سنوات عديدة، وفي مختلف المجالات لأجل تحطيم الاتحاد السوفيتي وأوروبا الشرقية، وبالفعل حصل ذلك.

فكما أن الأفراد يمرضون ويضعفون، كذلك الأمم والدول والجماعات والحضارات والثقافات تتعرض للمرض وربما الموت أيضاً. وقد قال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا

عَدَاباً شَدِيداً كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُوراً ﴿١﴾.

لكن الكلام في أن مثل هذه الإشكالات المذكورة بالنسبة إلى أمة ضخمة هي ألف مليون، ولها مفكرؤها وعقلاؤها ومواردها وتجاربها، هل ستكون سبباً لسقوطها وهلاكها في المستقبل، أم توجب التغيير فيها.

منطق الأحداث والتاريخ والشواهد والقرائن يقتضي عدم السقوط بالمعنى المعهود، نعم قد تحدث انهيارات كبرى، وقد يسقط الغرب في فترات أطول وفي المستقبل الأبعد، ولكن في المستقبل القريب يبدو أن الغرب مقبل على التغيير لا السقوط، نتيجة الفساد الأخلاقي في الداخل، والاستعمار في الخارج، وشبه ذلك، وقد تسقط بعض دوله أو أكثرها نتيجة حرب عالمية ثالثة، لكن عقلاءهم يسعون لإصلاح أوضاعهم، وتطوير بلادهم.

لأن العقلاء يأخذون بما هو أحسن، إذا كان هناك الأحسن وعلموا به وتمكنوا منه، كما شاهدنا أن عقلاء الاتحاد السوفيتي والصين تركوا الماركسية وكبت الحريات، وأخذوا بإطلاقها حيث واجهوا عالم الغرب الحر نسبياً.

وهكذا إذا ظهرت قوة واقعية أفضل من القوة الغربية - كما هي الموجودة في الإسلام - فإن الغرب سيتحول إليها بالتدريج.

ولا شك أن الغربيين إذا تمسكوا بالإسلام وقوانينه الحيوية ومعتقداته الفطرية، وتركوا الاعتماد على عقائدهم التي تهرأت بسبب عدم كمالها الروحي، وإن تكاملوا بعض الشيء مادياً، لأنقذوا بلادهم وسعدوا سعادة عظيمة.

مهمة المسلمين

(١) سورة الإسراء: ٥٨.

والحاصل إنه من اللازم على المسلمين الاهتمام الأكبر في تطوير أنفسهم وبلادهم والسعي لهداية الغرب إلى معالم الإسلام.
وأن لا يخدع الإنسان المسلم نفسه بأن القوة الغربية عموماً، أو قوة أمريكا خصوصاً أخذة بالانهيار والسقوط القريب، فيترك العمل لأجل الإسلام والدعوة إليه.

بل على الأمة الإسلامية السعي في تطبيق قوانينه السامية في العدل والإحسان والشورى والحرية والأخوة والأمة الواحدة... والحث والعمل لأجل تطوير أوضاع الأمة الاقتصادية والصناعية وغيرها، وفي نفس الوقت العمل لهداية الآخرين عموماً والغرب خصوصاً.

ولا شك أن الحضارة الغربية تعاني من نواقص هي:

١: الافتقار إلى الإحساس بالعالم الآخر.

٢: الافتقار إلى السمو الروحي، فإن الإنسان مركّب من الجسد والروح، ولكلّ منهما متطلّباته، فإذا أعطى الإنسان جانباً دون الآخر ظلّ الآخر محتاجاً يريد ما يهفوله حتى يصل إليه.

والكنيسة ليست بقادرة على ملء الروح وسدّ الفراغ، فإن الكنيسة شيء ظاهريّ، أما جوهر الكنيسة فهو الإنجيل المحرّف، ومن الواضح أنه لا يشبع العقل والروح، بل ينقّر العقل بالقصص الموجودة فيه، والأحكام التي يتعرّض لها، كما أشرنا إلى ذلك في كتاب "ماذا في كتب النصارى؟".

ولذا فالعالم الغربيّ يتطلّب الموضوعات السليمة المرتبطة بالروح، ولا توجد تلك إلا في الإسلام.

٣: الاختلاف الطبقي والفقر الناجم عنه، وعن مثل صرف الأموال الهائلة

في السلاح.

٤ : الفساد الأخلاقي الذريع ، وما نتج عنه من أمراض فتاكة هائلة تزداد وتتنوع يوماً بعد يوم.

٥ : الاستعمار وسرقة ثروات الشعوب وما أشبه ذلك ، فإن الاستعمار يضغط على المستعمر - بالكسر - كما يضغط على المستعمر - بالفتح - . هذا ، والوجدان لا يرضى بأي ظلم ، ولذا نجد عقلاء العالم ينادون بضرورة إنهاء الاستعمار ، وقد ذكروا ذلك في كتبهم وبحوثهم^(١).

وفي ذلك عبرة

ويؤيد ما ذكرناه من السلبيات الموجودة في الغرب - والتي تدعو إلى التغيير - ما نشاهده من المظاهر أو المحاولات الدالة على التنفّر أو التقرب إلى الإنسانية . ومن الشواهد المفيدة على ذلك - ونذكره لا لخصوصية بل لأنه يكشف جانباً من جوانب الغرب - هو أنه على مقربة من نهر الدانوب ، يقضي سكّان (فيينا) والقادمون إليها من أبعد مناطق العالم ، ساعات من العنف في مدينة ألعاب ، والتي أُقيمت لأجل الكبار والصغار ، وقد خُصّص القسم الأعظم من منشآت هذه المؤسسة لتسلية الكبار في مختلف الأعمار ، وهي مكتظة بالرواد من المراهقين والمراهقات ، والشباب والكهول والعجزة وحتى الأطفال ، فإنهم يريدون قتل الوقت وملء الفراغ والمتعة ، فلقد أُقيمت هذه المدينة لإشباع حاجة دائمة يحسّ بها الفرد الغربيّ ، لكنّ تلك المدينة أيضاً لا تملأ الفراغ وإنما هي وقتية . وكثيراً ما يرجع إلى النفس ردّ فعل عنيف ، كما هو شأن الذين يرتكبون الجرائم ، فمدينة الألعاب في (فيينا) ، وفي كل مكان من الغرب نافذة نسبية ، يستطيع الزائر حتّى ولو لم يكن عالماً اجتماعياً أن يدرس المجتمع الأوروبي دراسة

(١) انظر كتاب "تشریح جثة الاستعمار" ، وفيه الشيء الكثير في هذا الباب.

نفسية واجتماعية ، ويظهر له الفراغ الكبير في داخل هذه الهياكل المتحركة ، وإنَّ الفرد كيف صار نهباً للمشاكل والضغوط والمضاعفات ، حتّى جاء إلى مدينة الألعاب للتنفيس عن مشاعره المكبوتة ولو لفترة محدودة ، حالهم حال الذي يستعمل المواد المخدّرة ليخرج من هذا العالم المليء بالمشاكل والهموم والمضاعفات ولو لساعات إلى عالم آخر لا يشعر ، وكذلك حال الخمارين ومن أشبههم .

لقد أُقيمت مراكز للتسلية واللهو ، وأماكن لنشر الرذيلة بين البنين والبنات ، وحتّى أن رجالاً ونساءً كباراً يتعاطون الرذيلة من الطرفين ، وأحياناً في مقابل إعطائهم المال ، وأحياناً في مقابل أخذهم المال ، وهناك عصابات لبيع المخدّرات بمختلف أنواعها ، وهذا كله يكشف عن الفراغ الكبير في الجانب الروحي .

فإن الغرب لم يمنح الناس الدواء لجرائمهم وأمراضهم العضال ، بل منحهم المسكّنات لتسكين الآلام .

وهذه المدينة تنقل الإنسان من واقعه المؤلم إلى عالم الخيال ، ليعيش في الأوهام والأحلام ، والذهول عن واقعه ، وإذا تجوّل الزائر في المدينة التي بُنيت بسعة كبيرة وبأقسام متعددة ، سيرى أن أغلب الزبائن يتجمعون على أدوات التسلية التي تتحرك بسرعة خارقة ، كالدواليب ذات الحركات العنيفة جداً ، والتي توجد ارتجاجاً في جسم الإنسان ، وهذا اللعب هو أكثر الألعاب جذباً للزوّار ، ويجتمع الزائرون حول المصفاة المتحركة التي تقذف بالجالسين فوقها بسرعة هائلة مع إطلاق صوتٍ شبيه بصوت مصفاة القهوة . كأنهم يريدون بهذه الرياضة أو بهذا اللّهُو إخراج الآلام المكبوتة في الأعماق بواسطة الرّجّات العنيفة السريعة التي تُحدثها هذه اللعبة ، فإنّ الإنسان إذا اشتغل بجسمه ذهل عن روحه عادةً ، كما أنّه إذا اشتغل بروحه ذهل عن جسمه كذلك .

وفي بعض أقسام هذه المدينة يقابل الإنسان لوحة كتب عليها: (زيارة إلى العالم الآخر)، وحول اللوحة تحوم صور الثعابين والعقارب، والشياطين ذات الأنياب الطويلة، والأشكال المخيفة جداً كالديناصورات وما أشبه ذلك.

والزيارة إلى العالم الآخر، تتم بواسطة قطار صغير يحمل الراكب إلى أماكن مظلمة شديدة الظلمة، ويجتاز بالراكب محطات تُثير الرعب، وتصطف حول الطريق مخلوقات غريبة، ذات أشكال مخيفة موجودة أو خيالية، وهي تنتظر قدوم الشخص، وبين الحين والآخر يتفاجأ الشخص بأصوات عالية مرعبة تقطع نياط القلب، وتورث الخوف والفرع، وأحياناً يجد المحافظون أن إنساناً غُشي عليه نتيجة الخوف حيث ينقلونه إلى الغرفة الطبية لعلاجهم ميدانياً.

فلدقائق ينقل القطار الإنسان إلى عالم خيالي يحسّ به من أعماقه، فينسى أنه ركب قطاراً، وكأنه فعلاً قد انتقل إلى عالم آخر كعالم الكوايبس.

وحيث أرادوا أن يكون الأمر مرعباً إلى الغاية يخشى الشخص الداخل في هذا المكان أن تطول الرحلة، ويتمنى أن يخرج القطار من النفق بأسرع وقت ممكن، وتنتهي الزيارة ويخرج القطار إلى الحياة الدنيا من جديد، ثم يعود لينقل زوّاراً جدداً وهكذا دواليك. وربما عاد إنسان آخر أبهرته الصور وأخذت بمجامع قلبه الأصوات.

ولعلّ الواضعين لهذه المدينة قصدوا بالإضافة إلى التسلية ودرّ الأرباح، الاستهانة بالأهوال التي تنتظر الإنسان في العالم الآخر، والاستخفاف بالدين، كما هو شأن اليهود حيث أورد القرآن الكريم أفويلهم حيث قالوا: ﴿لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَّعْدُودَةً﴾^(١).

(١) سورة البقرة: ٨٠.

يعني: إنهم يقولون إنَّ المبشرين بالآخرة والمنذرين عذابها - وإن صحّت - أقوالهم إلاّ أنّ العذاب لا يكون إلاّ قليلاً جداً، وينتهي بسرعة وليس له واقع بل إنه كالحَيال، فلماذا يترك الإنسان شهواته وأهواءه وما يريد أن يفعل خوف العقاب القليل أو الخيالي؟.

فمثلهم مثل التاجر الذي يركب البحر في أيام السفن الشراعية حيث يعلم أنّه يصيبه هول، لكن يعلم أنّ هوله في مقابل أرباحه المنتظرة شيء قليل، فيغامر بركوب البحر طلباً لتلك الأرباح، لكنّ الفارق أنّ الأرباح بالنسبة إلى التاجر مستقبل والأهوال حال، أمّا مثل الآخرة والدنيا ففي رأيهم أنها بالعكس فالأرباح حال والأهوال مستقبل، وهي لا تكون إلاّ أياماً معدودة حسب زعمهم.

وكأنّ المنشئ لهذه المدينة أراد أن يقول للإنسان لا تخف وارتكب كلّ ما تمكّنت، فإنّ العالم الآخر ليس إلاّ جولة من التسلية الحلوة. ولكن الواقع يختلف تماماً عن هذا التصوير.

فإن كثيراً من الزائرين لهذه المدينة، خصوصاً الذين يفرطون في معاورة الخمر أو استعمال المواد المخدّرة أو القضايا الجنسية المشينة، يرجعون وهم مرضى حتّى إنّ بعضهم تطول أمراضهم أو تهلكهم.

وبعض الأفراد وإن كانوا يخضعون للتفتيش الصحي، إلاّ أنّ التلاعب بالقانون بل الرشوة وما أشبهه هي فوق القانون، خصوصاً في مثل محلات الرذيلة والفساد.

وكيف كان: فهذا النموذج المستشري هناك يعكس حال العالم الغربيّ ولو في بعض جوانبه، إلاّ أنّه لا يمكن أن يدل ذلك على السقوط السريع، لأنّه ما من شكّ أنّ في المقابل كثرة مراكز الدراسات والقوى الضاغطة وكثرة العقلاء

والمفكرين في الغرب، ووجود تعددية حزبية، وتداول للسلطة، وتقسيم للسلطات وحرية نسبية وما أشبه، وإن كانت كلها دون المستوى المطلوب، وذات عيوب عديدة.

ومع وجود جوٍّ من الحرية والتعددية، فإن العقلاء والمفكرين يمكن لهم أن يعالجوا - ولو إلى حد ما - تلك الأوضاع الفاسدة والمتردية، كما ذكرنا قبل ذلك في زوبعة الشيوعية التي غزت الغرب فعالجوها، معالجة ذات شقين، شق في تحسين أحوال أنفسهم، وشق في تحطيم الإيديولوجية الشرقية، لا نفس الإيديولوجية فقط، بل حملتها أيضاً، كما شاهدنا ذلك اليوم، حيث أصبح الاتحاد السوفيتي خيراً بعد حين، وهكذا حال أوروبا الشرقية حيث رجعت أوروبا الموحدة، ليس فيها عن الشيوعية إلا ذكريات مؤلمة.

وقد ذكرنا أن الغربيين كانوا في الزمان السابق ديكتاتوريين ووثنيين وخرافيين إلى أبعد الحدود، فعالجوا الكثير من مشاكلهم بالتلفيق بالأخذ من المسيحية قسماً، ومن الإسلام قسماً، ومن تجاربهم قسماً ثالثاً.

مقومات النهضة الإسلامية

مسألة: بعد أن دلّ منطق الأحداث في هذا النصف الأخير من القرن الحاضر، على أن علاج المسلمين ليس بالوجودية أو الشيوعية أو القومية أو العلمانية، أو ما شابه ذلك من المذاهب الفكرية والسياسية المختلفة.

وبعد أن دلّ الواقع المشاهد على أن البشرية تطمح للأفضل وتسعى له.

وبعد أن دلّ العقل، والتجارب على أن قوانين الإسلام كقانون: (الأرض

لله ولن عمّرها)، وقانون (دعوا الناس يرزق بعضهم بعضاً)، وقانون إلغاء الربا وغيرها، هي الأفضل.

وبعد أن ثبت على طريق الهداية والعمل جمع غفير من الصالحين، فإنه لا

بدّ أن يكون المستقبل للنهضة الإسلامية الواقعية.

ونقصد بالإسلام المعنى الحقيقي له، الذي طبقه رسول الله ﷺ والإمام

أمير المؤمنين عليّ السلام، لا حسب منطق البعض، حيث أخذوا يُسمّون غير الإسلام إسلاماً ويشوهون سمعة الدين، كما هو الحال في عدد من بلاد الإسلام.

ولذا فالمستقبل يبشّر بخير بإذن الله تعالى، وأنه سوف تتأصل وتتوسع النهضة

الإسلامية الواقعية، على غرار النهضة في أوائل بزوغ الإسلام.

فاللزام على المسلمين أن يتهيؤوا لذلك، والتهيؤ يكون بأمرين:

الأول: الوعي العام.

الثاني: التنظيم الصحيح.

الوعي أولاً:

الوعي العام معناه: أن يعي المسلمون قوانين الحياة التي أمر بها الإسلام: الشورى، والحرية، والتعددية، والأخوة، والأمة الواحدة، والمؤسسات الدستورية، واللاعنف، والمداراة، والعيش مع جميع الأمم والأقوام بسلام جيراناً وغير جيران، فقد عايش الرسول الأكرم ﷺ اليهود والنصارى والمجوس وحتى المشركين أفضل عيش بسلام.

كما عايش ﷺ المنافقين الذين كانوا أشد الناس ضرراً على الرسول وعلى الإسلام وعلى المسلمين، حيث يقول القرآن الحكيم: ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرُوهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾^(١)، لكن الرسول ﷺ بين لنا بعمله الشريف طريق الحذر، فإنه ليس باللعنف والسجن والإرهاب والقتل للمعارضة، بل بالحكمة والكياسة والفتنة والذكاء، وبالمداراة أيضاً، فإنها من مقومات الحذر.

إذ يمكن كسب أكبر عدد من الناس بالمداراة واللطف والمحبة والعطف، كما قال سبحانه: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾^(٢)، وبذلك فإن البساط يسحب من تحت أرجل الأعداء والمنافقين، حيث ينفض الناس من حولهم، ويلتحقون بركب الإسلام والدين.

وكذلك فعل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام مع أشد أعدائه وأعداء الأمة، وهم الخوارج، الذين خططوا لشهر السلاح في وجهه ولقتل أصحابه، فشهر بوجههم الحب والعطف، وعايشهم بكل لطف، وقال لهم:

«لَكُمْ عِنْدَنَا ثَلَاثُ خِصَالٍ: لَا نَمْنَعُكُمْ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ تَصَلُّوا فِيهَا، وَلَا نَمْنَعُكُمْ الْفِيءَ مَا كَانَتْ أَيْدِيكُمْ مَعَ أَيْدِينَا، وَلَا نَبْدُؤُكُمْ بِحَرْبٍ حَتَّى تَبْدَءُونَا

(١) سورة المنافقون: ٤.

(٢) سورة آل عمران: ١٥٩.

به»^(١).

إلى أن بدؤوا بقتال الإمام عليه السلام وقتلوا بعض أصحابه، عندئذ إذن الإمام عليه السلام بالدفاع.. وبعد انتهاء حرب الجمل والنهروان عفا عن الجميع في قصص مشهورة في التاريخ.

وقد يتوهم البعض، أنه لولا تسامح أمير المؤمنين عليه السلام مع الخوارج لم يتمكنوا من قتله.

والجواب: إنه إنما تمكن من تمكن من قتله؛ لأن أمير المؤمنين عليه السلام لم يُرد أن يكون مثلاً للديكتاتورية والحاكم المستبد، فإنه لا إشكال أن الإمام عليه السلام كان يعلمُ بسوء نية ابن ملجم^(٢) وجماعته - حتى حسب الظواهر السياسية، لا عن طريق الغيب وإخبار الرسول ﷺ له فحسب - ومع ذلك لم يُبالِ به، وكان بمقدوره أن يسجنه، أو أن لا يذهب ليلة المؤامرة إلى المسجد، أو أن يجعل إلى جانبه حراساً، أو أن ينفي ابن ملجم عن الكوفة، أو ما أشبه ذلك مما يفعله الحكام.

إنه لم يفعل ذلك؛ حتى لا يأتي يوم يستبد فيه حاكم، ويصادر حريات الناس، ويضيق عليهم الخناق، ويفرض عليهم قيوداً وضغوطاً أمنية على المجتمع، ويقول إنه مقتدٍ بأمير المؤمنين علي عليه السلام.

وهكذا كان الرسول الأكرم ﷺ قبل أمير المؤمنين عليه السلام يسيرٌ وحده، ولم يتخذ لنفسه ما يتخذه الطغاة والمستبدين والظلمة من كثرة الحراس وما أشبه، ويظهر سيرة النبي ﷺ في ذلك من روايات متعددة، إحداها قصته مع ذلك اليهودي الذي جرَّ السيف على رأس الرسول ﷺ حيث رآه نائماً تحت شجرة

(١) مستدرك الوسائل: ج ١١ ص ٦٥ ب ٢٤ ح ١٢٤٣٥.

(٢) كان عليه السلام إذا رأى ابن ملجم يقول: «أريد حياتك» البيت. فيقال له: فاقتله. فيقول: كيف أقتل

قاتلي؟! شرح نهج البلاغة: ج ٢٠ ص ٢٨٤ الحكم المنسوبة رقم ٢٥٢.

قائلاً: من يُنقذك مني يا محمد!.

فقال الرسول ﷺ: الله.

ثم انقلب الأمر، فأخذ الرسول ﷺ السيف ووقف على رأس اليهودي

قائلاً له: ومن ينقذك الآن مني؟!.

فقال اليهودي: عفوك يا محمد!

فعفا عنه^(١)، وتعجب اليهودي من أخلاق النبي ﷺ فأسلم وحسن

إسلامه.

إلى غير ذلك من القصص المذكورة في سيرته العطرة (صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الطاهرين). هذا وسيأتي بحث عن الوعي مرة أخرى في مسألة لاحقة، إن شاء الله تعالى.

التنظيم ثانياً:

التنظيم الصحيح، بمعنى أن يكون التجمع ضمن الأطر الشرعية، وباتساق وحكمة في اتخاذ القرارات وما أشبه.

وإلا أصبح التنظيم وبالاً على نفسه وعلى غيره، وسنذكر مثلاً طريفاً على التنظيم الخاطئ، والإعداد غير الصحيح، يذكر أحدهم قائلاً:

عقد أعضاء رابطة جامعية في إحدى الدول اجتماعهم الشهري، وكانت نتائجه كارثة كالمعتاد. هذا المجلس المذكور كان مكوناً من خمسة رجال، وقد اختيروا لأن يمثلوا تيارات الرابطة المختلفة من حرم الجامعة، والأعضاء الخمسة للمجلس وإن تشابهوا في الصورة الإنسانية، إلا أنهم كانوا مختلفين من كل الجهات، أعماراً وثقافة وأخلاقاً واتجاهاً.

(١) المناقب: ج ١ ص ٧٠ فصل في حفظ الله تعالى من المشركين وكيد الشياطين.

وصل أعضاء المجلس إلى مكان الاجتماع ، وهم يرتدون ملابس تناسب أوقات الفراغ. فحضر أحدهم لتوّه من ملعبٍ بملابسه الوسخة وبدنه المبتلّ بالعرق ، وآخر كان مُرهقاً وكأنّه أتٍ من رحلة شاقّة ، ولم يكثرث بأن يُغيّر ملابسه أو يُمشط شعره أو يغسل وجهه ، وكان الثالث والرابع والخامس على هذه الشاكلة.

وعقد الاجتماع في غرفة غير منّظمة وغير نظيفةٍ ، وتفوح من أفواههم رائحة الثوم والكراث والبصل. وقد ملؤوا الغرفة بدخان السجائر ، وكانت المنضدة مستطيلةً ومتسخةً وقديمةً ومتحطمة.

وجلس السكرتير في صدر المجلس ، متجاهلاً بذلك الرئيس الذي اضطر إلى الجلوس إلى جانبه ، وكانت المهمّات الموكولة إليهم مختلفة ، لكنها ترتبط بتنظيم المحلّة ، وتنفيذ الخدمات فيها ماءً وكهرباءً وغازاً وهاتفاً وتبليطاً للطرقات وغير ذلك.

وبدأ أحد الحاضرين - لا الرئيس - الاجتماع بخطاب مليءٍ بالسباب والكلمات النابية ، وفي أثناء حديثه أظهر أعضاء الجماعة دلائل واضحة على استيائهم واشمئزازهم. ثم بدأت المناقشة العامّة والتي شارك فيها كلّ عضو ، وبعد أن ذكر كلّ واحد منهم أخطاء وعيوب الأعضاء الآخرين ، وبعد دقائق من تبادل الاتهامات الحادّة واللادعة ، انفضّ الاجتماع دون نتيجة وكأنه هواء في شبك.

هذا هو حال الاجتماع الذي انعقد في ذلك اليوم ، فكان كما قال بعض الظرفاء حول أحد المنطقيين الديالكتيكيين : يُنظّم القياس غلطاً ، ويأخذ النتيجة خطأً ، ويصوّر الحال باطلاً ، فتكون النتيجة منحرفة.

ولعل ما ذكره هذا الكاتب يطابق الواقع في كثير من تجمعاتنا ، ولعله مثال

يقصد به التنبيه على أخطاء التنظيم، وسوء الإعداد، وربما يكون بعضها متحققاً في بعض الاجتماعات.

أقول: وقد رأيتُ أنا مثل ذلك في أحد الأحزاب العراقية في العهد الملكي، فكان هناك حزب يحكمه شخص، ويحضر مع بعض ذويه، وكانوا من الأثرياء، ويهدفون الوصول إلى بعض المراكز الرفيعة.

وحيث أرادوا استعطاف رئيس الوزراء - الذي زار كربلاء المقدسة والنجف الأشرف - نَظَّم رئيس الحزب ما يقارب من خمسمائة شخص في استقباله من باب بغداد إلى الفلكة، ومن الفلكة إلى حرم الإمام الحسين عليه السلام، ومن حرم الإمام الحسين عليه السلام إلى حرم أبي الفضل العباس عليه السلام، ثم إلى محل الضيافة في فندق كربلاء في حيِّ الحسين.

وبعد ذلك ظهر أنَّ هذا الشخص استخدم خمسمائة من العمال والحمالين، وألبس كلَّ واحد منهم بدلة جديدة، ثمَّ جعل لهم هنداماً منظماً، وأوقفهم من باب بغداد إلى فندق كربلاء مع باقات من الورد يلقونها على رئيس الوزراء، حتَّى يظهر نفسه بالمظهر اللائق، فيصبح محبوباً عند الرئيس، ويُعطيه ما يشاء من المناصب الرفيعة.

أمَّا التنظيم بالأسلوب الناجح، فكما عبَّر عنه ذلك الكاتب بوصف درامي قائلاً:

عُقد اجتماع لمجموعة أخرى أيضاً، في أسبوع آخر في جامعة من جامعات الغرب، وقد عَقَدَت هذه المجموعة اجتماعها المقرر مسبقاً في مواعده، والذي تحدّد يوم الأربعاء، وكانت اللجنة مُكوّنة من عشرة أشخاص بمستوى واحد، كلُّهم جامعيون أو أساتذة وأصدقاء يجتمعون كلَّ يوم في نادٍ من نوادي البلد. وجاء المؤتمرون وكلُّهم بالبسة منتظمة، وتفوح منهم رائحة طيبة، وعلى

شفاهم البسمة، وعلى وجوههم البشر، والهدف محدد وهو في اختصاصهم،
ولذا خرجوا بنتيجة صحيحة.

وقد ذكرنا تفصيل التنظيم الصحيح في كتاب "السييل إلى إنهاء
المسلمين".

إذن لابد في تحقيق مستقبل أفضل من اتخاذ المقومات والمقدمات لذلك،
ومنها الوعي والتنظيم على ما ذكر.

لأجل هذا ضعفت الحضارة

مسألة: يجب على المسلمين أن يرجعوا إلى القوانين الحيوية التي نادى بها الإسلام، وعمل بها المسلمون الأوائل، لينالوا مستقبلاً مملوءاً بالعزة والكرامة، وإلا فسوف يكون مآلهم التناحر والتنازع، والتخلف والانحطاط الأكثر مما هو عليه الآن.

إن الإسلام الذي يُطبَّق اليوم في العالم الثالث ونحوه، ليس هو الإسلام الذي جاء به رسول الله ﷺ، في مختلف أبعاده الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية والدينية والأخرى.

فإن هناك بوناً شاسعاً بين الجيل الذي صنع حضارة الإسلام قبل أربعة عشر قرناً، وبين الجيل الذي نشأه في عالمنا اليوم، وقد يتعجب الإنسان أن يرى تسكعاً حول الإسلام في كل مكان، فإسلام هذا البلد غير إسلام ذلك البلد، وإسلامهما لا يشابه الإسلام في بلدٍ ثالث، وهكذا. فأين يكمن السرّ في ذلك؟.

هل في الحضارة الإسلامية، التي زعم البعض من الأعداء أنها لم تستند على أسس قويمية؟!.

أم السبب ما ذكره القرآن الحكيم: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ عَذَابًا﴾^(١).

وقال عز وجل: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ

(١) سورة مريم: ٥٩.

بَصِيرًا * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيْتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ﴿١﴾.

فليس لفظ (إ. س. ل. ا. م) هو الذي قاد جموع المسلمين الأوائل للريادة في حقل إنقاذ البشرية، وهداية الناس من الظلمات إلى النور، وإنما واقع الإسلام ومضامينه، ومبادئه وقوانينه: من (الحرّيات)، و(مبدأ الاستشارة)، و(من أحيأ أرضاً ميتة فهي له)^(٢)، و(من سبق إلى ما لا يسبقه إليه المسلم فهو أحق به)^(٣)، وكون الإسلام مُذَكَّرًا لا مُسَيَّرًا، كما قال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ * لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾^(٤)، و﴿إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتَّقَاكُمْ﴾^(٥)، و(الإسلام يعلو ولا يُعلَى عليه)^(٦)، و(التعاون والإيثار)، و(العدل والإحسان)، وغير ذلك.

فكم ترى الهوة سحيقةً بين تلك المفاهيم التي قادت البشرية إلى النور والغنى والأخوة والمساواة والتقدم والازدهار، وبين ما نشاهده اليوم من بعدٍ كبير بين جبهة الفقراء وجبهة الأغنياء، وبين جبهة الحكّام وجبهة الشعوب. يقول أحدهم في كتابه^(٧):

(كان الدين أخلاقاً وقانوناً وفلسفةً وكلّ شيء، فكانت الأخلاق البدائية دينية، وكان القانون الجزائي دينياً، ولم ينفصل العلم عن الدين إلّا في عصور متأخرة، وإذا كان للمجتمعات كلّها أديان تؤمن بها، فلأنّ للدين في الحال الحاضر منفعةً عظيمة، بل لأنّه ضرورة حيوية، لأنّه وسيلة للبقاء

(١) سورة طه: ١٢٤- ١٢٦.

(٢) مستدرک الوسائل: ج ١٧ ص ١١١ ب ١ ح ٢٠٩٠٢.

(٣) غوالي اللآلي: ج ٣ ص ٤٨٠، ومستدرک الوسائل: ج ١٧ ص ١١١- ١١٢ ب ١ ح ٢٠٩٠٥.

(٤) سورة الغاشية: ٢١- ٢٢.

(٥) سورة الحجرات: ١٣.

(٦) من لا يحضره الفقيه: ج ٤ ص ٣٣٤ ب ٢ باب ميراث أهل الملل ح ٥٧١٩.

(٧) انظر كتاب "الدين .. مشوّه وعلاقته بالمجتمع".

والنماء).

فهل الإسلام في هذا اليوم هكذا؟

وقد أحد الغربيين^(١):

(حَرَمَتْنَا الْمَسِيحِيَّةَ مِنْ مِيرَاثِ الْعَبْقَرِيَّةِ الْقَدِيمَةِ، كَمَا حَرَمْتْنَا بَعْدَ ذَلِكَ مِنَ الْإِسْلَامِ، لَقَدْ دَيْسَتْ بِالْأَقْدَامِ تِلْكَ الْمَدِينَةُ الْعَظِيمَةَ، مَدِينَةَ الْأَنْدَلُسِ الْعَرَبِيَّةِ وَمَاذَا؟ لِأَنَّهَا نَشَأَتْ مِنْ أَصُولٍ رَفِيعَةٍ، إِنَّ تِلْكَ الْمَدِينَةَ الْإِسْلَامِيَّةَ لَمْ تُنْكَرِ الْحَيَاةَ، وَلَقَدْ قَاتَلَهَا الصَّلِيبِيُّونَ، وَكَانَ أَوْلَى بِهِمْ أَنْ يَسْجُدُوا لَهَا، وَمَا مَدْنِيَّتَنَا فِي هَذَا الْقَرْنِ إِلَّا وَهِيَ بِجَانِبِ مَدْنِيَّةِ الْإِسْلَامِ).

وقال غربي آخر^(٢): (الدين الحق الذي يشايحُ المدنيَّة هو الإسلام).

وقبل ذلك قال غوستاف لوبون^(٣) في كتاب "حضارة العرب": (علينا أولاً

(١) قاله نيتشه - فيلسوف معروف ملحد - وقد نقل عنه محمد عبد المنعم الخفاجي في كتاب "الإسلام حضارة المستقبل". فردريش نيتشه، وُلِدَ في ألمانيا سنة ١٨٤٤م، ومات في مشفى للأمراض العقلية بعد إصابته بانهيار عصبي سنة ١٩٠٠م عن عمر يناهز الست والخمسين سنة. فيلسوف ألماني أخذ بمذهب التطور، وقال: إن الحياة ليست غير تنازع البقاء وبقاء الأصلح، وإن (الإنسان الأعلى) هدف يجب الوصول إليه. دعا إلى إنكار القيامة والبعث والحساب. ويعد من مؤسسي العرقية الجرمانية، ويتلخص مذهبه بما يدعى (إرادة القوة). من مؤلفاته: "نشأة المأساة وروح الموسيقى"، "المسافر وظلّه"، "هكذا تكلم زرادشت"، "مدائح ديونيزوس"، "إرادة القوة"، "فيما وراء الخير والشر".

(٢) هو الفيلسوف ويلز، انظر كتاب "الإسلام حضارة المستقبل".

(٣) وُلِدَ غوستاف لوبون في النورماندي سنة ١٨٤١م، ومات في باريس سنة ١٩٣١م. طبيب وعالم اجتماعي ومفكر فرنسي. دعا إلى تفسير السلوك الاجتماعي بالمقارنة بين نفسيات فردية، وكتب في مجالات علمية كثيرة، وبلغت مؤلفاته الخمسين منها: "سيكولوجية الجماهير"، "علم ▶ النفس في الأزمنة الجديدة"، "حضارة الهند"، "الحضارة الأولى"، "الآراء والعقائد"، "حياة الحقائق"، "الثورة الفرنسية وسيكولوجية الثورات"، "القوانين النفسية لتطور الشعوب"،

أن نعترف، بأن العرب هم الذين يرجع إليهم الفضل كلّ في الاستعاضة عن ولاية الأستاذ بالتجربة والملاحظة، اللتين هما أساس الطرق العلميّة الحديثة، لا إلى بيكون^(١) الذي يُنسب إليه ذلك في الجملة).

إلى غير ذلك من عباراتهم وهم في الشق الثاني، لا الشق الإسلامي، وهكذا فإنّ التعاليم العالية الإسلامية المذكورة في الكتاب والسنة كلّها تركت، ورمي بها جانباً، والمسلمون أخذوا بالسير في الجانب الآخر.

فهل تجد الآن في عالمنا الإسلامي، قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾^(٢)، وقوله سبحانه: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(٣).

فتألف القلوب هو الأساس القويّ في العلاقات الاجتماعية والاقتصادية وعلى أرض هذه العلاقة يُقام المجتمع المتعاون المتحابّ.

"حضارة العرب"، وقد اختصره الإمام الشيرازي ثَبَثَ باسم "موجز تاريخ الإسلام".

(١) عاش للفترة (١٥٦١ - ١٦٢٦م)، كان فيلسوفاً وكاتباً معروفاً بقيادته للثورة العلمية عن طريق فلسفته الجديدة القائمة على (الملاحظة والتجريب)، ويعتبر من الرواد الذين اتبها إلى غياب جدوى المنطق الأرسطي الذي يعتمد على القياس.

(٢) سورة الحجرات: ١٣.

(٣) سورة الأنفال: ٦٣.

هكذا تخلف المسلمون!

وإني أذكر منذ خمسين سنة وبلاد الإسلام بعضها يحارب بعضاً، والمسلمون بعضهم يحارب بعضاً، كما أن الحريات التي كان المسلمون الأوائل يتمتعون بها، مما سبب انجذاب الناس إليهم وإلى مبادئهم لا ترى لها وجوداً اليوم، بل أخذت مكانها ديكتاتورية الحكام، والقيود والأغلال على كل يد ورجل، وفي كل حركة وسكون، في التجارة والصناعة والزراعة والثقافة والعمارة والسفر والإقامة وغيرها.

وترى كل جماعة من المسلمين رسموا حول أنفسهم حدوداً جغرافية مصطنعة صنعها الاستعمار، وقالوا: إن من في داخل هذه الخطوط هو المواطن - بل بعضهم هو المواطن، والمواطنة درجات!! - ومن في خارجه هو الأجنبي، على عكس ما رسمه الإسلام.

وهكذا بالنسبة إلى الأخوة الإسلامية، والعشرات من القوانين الأخرى التي تمتع بها المسلمون الأوائل، فأخذوا يتقدمون في العالم يصلحون الأمور، ويهدمون كل استبداد وانحراف. بينما لا تجد منها في هذا اليوم عيناً ولا أثراً، بل إن أغلب المسلمين لا يعرفون من تلك الأيام، ولا من هذه القوانين - وإن كانت مذكورة في القرآن والسنة - إلا نادراً.

وفي المقابل، نجد أنه قد أخذ الكثير من غير المسلمين بقوانين الإسلام، فنجحوا في تطبيقها على الواقع، وصدق الإمام أمير المؤمنين عليه السلام حيث قال: «اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ لَأَيَسُّكُمْ بِالْعَمَلِ بِهِ غَيْرُكُمْ»^(١).

(١) نهج البلاغة، الرسائل: رقم ٤٧ ومن وصية له عليه السلام للحسن والحسين عليهما السلام لما ضربه ابن ملجم (لعنه الله).

فنجد - مثلاً - قوله تعالى بالنسبة إلى اليهود: ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ
 أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرَجُونَ فَرِيقًا مِّنكُمْ مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ
 وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمُ أَسَارَى تَفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجَهُمْ
 أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ
 مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾^(١).

ونظرة واحدة إلى واقع اليهود اليوم، تكفي وضوحاً أنهم غيروا ما بأنفسهم
 نوعاً ما، وخرجوا نسبياً من تلك الدائرة الضيقة إلى شيء من الألفة والمحبة
 والأخوة فيما بينهم، فتقدموا بتلك النسبة، فلا فرق اليوم في دولتهم الغاصبة بين
 اليهودي العراقي أو الإيراني، اليهودي الأبيض أو الأسود، وهكذا.

كما أن نظرة واحدة إلى العالم الإسلامي، كافية لأن يكتشف الناظر أن
 المسلمين في هذا اليوم، هم الذين أخذوا بتلك الفعال المشينة من العداء والتنازع
 وطردهم البعض، فصار نصيبهم الخزي في الحياة الدنيا، وصار لليهود الألفة والمحبة
 والأخوة والصدقة، وجمع الكلمة فيما بينهم فتقدموا.

الواقعية الإسلامية

وليس اسم الإسلام بوحده الدواء والشفاء، وإنما هو واقع الإسلام
 والعمل به، مضافاً إلى مظاهره. فقد كانت قدرة الإسلام على دمج الشعوب
 على رأس المكتسبات الكبيرة التي استثارت اهتمام بعض المفكرين الغربيين على
 قوة الرسالة الإسلامية.

يرى أحدهم^(٢) أن قوة الإسلام تكمن في قدرته على الجمع، ولأن البشرية
 توافقة إلى التجمع لا إلى التمزق، فإنها ستجد في الإسلام من يقف إلى جانبها
 ليساعدها على ذلك.

(١) سورة البقرة: ٨٥.

(٢) هو باول شملتز في كتابه "الإسلام قوة الغد".

وقال في كتابه: (وبينما تزداد صورة البلاد الغربيّة تمزقاً، يقترب الشرق الإسلامي من الوحدة، التي ينادي بها المسلمون، فيتفادى السقوط في قوة الصراع السياسي التي سقطت فيها أوروبا اليوم).

ويضيف أيضاً: (وسيعيد التاريخ نفسه، متّبعاً من الشرق الإسلامي عوداً على بدء، من المنطقة التي قامت فيها القوة الإسلامية العالميّة في الصدر الأوّل للإسلام، وستظهر هذه القوّة التي يكمن فيها تماسك الإسلام ووحدته العسكريّة، وستثبت هذه القوة وجودها، إذا ما أدرك المسلمون كيفيّة استخراجها، والعمل على الإفادة منها، وستقلب موازين القوى؛ لأنّها قائمة على أسس لا تتوفّر في غيرها من تيّارات القوى العالميّة).

أقول: إنّ هذا صحيح، وذلك لا يكون إلاّ بالرجوع إلى القواعد الأوليّة في الإسلام، الذي استطاع أن يجذب العالم إلى نفسه، ممّا ذكرناه من التآلف والتعاطف والأخوة والتعاون والوحدة، حيث قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾^(١).

بينما نجد المسلمين في هذا اليوم اثنين وخمسين شعباً أو أكثر، من دون ترابط حقيقي فيما بينهم، فالشعب الباكستاني والشعب الأفغاني والشعب الإيراني والشعب العراقي والشعب الإندونوسي والشعب المصري وهكذا.

وقال في موضع آخر: (ويتّضح أن قوّة القرآن في جمع شمل المسلمين لم يُصبها الوهن، ولم تنجح الأحداث التي مرّت على المسلمين في القرون الأخيرة، في زعزعة ثقتهم به كقوّة رئيسيّة تستطيع أن تجمع التيارات المختلفة).

أقول: كان المسلمون يلتزمون إلى حد لا بأس به بالقرآن إلى ما قبل قرن تقريباً، قولاً وعملاً وتقديساً، بينما تجد اليوم المسلمين لا يفهمون القرآن إلاّ

(١) سورة الأنبياء: ٩٢.

الأقل منهم، ولا يعرفون من أحكامه إلا النزر اليسير، وحتى اللغة العربية الفصيحة استبدلوها باللغة الدارجة الشعبية، وأخذوا يصرون عليها وعلى إحيائها بدلاً عن اللغة الفصيحة، حتى إن كثيراً من العرب لا يفهمون معاني آيات القرآن، فكيف بقوانين القرآن، حيث إنَّ القرب إلى القانون يكون نتيجة مقدمات منها القرب إلى اللّغة، وحيث لا يفهم اللغة فلا يفهم القانون.

وعلى أيّ: إن ما ذكرناه إنما هو مقدمة لبيان فهم المستقبل، فإذا رأينا المسلمين وهم سكان العالم الثالث - غالباً - قد رجعوا إلى القواعد الحيويّة في الإسلام، عند ذلك سنعرف أن المستقبل للمسلمين سياسةً واقتصاداً وسعادة وحضارة وتمدناً.

أمّا ما دام المسلمون بهذه الحالة المشينة من التمزق والمخاصمة، وعدم العمل بأحكام القرآن، فلا ينتظر لهم مستقبل مشرق يخرجهم من التخلف في جميع ميادين الحياة.

إستراتيجية العلاقة في الإسلام

مسألة: المستقبل ينبئ عن أن علاقة المسلمين بغيرهم ستكون في تحسن لصالح الإسلام والمسلمين، وسيقلّ في المستقبل يوماً بعد يوم تقبُّل المسلمين للاستعمار، وأن الغرب سيتقبَّل بعض قوانين الإسلام في القضايا المالية وغيرها. فإن الإسلام ليس دين الحرب، ولا دين المشاكل مع الآخرين، ولا دين الشعارات الفارغة من الموت لهذا وذاك.

ولذا يجب الاهتمام البالغ بأن تنظم علاقة المسلمين مع غيرهم في المستقبل بأحسن ما يكون، وذلك وفق نطاق الكتاب والسيرة العطرة، مثل قوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾^(١)، وقوله سبحانه: ﴿وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّهُدَمَتِ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾^(٢)، وقوله تعالى: ﴿وَإِخْوَانٌ لُّوطٍ﴾^(٣) حيث جعل الكفار إخواناً للأنبياء ﷺ، وقوله سبحانه: ﴿عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ﴾^(٤).

وقوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾^(٥).

وأما فيما لو اعتدوا علينا، فاللازم الاقتصار على العدل في الرد والعقاب،

(١) سورة الممتحنة: ٨.

(٢) سورة الحج: ٤٠.

(٣) سورة ق: ١٣.

(٤) سورة المائدة: ٩٥.

(٥) سورة آل عمران: ١٥٩.

لا الأكثر ولا الانتقام، فقد قال تعالى: ﴿فَمَنْ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾^(١)، وقال سبحانه: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾^(٢)، إلى عشرات الآيات الأخر.

كما هناك عشرات الروايات الواردة حول السيرة النبوية الشريفة، وهي تدل على حسن معاشرته المسلمين لغير المسلمين.

مثلاً ورد أن الرسول الأكرم ﷺ ذهب وأصحابه إلى ضيافة يهودي^(٣).

وذهبت الصديقة فاطمة عليها السلام بإذنه ﷺ إلى عرس يهودية^(٤).

وكذلك تعاقد الرسول ﷺ مع اليهود والمسيحيين والمجوس والمشركين في

قصص مذكورة في كتب التاريخ.

كما أن المشركين كانوا يعيشون بسلام وأمان في الدولة الإسلامية في زمان

الرسول الأكرم ﷺ، وفي زمان أمير المؤمنين علي عليه السلام، كما يظهر من كتاب

الإمام علي عليه السلام إلى بعض عماله على ما في نهج البلاغة.

وقد جعل الإسلام للجار الكافر حقاً، وهكذا حبذ على سقي الكفار،

وجعل فيه الأجر، قال عليه السلام: «لكل كبد حرى أجر»^(٥).

وأعطى رسول الله ﷺ الماء لكفار بدر، وقد جاؤوا لمحاربتة وحاربوه^(٦)،

وهكذا فعل الإمام الحسين عليه السلام بأصحاب الحر الذين جاؤوا لمحاربتة وحاربوه

(١) سورة البقرة: ١٩٤.

(٢) سورة الشورى: ٤٠.

(٣) الكافي: ج ٢ ص ٦٤٨ باب التسليم على أهل الملل ح ١.

(٤) انظر بحار الأنوار: ج ٤٣ ص ٣٠ ب ٣ ح ٣٧ عن الخرائج والجرائح: ج ٢ ص ٥٣٧ فصل في ذكر أعلام

فاطمة البتول عليها السلام.

(٥) جامع الأخبار: ص ١٣٩ ف ٩٩.

(٦) بحار الأنوار: ج ١٩ ص ٤٢٨ - ٢٤٩ ب ١٠، شرح نهج البلاغة: ج ١٤ ص ١٠٣ - ١٠٤ الفصل

الثالث قصة غزوة بدر.

حَتَّى قَتَلُوهُ^(١)، ولو أن الإمام الحسين عليه السلام لم يُسْقهم الماء لما بقي هو وأهله عطاشى في العاشر من المحرم.

فقد كان له من الماء ما سقى ألف عطشان وألف فرس، وكان يُرشف الخيل ترشيفاً، فهل هذا الماء لا يكفي لجماعة قليلة لا يعدون المائة، أو أكثر منها بقليل؟! .

ولم يأذن الرسول ﷺ بقطع الماء عن قلاع خيبر لما حاربه اليهود، وقال: «إن فيهم النساء والأطفال وكبار السن»^(٢).

وهكذا عمل أمير المؤمنين عليه السلام، فقد منح أصحاب معاوية فرصة التروى في حرب صفين^(٣).

والخلاصة: إن الإسلام دين المحبة والرحمة، ومراعاة القيم الإنسانية بكامل المعنى، فاللازم أن تُنظَّم العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين في المستقبل على هذا الأساس.

ثم هناك (قانون الإلزام) حيث ورد: «أَلْزَمُوهُمْ بِمَا أَلْزَمُوا أَنْفُسَهُمْ»^(٤)، فليس علينا ما يفعلون حسب معتقداتهم وقوانينهم، وقد ورد في الروايات ما يشبه ذلك بالنسبة إلى النساء المتبرجات ممن إذا نُهين لا ينتهين.

فالإسلام يُعاملهم حسب قوانينهم ومعتقداتهم، ولذا يُعطى إرثان للمجوسية، التي هي أخت المجوسي وزوجته في حال واحد إذا مات المجوسي،

(١) بحار الأنوار: ج ٤٤ ص ٣٧٦ ب ٣٧.

(٢) بحار الأنوار: ج ٢١ ص ٣٠ - ٣١ ب ٢٢ ح ٣٢.

(٣) شرح نهج البلاغة: ج ٣ ص ٣٣١ غلبة معاوية على الماء بصفين ثم غلبة علي عليه السلام عليه بعد ذلك.

(٤) تهذيب الأحكام: ج ٩ ص ٣٢٢ ب ٢٩ ح ١٢، وعن قانون الإلزام راجع كتاب "القواعد الفقهية" للمؤلف رحمته الله.

وقد ذكرنا تفصيل ذلك في كتب الفقه المعنية^(١).

أما ما نشاهده اليوم في بعض البلاد الإسلامية من اتخاذ سياسة العدا مع سائر الدول، وإطلاق شعارات الموت لهذا وذاك، فإنه خلاف الإسلام.

الغرب ومفاهيم الإسلام

نرى في الغرب والشرق بعض محاسن الإسلام التي دعا إليها، وإن اختلفت بعض المصاديق، مثلاً في: النظافة، وإتقان العمل، والحمل على الصحة، والأمة الواحدة، والأخوة، والحرية، والصناعة، والنظام، والشورى، والتعددية، وخدمة الإنسان، وقانون اللجوء، إلى أشياء كثيرة.

وتلك كلها قد هيأت الأرضية الكبيرة لقبول الإسلام، فكيف يمكن أن يقال: إن جميعهم - دولاً وشعوباً - أعداء للإسلام كعقيدة وكنظام وقوانين؟! ثم إنهم قد فسحوا المجال لتبليغ الإسلام، بل إن أسرع الأديان انتشاراً اليوم في أمريكا هو الإسلام.

نعم، هناك بعض الدول الاستعمارية التي تحارب الإسلام حفظاً لسيطرتهم واستثمارهم للعالم، والمفترض الاهتمام لكفهم عن ذلك، بالحكمة والموعظة الحسنة، كما هو شأن الإسلام في إزالة المفاسد.

وهكذا الحال بالنسبة إلى بعض المفاسد الأخر الموجودة في بلادهم، وحتى أن كثيراً من عقلائهم ينادون بإزالة تلك المفاسد، وبإزالة الاستعمار والاستثمار، وعندهم نوع من العدالة الاجتماعية بالنسبة إلى شعوبهم وبلادهم، فأصبحوا في راحة وأمنٍ ورفاهٍ نسبياً.

(١) للمزيد راجع موسوعة "الفقه: كتاب النكاح وكتاب الطلاق وكتاب الإرث، وكتاب القواعد الفقهية".

هذا، وعدد المسلمين في الغرب في تزايد مستمر، فإن في أمريكا وحدها عشرة ملايين مسلم بل أكثر، وفي مختلف البلاد الغربية عشرات الملايين، فألمانيا فيها أربعة ملايين مسلم، وبريطانيا فيها مليوناً مسلم، وفرنسا فيها ثلاثة ملايين مسلم، ولعل العدد أكبر مما ذكرناه.

وعادة يحصل المسلمون على الشيء الكثير من الحرية والاحترام والتقدير، وبإمكانهم التقدم الأكثر، ولو أُريد إحصاء هذه الأمور لكان كتاباً ضخماً.

وقد صرح عقلاؤهم وذوو الخبرة منهم بحسن الإسلام وعظمته وسلامة قوانينه، يقول الفيلسوف الإنجليزي برناد شو^(١): (إن الإسلام دين يستحق كل احترام وإجلال؛ لأنه أقوى دين على هضم جميع المدنيات، وهو خالد خلود الأبد، وإنني أرى كثيراً من بني قومي العلماء قد دخلوا هذا الدين على بينة من أمرهم، ومستقبلاً سيمد هذا الدين مجاله الفسيح في كل أنحاء أوروبا).

ويقول أيضاً: (إن محمداً يجب أن يدعى مُنقذ الإنسانية، إنني أعتقد أنه لو تولى رجل مثله زعامة العالم الحديث، لنجح في حل مشاكله بطريقة تجلب إلى العالم السلام والسعادة).

ويقول غوستاف لوبون في كتاب له نقلاً عن أديب غربي اسمه ليبري: (لو لم يظهر العرب على مسرح التاريخ، لتأخرت نهضة أوروبا في الآداب عدة قرون).

وقد كتب (روجيه غارودي)^(٢) قبل إعلان إسلامه كُتباً منها: "نداء إلى

(١) عاش ما بين (١٨٥٦ - ١٩٥٠م)، وُلِد في دبلن، ولما أصبح في العشرين من عمره انتقل إلى لندن. وهو مؤلف أيرلندي شهير، أَلَف ما يزيد عن (٦٠) مسرحية، عمل في النقد الموسيقي والأدبي، ثم انتقل إلى المسرح. حاز على جائزة نوبل في الأدب للعام (١٩٢٥م).

(٢) الفيلسوف والكاتب الفرنسي الشهير. وُلِد في سنة (١٩١٣م) في فرنسا. في سن الرابعة عشرة من عمره اعتنق الديانة البروتستانتية. انضم إلى صفوف الحزب الشيوعي الفرنسي، وفي عام

الأحياء"، ضمنّ فيه قناعاته بصلاحيّة الإسلام كمنقذٍ للحياة، جاء فيه: (إنّ الغرب مريض بالنموّ، ومصاب حتى الموت من أجل أن يجعل من الإنسان عاملاً جيولوجياً لا يكفّ عن التسريع بقصور حراريّ، أعني استنفاد المخزون والمدخر من الطاقة ومن المادة التي يتعلّق بها مصير النوع، وأصيب الشرق بالسرطان نفسه فإنّ النمو بالنسبة له كذلك هو زائد فطريّ. ما هو الحوار الممكن بين هذين المريضين؟ وبخاصة ما هو الداء عندما يكون الشر على مستوى الكرة الأرضيّة، فالأزمة التي انتابت الرأسمالية سرت إلى الاشتراكية بالعدوى، فكانت الحصيلة واحدة هو الإصابة بالسرطان).

ثم يؤكّد على تشابه الأحزاب اليساريّة واليمينيّة فيقول: (في داخل كلّ بلد يعرض أصحاب اليسار واليمين الصور المختلفة اختلافاً طفيفاً لإزالة النظام، فإنّ هدفها المشترك هو النمو، تفاقم النمو اليميني مشدداً على الإنتاج واليسار على توزيعه، وفي الخارج تتعارض البلدان الرأسماليّة والبلدان التي يُقال إنّها اشتراكيّة تعارضاً أقلّ ما يميّزه عمّا تشترك هذه وتلك، فيه هدف النمو والتوسّع الذي يضعها موضع التنافس - إلى أن يقول - إنّنا نمضي في هذا الطريق نحو الانتحار على مستوى الكرة الأرضيّة لا مفرّ منه ولا نكوص، لقد بدأ العدّ التنازلي، وبعد خمس سنوات يكون الأوان فات لتغيير الطريق).

ثم إن غارودي نفسه بعد تفحصه الكثير وملاحظاته الكثيرة، اعتنق الإسلام

► (١٩٤٥م) انتخب نائباً في البرلمان، ثم حصل على الدكتوراه في الفلسفة من جامعة السوربون عام (١٩٥٣م)، وفي عام (١٩٥٤م) حصل على الدكتوراه في العلوم من موسكو، ثم انتخب عضواً في مجلس الشيوخ، وفي عام (١٩٧٠م) أسس مركز الدراسات والبحوث الماركسية وبقي مديراً له لمدة عشر سنوات. لكن تم طرده من الحزب؛ وذلك لانتقاداته المستمرة للاتحاد السوفيتي. اعتنق الإسلام في سنة (١٩٨٢م) وغير اسمه إلى (رجاء). في عام (١٩٩٨م) حكمت عليه محكمة فرنسية بتهمة التشكيك في محرقة اليهود من قبل الألمان.

وأخذ يُدافع عنه كما هو معروف.

وهناك كلمات كثيرة حول محاسن الإسلام شبيهة بما ذكرناه ل:

(غوته)^(١)..

و(هونكه)^(٢)..

و(توماس كارليل)^(٣)..

و(تولستوي)^(٤)..

(١) الأديب الألماني المعروف يوهان فولفغانغ فون غوته، عاش ما بين (١٧٤٩ م - ١٨٣٢ م). وُلد في مدينة فرانكفورت، كان والده يوهان كاسبر غوته مستشاراً للأسرة الملكية، أما والدته فهي من أصول إيطالية. تقلد مناصب سياسية في فايمار.

(٢) مستشرفة ألمانية معروفة بكتابتاتها في مجال الدراسات الدينية، وُلدت في هامبورغ سنة (١٩١٣ م). درست علم أصول الأديان ومقارنة الأديان والفلسفة وعلم النفس والصحافة. حصلت على شهادة الدكتوراه عام (١٩٤١ م). والدها الناشر المعروف هاينريش هونكه، ومتزوجة من المستشرق الألماني الدكتور شولتزا. ذهبت إلى المغرب وعاشت سنتين في طنجة بعد الحرب العالمية الثانية وسقوط ألمانيا، ثم رجعت إلى ألمانيا واستقرت في بون، بعدما تعلمت اللغة العربية وأتقنتها. نالت العديد من الجوائز الأكاديمية والتقديرية، قام بعض الرؤساء والأمراء العرب بدعوته وتكريمها. يقال أنها أسلمت في آخر عمرها وقبل وفاتها في هامبورغ عام (١٩٩٩ م). من أشهر كتبها: "شمس الله تشرق على الغرب"، و"الله ليس كذلك".

(٣) الكاتب الاسكتلندي توماس كارليل، عاش ما بين (١٧٩٥ - ١٨٨١ م). كان ناقداً ساخراً ومؤرخاً، عندما نشأ وترعرع أرسله والده إلى إحدى المدارس المعروفة عند الإنجليز بمدارس النحو، فأظهر تفوقاً ملحوظاً، وعندما أكمل الخامسة عشرة من عمره دخل جامعة إدنبرة وتخرج منها ليعمل مدرساً للرياضيات. بعدها عاد إلى نفس الجامعة لدراسة القانون، ثم شرع بدراسة الأدب الألماني، وقد تأثر بفلسفة المثالية الألمانية، ثم انتقل لندن فأصبح عضواً في دائرة الأدب هناك.

(٤) الأديب الروسي الشهير الكونت ليف نيكولايفيتش تولستوي، عاش ما بين (١٨٢٨ - ١٩١٠ م)، يعتبر من أعمدة الأدب الروسي في القرن التاسع عشر. دخل الجامعة لمواصلة دراساته ثم تركها؛ لأن طريقة التدريس لم تعجبه، فبدأ بتثقيف نفسه وشرع في الكتابة، ثم كتب ثلاثة كتب: "الطفولة"، و"الصبا"، و"الشباب". بعد تقاعده من الخدمة العسكرية سافر

و(لامارتين)^(١)، وغيرهم مما جمعت في بعض الكتب يمكن ملاحظتها. وعلى كل حال: فإنَّ الفطرة الإنسانيَّة التي تدعو إلى الإسلام هي الآخذة بالزمام في المستقبل بإذن الله سبحانه، ولو كان للمسلمين تنظيم قويّ صالح وفعال، لم يمرَّ حتىَّ عقدين من الزمن إلاَّ رأيتَ الناس يدخلون في دين الله أفواجاً.

مشكلتنا حكامنا

ومن أغرب مشاكل المسلمين ومآسيهم، أنهم ابتلوا بحكام لا يُهمهم إلاَّ المادة والجنس، وكانوا من أهم أسباب تأخر المسلمين وإفقارهم، واتبعوا السياسات الغربيَّة والشرقيَّة، وهم للمسلمين الناهضين بالمرصاد. فالشاه^(٢) - مثلاً - سرق من أموال الشعب أربعين مليار دولار، والدولار في

► إلى أوروبا الغربية وأعجب بطرق التدريس هناك، ولما عاد لمسقط رأسه بدأ في تطبيق النظريات التربوية التقدمية التي عرفها، وذلك بأن فتح مدرسة خاصة لأبناء المزارعين. من أشهر رواياته: "الحرب والسلام"، و"انا كارنينا" وهما يعطيان صورة واقعية للحياة الروسية في تلك الحقبة الزمنية. ومن كتبه "مملكة الرب بداخلك"، "ما الفن؟".

(١) الكاتب والشاعر والسياسي الفرنسي ألفونس دي لامارتين، عاش ما بين (١٧٩٠م - ١٨٦٩م). كان من طبقة النبلاء الفرنسيين، نشأ وترعرع في قصر "ميلي" تحت إشراف أمه. أقام مدة في أزمير في تركيا. ثم انخرط في الحياة السياسية فأصبح نائباً في البرلمان، كما أصبح من كبار مؤيدي الثورة الفرنسية، حيث عارض حكم الملك لويس فيليب، وكان أحد قادة الثورة عام (١٨٤٨م). نُشرت له عدة مجموعات شعرية، كما نُشرت له عدة كتب منها: "موت سقراط"، و"أنشودة جحيم للطفل هارولد"، و"رحلة إلى الشرق"، و"جوسلين"، و"سقوط ملاك"، و"خشوع شعري"، وغيرها.

(٢) محمد رضا شاه: من ملوك إيران في القرن العشرين، عينه الإنجليز بعد أن خلعوا والده، ولد سنة (١٣٣٧هـ / ١٩١٩م)، وتسلم الحكم في إيران سنة (١٣٥٩هـ / ١٩٤١م)، وأطيح به سنة (١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م)، ومات في المنفى سنة (١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م) ودفن في مصر.

ذلك اليوم له من القوة ما يزيد عن قوته اليوم، حتى أن بعض الاقتصاديين يذكرون أن قوة الدولار في الحال الحاضر ربع قوة الدولار آنذاك، بالإضافة إلى المفاصد الأخرى المعروفة.

كما أن صداماً^(١) سرق لنفسه وعائلته وبعض رفاقه ثلاثمائة مليار دولار، وموبوتو^(٢) حين سقوطه كان رصيده سبعة مليارات دولار، وهكذا وهلمّ جرّاً. ولو أنعم الله على المسلمين بحكام نزيهين، محبين للبشر والأعمال الخيرية، ومطبقين للقوانين الحيوية الإسلامية؛ لاستطاعوا إدخال الإسلام إلى الغرب دُخولاً تصاعدياً في فترة قياسية، حتى يتحقّق قوله سبحانه: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾^(٣)، هذا الكلام كلّه قبل ظهور الإمام المهدي (عجل الله فرجه الشريف)، وإلا فعند ظهوره ﷺ فلا شك أنه يكون الدين كلّه لله، وتبدّل الأرض غير الأرض.

وفي السنوات الأخيرة، دلّ سقوط الاتحاد السوفيتي مع بطشه منذ سبعين سنة، على أن الانحراف لا يمكن أن يدوم مهما طال، ومهما تسلّح بمختلف بالأسلحة العسكرية والنارية وغير ذلك، فإن نداء الفطرة لا يخمد، ومنطقة الفطرة هي منطقة حرّة لله سبحانه لا سيطرة لأحد عليها؛ حتى الإنسان بنفسه لا سيطرة له عليها، ولا يمكن أن يهدأ من صوتها إلا تقبلها الحق والعدل والإنسانية: ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾^(٤).

(١) طاغوت العراق، مرت ترجمته.

(٢) عاش ما بين (١٩٣٠ - ١٩٩٧م)، أصبح رئيساً لجمهورية الكونغو الديمقراطية للفترة (١٩٦٥ - ١٩٩٧م)، غير اسم الدولة إلى زائير في عام (١٩٧١م). قاد الحكم بطريقة استبدادية بشعة، جمع ثروة شخصية هائلة.

(٣) سورة التوبة: ٣٣، سورة الفتح: ٢٨، سورة الصف: ٩.

(٤) سورة الروم: ٣٠.

يقظة بعد سبات

مسألة: المستقبل يُبشّر بخير الإنسان والإنسانية - كما أشرنا إليه في موضع آخر - حيث إن بلاد الإسلام أخذت تُدرك ما أصابها من الضرر الكبير بتركها الإسلام منذ قرن، فأضحت قطعاً متنافرة، وجماعات متباعدة متحاربة.

فبالرغم من أنهم يعيشون في مجوحة الثروة، إلا أن أكثر الناس لا يملكون حتى القوت الكافي، ولا يستطيعون تزويج أبنائهم، ولا يملكون مسكناً لعوائلهم، ولا عملاً كافياً - حتى أعمال يدوية - تنجيهم من البطالة، وليس لهم حتى مفخرة صنعة من صنائع اليوم، كي يفخروا بها أنهم أوجدوها واخترعوها واكتشفوا معادلاتها وقواعدها ك: الطائرة والسيارة والسلكية واللاسلكية والكمبيوتر والإنترنت و...، فكلها للغرب، وشيء قليل منها للشرق.

فلو أخذت البلاد الإسلامية مراجعة حساباتها، ودرست بدقة لماذا هذا التأخر في الماديات والمعنويات، ففي الحرب يحتاجون الغرب والشرق، وفي السلم يحتاجون الغرب والشرق، وقد أخذوا بمختلف المصطلحات والمبادئ، حتى العلمانية والإسلامية اللفظية فلم ينفعهم شيء، بل ما كان يُسمى بالإسلام وليس هو من الإسلام في شيء كان أسوأ وأردأ.

تركيا العلمانية

ولا بأس أن نقل صورة من تركيا وضعف الإسلاميين فيها، وذلك حينما وصل (أربكان)^(١) إلى الحكم، وكان وراءه أربعة ملايين من المسلمين المنظمين،

(١) عاش نجم الدين أربكان ما بين (١٩٢٦ - ٢٠١١م)، درس فحصل على شهادة الهندسة، ◀

ثلاثة ملايين من الرجال ومليون منهم من النساء، والعمل مستمر منذ زهاء سبعين سنة، فقد كتب أحد الكتاب ما نصّه:

(ما يحدث في تركيا يجب أن يفتح عيوننا جيداً إلى ممارسة الأحزاب الدينية، فعلى أثر الانتخابات التركيّة الأخيرة، حصل حزب الرفاه الإسلامي على أغلبية نسبيّة مقدارها ٢١٪ من أصوات الناخبين، ولكي يشكل الحكومة - وهذا هو هدف جميع الأحزاب الدينية - فإنه تحالف مع خصوم العقيدة، تحالف مع حزب الطريق القويم العلماني الذي ترأسه امرأة، ودشن رئيس الوزراء الإسلامي عهده بإنشاء علاقات مع إسرائيل، وعقد معاهدة عسكرية معها، والقيام بمناورات مشتركة بين الجيش التركي والجيش الإسرائيلي المعادي للإسلام، وصار أربكان في منحدر الاستسلام فاتحاً المجال للمؤسسة العسكرية أن تفعل ما تريد، فأعلنت تركيا معارضتها لأسلمة تركيا متمسكة بالعلمانيّة، ووصل الأمر إلى إغلاق المدارس الدينيّة في عهد رئيس وزراء إسلامي، ليس هذا فحسب بل إنّ مشروع الإصلاح التربويّ في تركيا ينصّ على إقفال المدارس الرسميّة الثانويّة التي تؤمّن تعليماً إسلامياً، وهو ما لم يحدث في عهود من سبق أربكان الإسلامي من رؤساء الوزراء العلمانيين).

إذاً: فإنّ (أربكان) رئيس حزب الرفاه الإسلامي التركي صار وبالأعلى على الإسلام والمسلمين، وتابعاً للجيش التركي العلماني، ولبقيّة الأحزاب العلمانيّة، وفي مقدّماتها شريكته في الحكم رئيسة حزب الطريق القويم العلماني، وهذا يعني أنّ حزب الرفاه فقد مبرر وجوده في الحكم ما دام عاجزاً عن تحقيق مبادئه، بل إنّّه حقّق من مخالفة الشريعة ما لم يستطع العلمانيون تحقيقه، وهذه مصيبة الأحزاب الإسلاميّة في الشرق الأوسط.

► ثم تحول إلى السياسة فتولى رئاسة حزب الرفاه التركي، ثم تسنم رئاسة وزراء تركيا للفترة بين (١٩٩٦ - ١٩٩٧م).

كما هو حادث في بعض البلدان الإسلامية التي ابتليت بأحزاب تُسيّر الدين، وهدفها الحقيقي هو الوصول إلى الحكم، أو إشغال الناس بالأمر الهامشية على حساب القضايا الكبرى كالأمن والاقتصاد والحقوق والإسكان والسُكّان، كما هو حادث في نشاط الأحزاب الإسلامية السياسية في بعض الهيئات والمجالس البرلمانية، فهذه الأحزاب ترفع شعارات براقة ولا ترى تطبيقها كما حصل في تركيا.

ومثل تركيا - وربما أسوأ منها - بعض البلاد الإسلامية الأخرى التي تدعي الإسلام، وهي بعيدة كل البعد عنه.

وهذا ما يؤدي إلى فتح عيون المسلمين حتى يرجعوا إلى واقع القرآن بأحكامه الحيوية، كما قال سبحانه: ﴿إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾^(١)، وإلى سيرة الرسول الأكرم ﷺ، لتطبيقها الاستشارية اللاعنافية الإنسانية، سواء قبل وصوله للحكم في مكة المكرمة، أو بعد وصوله إليه في المدينة المنورة. ومثل هذا الانتباه يبشّر بخير المستقبل، فإن أول الخير معرفة الخير والشر، هذا بالنسبة إلى بلاد الإسلام.

الغرب يتطلع إلى الإسلام

وأما بالنسبة إلى بلاد الغرب والشرق وما إليهما، فإن عقلاءهم أخذوا يضحجون من الفساد والإفساد، واستنفاذ خيرات الأرض في قرن واحد مما ادخرت فيها طيلة ألوف القرون، ولذا يرجون النجاة بإتباع مبادئ الإسلام الذي جاء به القرآن الكريم، والنبى العظيم ﷺ، والعترة الطاهرة ﷺ، يقول (توينبي)^(٢)

(١) سورة الأنفال: ٢٤.

(٢) أرنولد جوزيف توينبي، مؤرخ وفيلسوف إيطالي، وُلد سنة ١٨٨٩م ومات سنة ١٩٧٥م. ◀

في كتابه "الإسلام والغرب والمستقبل":

(ومنذ عام ١٩١٧م شاهدنا شعوباً ديمقراطية الاسم جزئياً أو كلياً، تركز في أشكال مختلفة من أنظمة الحكم الطغيانية، وبعض هذه الشعوب كالألمان والإيطاليين مثلاً ليست حديثة العهد بالحضارة الغربية، بل هي من أفراد العائلة الغربية منذ قيامها، ولذلك فانتصار الروح الدستورية الغربية في الانتخابات التركية عام ١٩٥٠م، هي علامة قد تعني تحوُّلاً في التيار السياسي للعالم كله. وهناك طبعاً أفكار ومؤسسات غربية نشك في أنها نعمة، وأهم هذه الأفكار هي القومية، فلقد أصيب الأتراك وغيرهم من الشعوب الإسلامية بعدوانها الشديد، كما أُصيبوا بغيرها من المفاهيم الغربية سواء النافعة منها أو المضرّة الوبيّلة، وعلينا أن نسأل أنفسنا: ما هي النتائج المرتقبة لدخول هذه الأفكار السياسية الغربية الضيقة الأفق إلى العالم الإسلامي، ذي التاريخ العريق والتقليد القائل: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾^(١) رغماً عن اختلاف الجنس واللغة والبيئة، والآن بعد أن طويت المسافات لتقدّم التقنية الغربية، وفي الوقت الذي تتنافس فيه طرق الحياة الغربية مع طريقة الحياة الروسية، لكسب ولاء البشرية كلّها، الآن يظهر أن التقليد الإسلامي في أخوة الإنسان للإنسان، هو مثل أعلى يوافق حاجات العصر الاجتماعية، وهو أفضل من التقليد الغربي الذي أدى إلى قيام عشرات الدول الصغيرة، ذات السيادة على أساس الاختلاف القومي.

► صاحب نظرية التحدي والاستجابة والتي تطرق إليها في كتابه "دراسة للتاريخ"، الذي يقع في اثني عشر مجلداً. وخلاصة النظرية: «إن الحضارة تنشأ في البيئة الصالحة، وفي شعب له قابلية واستعداد للاستجابة لذلك التحدي، وأن انهيار الحضارة يتم عبر انهيار العبقريّة». ومن مؤلفاته أيضاً: "تاريخ البشرية"، و"الإسلام والغرب والمستقبل". راجع موسوعة المورد: ج ١٠ ص ١٥-١٦.

(١) سورة الحجرات: ١٠.

وفي الواقع الحاضر الذي يجد الغرب نفسه فيه منذ الحرب العالمية الثانية، نرى أن انقسامه إلى أكثر من أربعين قومية مستقلة ذات سيادة، يهدد بانتهيار الكيان كله على من فيه، بسبب انقسامه هكذا على نفسه، ومع ذلك فإن اعتبار الغرب لا يزال له من القوة في العالم، ما يبقى أساس القومية الغربية قادرة على السريان والعدوى.

ومن المعلوم أن يستطيع العالم الإسلامي - على كل حال - إيقاف انتشار هذا الداء السياسي الغربي القومي، وذلك عن طريق الشعور الإسلامي القوي بالوحدة، وفي هذا العصر الذري الوحدة السياسية والاجتماعية، هي ضرورة عاجلة للبشرية أكثر من أي وقت مضى.

إلى أن قال:

هناك الدول الإسلامية الناطقة بالعربية، حيث اللغة المشتركة المتكلمة بلهجات مختلفة، لكنها تكتب بأسلوب أدبي ولغوي واحد، من شواطئ المحيط الأطلسي في مراكش إلى الحدود الغربية لإيران، ومن حلب والموصل في الشمال إلى الخرطوم وعدن ومسقط وزنجبار في الجنوب، فالكتب والصحف الصادرة في القاهرة ودمشق وبيروت توزع في هذه المناطق الشاسعة الواسعة، بل وتتعدى حدودها؛ لأن اللغة العربية هي لغة الدين، حتى في البلاد الإسلامية التي لا تتكلم العربية كلغة أصلية، فهل من الضروري حقاً أن يفتت العالم العربي، كما تفتت الإمبراطورية الإسبانية في أمريكا - لسوء الحظ - إلى عشرين دولة مستقلة عن بعضها تعيش في قوالب ضيقة وغريبة النمط.

وهذا هو الوجه الثاني الكالغ لحضارتنا الغربية. ومن المؤسف حقاً أن تقلده الشعوب الناطقة بالعربية تقليداً تاماً.

إلى أن قال:

إلا أن باستطاعتنا أن نميز بعض مبادئ الإسلام، التي إذا طبقت في الحياة الاجتماعية للبروليتاريا العالمية الحديثة، يمكن أن تأتي بنتائج حسنة مفيدة لهذا المجتمع الكبير في المستقبل القريب.

هناك مصدران ظاهران من مصادر الخطر: الأول نفسي، والثاني مادي في العلاقات الحاضرة بين البروليتاريا العالمية، وبين الفئة الحاكمة في مجتمعا الغربي، ومصدر الخطر هما: التمييز العنصري والخمر، وفي مجال الصراع ضد هذين الشرين، نجد للفكر الإسلامي دوراً يؤديه ويبرهن فيه، إذا سُمح له بتأدية هذا الدور عن قيم اجتماعية وأخلاقية سامية.

فعدم وجود التمييز العنصري بين المسلمين، هو أحد أبرز الإنجازات الأخلاقية للإسلام، والعالم المعاصر في وضعه الراهن بحاجة ماسة لنشر هذه الفضيلة الإسلامية.

إلى أن قال:

إن قُوى التسامح العنصري ذات أهمية ضخمة للإنسانية، وهي الآن على ما يظهر تخوض معركة خاسرة على الصعيد الفكري، إلا أنها قد تتمكن من الغلبة إذا ساندها، ونزل إلى جانبها في المعركة رصيد من النفوذ القوي المناضل، الذي لم يزل حتى الآن احتياطياً.

والذي أتصوره أن روح الإسلام، ستكون التعزيز المناسب الذي سيقرر مصير هذه المعركة لصالح التسامح والسلام.

أما شر الخمر، فهو الآن في أوجه بين الشعوب البدائية في المناطق الاستوائية التي قسمها الغرب، وعلى الرغم من أن قسماً من الرأي العام الغربي المتور، قد وعى هذا الشر وأتعب نفسه في محاولة مكافحته، فإن نتائج تلك المكافحة، لم تتعد نطاقاً ضيقاً جداً.

فالرأي العام الغربي لا يستطيع القيام بأيّ عمل، سوى الضغط على الحكّام الغربيين الذين يديرون تلك المناطق الاستوائية، والحكّام الإداريّون الآن هم معزولون فكرياً عن أبناء البلاد الأصليين، بسبب الحاجز اللوني الذي أثاره تمييزهم العنصري، وتحويل نفوس السكان الأصليين نحو الخير أمر أرفع من أن تبلغه إمكانات هؤلاء الحكّام الإداريين.

وفي هذه المنطقة بالذات، يمكن للإسلام أن يلعب دوره في هذا الموضوع، إلى آخر كلامه.

ما يحتاجه المسلمون

وعلى أيّ حال: فالمسلمون بحاجة إلى أمرين لبناء مستقبل أفضل:

الأول: هو اليقظة الإسلامية في داخل البلاد الإسلامية، والأخذ بالحرية المسؤولة، والأخوة الإسلامية، والأمة الواحدة، كما أنجزته البلاد الغربية في نطاق ضيق في الآونة الأخيرة، حيث رفعت الحواجز الجغرافية، وتوطدت بينهم الأخوة نوعاً ما، كما سادت بعض الحريات أيضاً.

فإذا عمل الوعاة من المسلمين بهذه الأمور في بلاد الإسلام، وبالمجال الواسع الذي شرّعه الإسلام، سيظهر الإسلام كقوة خيرة جديدة للإنقاذ، لا لنفسه فحسب بل لغيره أيضاً، حيث يكون أسوة كما كان المسلمون الأولون أسوة للغربيين فاقتدوا بهم، فصار عندهم نوع من المدنية والإنسانية والتقدم، ممّا هو مشهور في التاريخ.

الثاني: اليقظة الإسلامية في خارج البلاد الإسلامية، أي الدول الأوروبية والولايات الأمريكية، وكذا اليابان والصين وروسيا والهند وبقية الدول.

وذلك بكلّ لين ولطف ولا عنف، وبروح إنسانية وتعقل، كما هي مبادئ

الإسلام، حتى تسقط الحواجز بين المسلمين وغير المسلمين، وبذلك يسعد غير المسلمين أيضاً في دنياهم.

فإنّ المادية الغربيّة وما شابهها من أكبر معوّقات التقدّم والإنسانية؛ ذلك لأنّ المادة لا تعرف الروح، وكلّ شيء فارغ من الروح يتحول إلى سيف يشهر بوجه الإنسانية، كما أن الروحيّة البحتة والتصوّف المبتدع ضربة على الماديّة اللازمة، وقد ورد في حديث عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «أنا ذو عينين»، أي عين تنظر إلى المادة وعين تنظر إلى الروح، أو عين تنظر إلى الدنيا وعين تنظر إلى الآخرة.

وفي القرآن الحكيم: ﴿فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ * وَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ * أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا﴾^(١).

وفي الحديث: «لَيْسَ مِنَّا مَن تَرَكَ دُنْيَاهُ لِآخِرَتِهِ، وَلَا آخِرَتَهُ لِدُنْيَاهُ»^(٢).

لكن من الواضح أنّ القوتين الإسلاميتين اللتين تعملان في داخل بلاد الإسلام وخارجها، يجب أن تتحلّيا بأكبر قدر من الصفات الإنسانية والإسلامية كاللّا عنف واللّين والمداراة وجمع الكلمة والتواضع وعدم الإرهاب، كما ورد في دعاء كميل: «وفي جميع الأحوال متواضعاً»^(٣).

فالإنسان إذا أراد أن يعيش بصورة عادية احتاج إلى التواضع، فكيف إذا أراد أن يعيش تقدّمياً؟!، وأولى بذلك إذا أراد أن يعيش مقدّماً عليهم.

وقوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾^(٤) يدلّ على هذا الواقع.

فإن الله سبحانه لم يقل فيما رحمة من الله أمرتهم بالصلاة أو بالصوم أو

(١) سورة البقرة: ٢٠٠ - ٢٠٢.

(٢) وسائل الشيعة: ج ١٧ ص ٧٦ ب ٢٨ ح ٢٢٠٢٥.

(٣) دعاء كميل.

(٤) سورة آل عمران: ١٥٩.

بالزكاة أو بالحج أو بالجهاد أو بكذا أو بكذا، والفرق بين (الفظ) و(الغليظ القلب)، هو الفرق بين ظاهر الإنسان وباطنه، حيث إن الإنسان قد يكون ظاهره وباطنه يدلان على العنف، وقد يدلان على اللين، وقد يكون هذا ليناً دون ذلك، وقد يكون العكس.

ومن الواضح أن الشخص الذي يتمكّن من الخدمة، والنفوذ في عمق المجتمع، هو من كان ظاهره وباطنه كلاهما متصفين باللين، لا أن يكون باطنه خشناً وظاهره متصفاً باللين، أو ظاهره خشناً وقلبه ليناً.

وهذا هو من المعاني التي أُشير إليها في بداية السور القرآنية بقوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿الرَّحْمَنِ﴾ متعلق بالظاهر، و﴿الرَّحِيمِ﴾ متعلق بالباطن، والله سبحانه وإن لم يكن له ظاهر وباطن بالمعنى الجسماني لكن له سرٌّ يختص به لنفسه، وعلن يظهره للملائكة والناس وغيرهم، مضافاً إلى كونه من باب (المشكلة) مثل قوله تعالى: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾^(١) وهكذا، مع وضوح أن الله سبحانه ليس له نفس.

والخلاصة: إن اليقظة التي نشاهدها في العالم الإسلامي من جانب، وفي العالم الغربي من جانب آخر، وفي المسلمين القاطنين في العالم الغربي من جانب ثالث، كلّها هي من مظاهر المستقبل المشرق، إن شاء الله تعالى.

معرفة الحياة

مسألة: المستقبل للإسلام دون شك ، وهو للمسلمين في المدى غير المنظور ، وسيكون للمسلمين في المدى المنظور إذا أقاموا نهضة توعوية شاملة ، فإن مشكلة المسلمين في القرن الحاضر تبدأ من اللاوعي ، فإن غالب المسلمين بمختلف فصائلهم ومهنتهم ، سواء كانوا مهندسين ، أم أطباء ، أم محامين ، أم أساتذة جامعات ، أم طلاب علوم دينية ، أم غيرهم ، لا يعون كيف يعيشون! ، كما قال تعالى : ﴿إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾^(١) . فأصبحوا في عالم اليوم مع توقّر كلّ الإمكانيات لهم ، مثلهم مثل قوله عز وجل : ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾^(٢) .

فلهم خصوبة النسل ، ولهم المنطقة الإستراتيجية ، ولهم التاريخ المشرق ، ولهم المبادئ الصحيحة ، ولهم الثروة الطائلة ، ومع ذلك تراهم متفرّقين متشتتين ، يحارب بعضهم بعضاً ، ويكفّر بعضهم بعضاً ، ويغتال بعضهم بعضاً ، ولا إيمان لهم بضرورة تطبيق القرآن ، وإن نادوا باسم القرآن وصلّوا وصاموا .

فلا وعي لهم بأهميّة وضرورة (الوحدة الإسلامية) التي نادى بها الإسلام بقوله سبحانه : ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾^(٣) ، كما لا إيمان لهم بضرورة (الأخوة الإسلامية) ، فترى كلّ شخص من بلد آخر يُسمّى بالأجنبيّ ، بينما

(١) سورة الأنفال : ٢٤ .

(٢) سورة طه : ٧٤ .

(٣) سورة المؤمنون : ٥٢ .

العديد من غير المسلمين في بلاد الإسلام يسمى بالأهلي أو المواطن. وإنهم بسبب عدم وعيهم يفضلون المصالح الشخصية أو المصالح الصغرى على المصالح الإسلامية الكبرى، ويتصورون أنهم بذلك يحسنون صنعا، بينما المصالح الإسلامية الكبرى إذا حفظت تكون حفظاً لمصلحة الفرد أيضاً، فإن مصلحة الإسلام أكبر من مصلحة الفرد الشخصية المتصورة.

والخلافات والاختلافات القومية والعرقية واللغوية وأحياناً الدينية والمذهبية والعقائدية، من أسباب التباعد بين المسلمين، حيث إن المستعمرين وعملاءهم في بلاد الإسلام، سواء كان عميلاً صريحاً أم عميلاً فكرياً، يعملون ليل نهار لتفرقة المسلمين، وإبعاد بعضهم عن بعض، وإيجاد الخلاف والنزاع في الشعوب الإسلامية، وبالطبع تكون النتيجة التفرقة والتناحر، كما يوجب ابتعاد المسلمين عن الحكام وابتعاد الحكام عن الشعب^(١).

ومن نتائج ذلك الحروب: كحرب الروس مع الأفغان، أو حرب الأفغان مع بعضهم البعض، أو حرب الجزائر حكومةً وشعباً أحدهما مع الآخر، والحرب العراقية - الإيرانية، وحرب الخليج الثانية، وهكذا.

وشبيه بالحروب: الانقلابات العسكرية التي ذهبت بثروات المسلمين وشبابهم ووحدتهم.

وقد ورث الاستعمار المسلمين حالة التجزئة والتفرقة والتناحر والتضارب، بتقسيمهم البلاد الإسلامية إلى دويلات صغيرة، وإلى أقطار ذات سيادة متعددة، وقوانين مختلفة، وتوترات حدودية وإقليمية، مما ستنزف كل تلك المدخرات الاقتصادية، وقضت على الكفاءات البشرية والطاقات الخلاقة، وسببت هجرة أدمغة المسلمين إلى البلاد الغربية، كما صبت بثرواتهم إلى جيوب

(١) وقد بين الإمام المؤلف تفرقة بعض خطط الاستعمار وأعوانه للنيل من الشعوب ومقدراتها في كتابه "لكي لا تتنازعا".

الأعداء.

كما أن سيف المستعمر مسلط في الخارج، وسوط الاستبداد يواجههم في الداخل؛ لتحطيم وحدة الأمة ومؤسساتها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والفكرية وغيرها.

وقد تآزرت مع الاستعمار كل القوى المعادية، منها: الطابور الخامس لخنق الحريات، والإجهاض على الحقوق.

ومن المعلوم أن من دون حرية التعبير عن الرأي، وحق المشاركة في صنع القرار عبر الانتخابات الحرة، وبدون حرية الأحزاب وما أشبه، لا يمكن أن تتحقق الوحدة والنهضة والأخوة.

والتاريخ القريب منذ مائة سنة، يشهد أن الاستبداد الذي يمارس من قبل السلطات والحكومات ضد المجتمعات، سبب التجزئة والتصدع وغياب الوحدة والحرية والأخوة.

وقد جند الاستبداد والمستعمر بعض المسلمين لكي يقوموا - إضافة لمحاربة أنفسهم - بمحاربة غير المسلمين على خلاف ما هو المقرر في باب الجهاد، وذلك لتشويه سمعة الإسلام والمسلمين، لأنهم يعملون كل ذلك باسم الإسلام، بينما الإسلام له موقف واضح ومشرق من غير المسلمين، فقسّمهم إلى قسمين:

الأول: من لا يحارب المسلمين.

والثاني: من يحاربهم.

فالقسم الذي لا يحارب المسلمين، قال الله سبحانه فيهم:

﴿لَا يَنْهَاكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ

مَنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرَّوْهُمْ وَتُفْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُفْسِطِينَ ﴿١﴾.

والقسم المحارب للمسلمين، فالإسلام أجاز للمسلمين رد الاعتداء عليهم بالمثل لا أكثر، حيث قال: ﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (٢).

إلى غيرها من الآيات التي أشرنا إلى بعضها في ما سبق.

وخلاصة القول:

إنه لتحقيق المستقبل الأفضل، يجب إرجاع الوعي إلى المسلمين حتى يعرفوا أنهم (أمة واحدة)، وأنهم (إخوة)، وأن لهم (حرياتهم الكثيرة الإسلامية)، كما قال عز وجل:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (٣).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ (٤).

وفي الحرية قال سبحانه: ﴿يَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ (٥).

هذا بالإضافة إلى ما سبق من وجوب، أن يكون للمسلمين القاطنين في البلاد الغربية، القوة والتنظيم والوعي الكامل، والأخلاق الفضلى، والسلوك النموذجي وما أشبهها، حتى يرى الغربيون محاسن الإسلام، وآداب المسلمين

(١) سورة الممتحنة: ٨.

(٢) سورة الممتحنة: ٩.

(٣) سورة الحجرات: ١٠.

(٤) سورة الأنبياء: ٩٢.

(٥) سورة الأعراف: ١٥٧.

وعقائدهم، وأنهم ليسوا أعداء لهم؛ لكي لا يقابل غير المسلمين المسلمين بالسوء. وعند ذلك يمكن أن ترجع القوة الإسلامية الواقعية التي جاءت لهداية البشرية جمعاء، قال سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾^(١).

وسيكون المستقبل - بإذن الله تعالى - مشرقاً بانتشار التعاليم الإسلامية الحقة، وتقدم المسلمين، ودخول شعوب العالم في دين الله أفواجا، وما ذلك على الله بعزيز.

(١) سورة سبأ: ٢٨.

الفصل الثاني:

المستقبل غير المنظور

وفيه مسائل:

❖ المهدي (عجل الله فرجه) في الكتاب والسنة

❖ المستقبل في عصر الظهور

المهدي عليه السلام في الكتاب والسنة

مسألة: وردت في ظهور الإمام المهدي المنتظر (عجل الله فرجه الشريف) الآيات والروايات الكثيرة.

الآيات الشريفة:

ومن تلك الآيات التي ورد تفسيرها بروايات مقبولة السند وتامة الدلالة، وقد وردت في كتب الفريقين:

١. قال سبحانه وتعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُكِنُّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾^(١).

وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام كما في نهج البلاغة: «لتعطفن الدنيا علينا بعد شماسها، عطف الضروس على ولدها، وتلا قوله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾^(٢)»^(٣).

قال ابن أبي الحديد في شرحه: (إن أصحابنا يقولون: إنه وعد بإمام يملك

(١) سورة القصص: ٥ - ٦.

(٢) سورة القصص: ٥. كما ورد في "البرهان في تفسير القرآن" ج ٣ ص ٢٢٠: إن هذه الآية مخصوصة بصاحب الأمر الذي يظهر في آخر الزمان، ويبيد الجبابرة والفراعنة، ويملك الأرض شرقاً وغرباً، فيملأها عدلاً كما ملئت جوراً. وذكر الشهيد السيد حسن الشيرازي رحمته الله في كتابه "الإمام المهدي" ص ١٢٠ - ١٢٢ أن الآية مؤولة بالإمام المهدي عليه السلام.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٩ ص ٢٩ تنمة باب الحكم والمواعظ، رقم ٢٠٥.

الأرض، ويستولي على الممالك»^(١).

٢. وقال عز وجل: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(٢).

وفي "تفسير مجمع البيان": عن علي بن الحسين (صلوات الله عليهما)، أنه قرأ هذا الآية وقال: «هم والله شيعتنا أهل البيت، ليفعل الله ذلك بهم على يد رجل منا، وهو مهدي هذه الأمة، وهو الذي قال رسول الله ﷺ: لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد، لطول الله ذلك اليوم حتى يلي رجل من عترتي، اسمه اسمي، يملأ الأرض عدلاً وقسطاً، كما ملئت ظلماً وجوراً»^(٣).

٣. وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾^(٤)، فقد روى الطبرسي في "مجمع البيان" عن الإمام الباقر عليه السلام، أنه قال: «هم أصحاب المهدي عليه السلام في آخر الزمان»^(٥).

٤. وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾^(٦). ففي "تفسير البرهان":

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٩ ص ٢٩ تنمة باب الحكم والمواظ، رقم ٢٠٥.

(٢) سورة النور: ٥٥.

(٣) مجمع البيان: ج ٧ ص ٢٦٧ سورة النور تفسير الآية ٥٥، وكذلك ورد عن رسول الله ﷺ: "لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد، لطول الله ذلك اليوم حتى يخرج رجل من أممي يواطئ اسمه اسمي، وكنيته كنيتي، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً". تفسير النيسابوري بهامش تفسير الطبري المجلد الأول عند تفسير سورة البقرة: الآية ٥.

(٤) سورة الأنبياء: ١٠٥.

(٥) مجمع البيان: ج ٧ ص ١٢٠ سورة الأنبياء، الآية ١٠٥، كما روى الحافظ القندوزي عن الصادقين عليه السلام في هذه الآية، قال: «هم القائم وأصحابه»، ينابيع المودة: ج ٣ ص ٢٤٣ ب ٧١ ح ٢٨.

(٦) سورة التوبة: ٣٣، سورة الصف: ٩. وقد روى الحافظ القندوزي بإسناده، قال: عن الإمام

عن أبي الفضيل ، عن الإمام الكاظم عليه السلام ، قلت له : ليظهره على الدين كله؟ قال عليه السلام «يظهره على جميع الأديان عند قيام القائم عليه السلام»^(١).

هذه جملة من الآيات التي فسّرت ، أو ورد تأويلها في الإمام المهدي (عجل الله فرجه) ، وقد جمع السيد الأخ^(٢) (حفظه الله) في كتابه "المهدي عليه السلام في القرآن"

جعفر الصادق عليه السلام في قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ قال : «والله ، ما يجيء تأويلها حتى يخرج القائم المهدي عليه السلام ، فإذا خرج - القائم - لم يبق مشرك إلا كره خروجه ، ولا يبقى كافر إلا قتل ، حتى لو كان كافر في بطن صخرة . قالت : يا مؤمن في بطني كافر فاكسرنى واقتله» . ينابيع المودة : ج ٣ ص ٢٣٩ ب ٧١ ح ١٤ .

(١) تفسير البرهان : ج ٤ ص ٣٣٠ .

(٢) هو سماحة المرجع الديني آية الله العظمى الحاج السيد صادق الحسيني الشيرازي دامت له ، ولد في ٢٠ ذي الحجة من عام ١٣٦٠ هـ في كربلاء المقدسة ، وقد تلقى العلوم الدينية على يد كبار العلماء والمراجع في الحوزات العلمية حتى بلغ درجة سامية من الاجتهاد . وقد عرفه الفقهاء العظام والعلماء الأعلام في قم المقدسة ومن قبلها في كربلاء المقدسة والنجف الأشرف ، بالفقاهة المتقنة في الأصول والفروع ، والمعقول والمنقول ، والورع والتقوى ، واعترفت به كذلك الحوزات العلمية سواء في العراق أم إيران أم غيرهما . نشأ دامت له في بيت عريق في العلم ، أصيل في النسب ، قديم في الفقه والاجتهاد ، والتضحية والجهاد ، ألا وهو بيت آل المجدد الشيرازي الكبير ، وقد ترعرع في أجواء مفعمة بعبير الورع والتقوى ، وشذى المباحثة والمدارسة ، وتفاعل معها بكل وجوده ، وأفنى في اقتنائها دقائق وقته ، ولحظات عمره حتى أتقن فن الاستنباط وأحكم مبادئه . كما حاز دامت له على نفس سليمة تواقفة للعلم ، متمسكة بالتقوى والعمل الصالح ، دؤوبة على خدمة مذهب أهل البيت عليهم السلام والدفاع عن شريعتهم المقدسة ، فقد اشتغل بتحصيل العلوم الدينية منذ نعومة أظفاره معرضاً عن الدنيا ومباهجها بكل جده وجهده ، حتى عرف دقائق الأحكام الشرعية ولطائف المسائل الفقهية والأصولية ، كما يشهد له أهل الخبرة . لقد دأب سماحته دامت له وإلى يومنا هذا على زيارة الفقهاء والمراجع والعلماء الفطاحل ، وإكبارهم وإعظامهم ، والبحث معهم في مختلف المسائل العلمية الدقيقة وما يرتبط بأموال الطائفة الشيعية في زمن غيبة مولانا الإمام المهدي المنتظر عليه السلام ، كما بادله الفقهاء المراجع والعلماء الأعلام الزيارة في بيته المتواضع وقابلوه بالتجليل والتعظيم والتفديس . وكان دامت له

أكثر من مائة آية مؤولة ومفسرة بحق الإمام عليه السلام نقلها عن مصادر العامة، ورعاية للبحث هنا نكتفي بما ذكرناه من الآيات^(١).

الروايات الشريفة:

❖ أما بالنسبة إلى الروايات:

فقد وردت أحاديث كثيرة جداً مروية عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، وعن الأئمة الاثني عشر عليهم السلام، حول الإمام المهدي (صلوات الله عليه وعجل الله فرجه)، وهكذا عن الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام في هذا الموضوع، وإليك بعض تلك الروايات^(٢):

الرواية النبوية

١. عن ابن عباس، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إن خلفائي وأوصيائي وحجج الله على الخلق بعدي لاثنا عشر، أولهم أخي وآخرهم ولدي».

يستثمر زيارته لهم وزيارتهم إياه حتى ولو كانت المدة قصيرة في طرح فرع فقهي، أو مسألة أصولية، ويتم بينهم البحث العلمي والمناقشة الفقهية بكل رصانة ومثانة، بحيث يُدْعَن له بالقوة العلمية والمكانة السامية الفقهية والأصولية. كتب للفقهاء والمجتهدين مجوَّهًا استدلالية علمية دقيقة، وقد طبع منها: "بيان الفقه: الاجتهاد والتقليد"، و"بيان الأصول: قاعدة لا ضرر ولا ضرار"، و"الاستصحاب". وتطرق «أمّ ظلة» إلى مباحث لم يتطرق غيره لها بالأسلوب الجميل والتحقيق العميق في هذه الأبواب. وقد أتخف الحوزات العلمية ببحثه الخارج في الفقه والأصول منذ أكثر من عشرين سنة، ويحضره الكثير من العلماء الأفاضل وبعض المجتهدين للاستفادة من محضره الشريف. كما تخرّج على يديه جمع من الأعلام المجتهدين، وهناك بعض حلقات درسه مسجلة بالصوت والصورة يمكن للعلماء الأفاضل الرجوع إليها والاستفادة منها.

(١) حيث جمع في كتابه "المهدي في القرآن" ١٠٨ آية من ٤٦ سورة في القرآن الكريم.

(٢) قد أشار المؤلف رحمته الله إلى بعض الأحاديث، وبعض أحوال الإمام عليه السلام في كتابه "الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف".

قيل يا رسول الله: ومن أخوك؟.

قال: «علي بن أبي طالب».

قيل: ومن ولدك؟.

قال: «المهدي الذي يملأها قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً. والذي بعثني بالحق بشيراً، لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتى يخرج فيه ولدي المهدي، فينزل روح الله عيسى ابن مريم فيصلي خلفه، وتشرق الأرض بنور ربّها، ويبلغ سلطانه المشرق والمغرب»^(١).

ولعل المراد بالمشرق والمغرب، مشرق ومغرب العالم، وليس الكرة الأرضية فقط، والانصراف لو ادعي فإنه بدوي.

الرواية العلوية

٢. عن أمير المؤمنين عليه السلام، أنه قال للإمام الحسين عليه السلام: «التاسع من ولدك

يا حسين هو القائم بالحق، المظهر للدين، الباسط للعدل».

قال الحسين عليه السلام: «فقلت: يا أمير المؤمنين، وإن ذلك لكائن؟!».

فقال: «إي والذي بعث محمداً عليه السلام بالنبوة واصطفاه على جميع البرية، ولكن بعد غيبة وحيرة، لا يثبت فيها على دينه إلا المخلصون المباشرون لروح اليقين، الذين أخذ الله ميثاقهم بولايتنا، وكتب في قلوبهم الإيمان، وأيدهم بروح

(١) بحار الأنوار: ج ٥١ ص ٧١ ب ١ ح ١٢، وفرائد السمطين للجويني: ج ٢. وعن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن خلفائي وأوصيائي وحجج الله على الخلق بعدي اثنا عشر، أولهم علي وآخرهم ولدي المهدي، فينزل روح الله عيسى ابن مريم، فيصلي خلف المهدي وتشرق الأرض بنور ربّها ويبلغ سلطانه المشرق والمغرب». انظر "ينابيع المودة" لسليمان القندوزي الحنفي ج ٣ ص ٢٩٥ ب ٧٨ ح ٢.

وقوله عنه : «مشارك الأرض ومغاريها»، لا يخصص ما ذكرناه سابقاً، إذ المطلق والمقيد المبتنان لا يقيد أحدهما الآخر، على ما فصل في الأصول، كما أن ذكر صفات عديدة مثل: (الإمام والخليفة وأنت أولى وغيرها) في هذه الرواية وغيرها، هو لقطع العذر على المكابر والمعاند، ومن قد يلتبس عليه الأمر بإرادة معنى غير الإمامة والخلافة بلا فصل من تلك الصفات.

الرواية الحسنية

٤. في حديث عن الإمام الحسن عليه السلام، أنه قال: «أما علمتم أنه ما منا أحد إلا ويقع في عنقه بيعة لطاغية زمانه، إلا القائم عليه السلام الذي يُصلي روح الله عيسى بن مريم عليه السلام خلفه، فإن الله عز وجل يخفي ولادته، ويغيب شخصه لئلا يكون لأحد في عنقه بيعة إذا خرج، ذلك التاسع من ولد أخي الحسين ابن سيدة الإمام، يطول الله عمره في غيبته، ثم يظهره بقدرته في صورة شاب ابن دون أربعين سنة، ذلك ليعلم أن الله على كل شيء قدير»^(١).

لعل ذكر «ابن سيدة الإمام» للتذكير والتأكيد على أن ﴿أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتَّقَاكُمْ﴾^(٢)، ثم إنه لا تلازم بين كونها أمة وكونها سيدة الإمام، إذ التاريخ يشهد أن كونها أمة كان سورياً.

الرواية الحسينية

٥. عن الإمام الحسين عليه السلام قال: «منا اثنا عشر مهدياً، أولهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وآخرهم التاسع من ولدي، وهو الإمام القائم بالحق، يحيي الله به الأرض بعد موتها، ويظهر به دين الحق على الدين كله ولو كره

(١) إكمال الدين للصدوق: ج ١ ص ٣١٦ ب ٢٩ ح ٢، بحار الأنوار: ج ٥١ ص ١٣٢ ب ٣ .

(٢) سورة الحجرات: ١٣ .

المشركون، له غيبة يرتدّ فيها أقوام ويثبت فيها على الدين آخرون، يُؤذَن ويقال لهم: ﴿مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(١) ﴿٢﴾.

لعل المراد بحياة الأرض بعد موتها، الأعم من (الحياة المادية) والحياة المعنوية، والأولى بالعمارة والزراعة والنظافة والجمال وغاية الإنتاج، والثانية بالهداية والعلم والتقوى والفضيلة والأخلاق.

الرواية السجادية

٦. عن الإمام السجاد عليه السلام قال: «القائم منا تخفى ولادته على الناس حتى يقولوا لم يولد بعد، ليخرج حين يخرج وليس لأحد في عنقه بيعة»^(٣).

من الواضح أن البيعة أعم من الاختيارية والقسرية، كما هي أعم من البيعة بالإيجاب والبيعة بالسلب، والمراد بالإيجاب: إنه يبائع بيده ولو مكرهاً، وبالسلب: إنه لا يبائع لكنه يسكت فلا يغير ولا يثور لعدم القدرة أو المصلحة، فإن هذا يطلق عليه (بيعة) توسعاً.

ولعل ما ورد في بعض الروايات من: «ما من أحد إلا ويقع في عنقه بيعة لطاغية زمانه»، يراد به هذه البيعة أي السلبية القسرية.

الرواية الباقرية

٧. عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال لأبي حمزة: «يا أبا حمزة، من المحتوم الذي حتمه الله قيام قائمنا، فمن شك فيما أقول لقي الله وهو به كافر - ثم قال - بأبي وأمي المسمى باسمي، والمكنى بكنيتي، السابع من بعدي، بأبي من يملأ

(١) سورة يونس: ٤٨، ومواضع أخرى من القرآن.

(٢) إكمال الدين للصدوق: ج ١ ص ٣١٧ ب ٣٠ ح ٣، ومثله في أعلام الوري: ص ٤٠٦ الركن ٤ ق ١ ف ٢.

(٣) إكمال الدين: ج ١ ص ٣٢٢ - ٣٢٣ ب ٣١ ح ٦.

الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً. يا أبا حمزة، من أدركه فيسلم به ما سلم لمحمد وعلي فقد وجبت له الجنة، ومن لم يسلم فقد حرم الله عليه الجنة، ومأواه النار، وبئس مثوى الظالمين»^(١).

قد ذكرنا في "الفقه": إن الكفر له إطلاقات، وله درجات ومراتب، تختلف أحكامها وآثارها.

الرواية الصادقية

٨. عن الإمام الصادق عليه السلام عندما سأله أبو بصير قائلاً: يا ابن رسول الله، ومن القائم منكم أهل البيت؟.

فقال عليه السلام: «يا أبا بصير، هو الخامس من ولد ابني موسى، ذلك ابن سيدة الإمام، يغيب غيبة يرتاب فيها المبطلون، ثم يظهره الله (عز وجل)، فيفتح على يديه مشارق الأرض ومغاربها، وينزل روح الله عيسى ابن مريم عليه السلام فيصلي خلفه، وتشرق الأرض بنور ربها، ولا تبقى في الأرض بقعة عبد غير الله عز وجل إلا عبد الله فيها، ويكون الدين كله لله ولو كره المشركون»^(٢).

ولعل «إلا عبد الله فيها» مبني للمعلوم، إي إن الإمام عليه السلام هو بنفسه الكريمة يعبد الله فيها، وأما البناء للمجهول فواضح. ثم إنه لعل العبادة في كل بقعة إضافة إلى أنها تطهرها من الأرجاس المعنوية، فإن لها آثاراً وضعية في إنتاجها وبركتها وغير ذلك.

الرواية الكاظمية

٩. عن يونس بن عبد الرحمن، قال: دخلت على موسى بن جعفر عليه السلام،

(١) الغيبة للنعماني: ص ٨٦ ب ٤ ح ١٧، بحار الأنوار: ج ٢٤ ص ٢٤١ ب ٦٠ ح ٤.

(٢) إكمال الدين: ج ٢ ص ٣٤٥ - ٣٤٦ ب ٣٣ ح ٣١.

فقلت له : يا بن رسول الله ، أنت القائم بالحق؟. فقال : «أنا القائم بالحق ، ولكن القائم الذي يُطهّر الأرض من أعداء الله ويملاها عدلاً كما ملئت جوراً هو الخامس من ولدي ، له غيبة يطول أمدها خوفاً على نفسه ، يرتدّ فيها أقوام ويثبت فيها آخرون»^(١).

قوله عليه السلام : «خوفاً على نفسه» ؛ لأجل حفظها لإحقاق الحق وإبطال الباطل ، ونشر راية العدل والهدى ، وقد قال موسى (على نبينا وآله وعليه السلام) :
﴿فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خَفْتَكُمْ﴾^(٢).

الرواية الرضوية

١٠. أنشد دعبل الخزاعي رحمته الله قصيدته التائية عند الإمام الرضا عليه السلام ، فلما وصل إلى هذين البيتين :
خُرُوجُ إِمَامٍ لَا مَحَالَةَ خَارِجٌ يَقُومُ عَلَى اسْمِ اللَّهِ وَالْبَرَكَاتِ
يُمَيِّزُ فِينَا كُلَّ حَقٍّ وَبَاطِلٍ وَيَجْزِي عَلَى النِّعْمَاءِ وَالنَّقِمَاتِ
بكى الإمام الرضا عليه السلام بكاءً شديداً ، ثم رفع رأسه إلى دعبل ، وقال له :
«يا خزاعي... نطق روح القدس على لسانك بهذين البيتين. فهل تدري من هذا الإمام ، ومتى يقوم؟».

فقال : لا يا مولاي ؛ إلاّ أني سمعتُ بخروج إمام منكم يُطهّر الأرض من الفساد ، ويملؤها عدلاً كما ملئت جوراً.

فقال الإمام عليه السلام : «يا دعبل ، الإمام بعدي محمد ابني ، وبعد محمد ابني علي ، وبعد علي ابني الحسن ، وبعد الحسن ابني الحجة القائم ، المنتظر في غيبته ،

(١) إكمال الدين : ج ٢ ص ٣٦١ ب ٣٤ ح ٥.

(٢) سورة الشعراء : ٢١.

المطاع في ظهوره، لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتى يخرج فيملاً الأرض عدلاً كما ملئت جوراً»^(١).
 لعل بكاء الإمام عليه السلام بكاءً شديداً لما استحضره من مظالم، وشدائد جرت على آل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وعلى شيعتهم، وما سيجري عليهم حتى الظهور.

الرواية التقوية

١١. عن السيد عبد العظيم الحسيني، قال: دخلت على سيدي محمد بن علي - الجواد - عليه السلام وأنا أريد أن أسأله عن القائم، أ هو المهدي أم غيره؟! فابتدأني عليه السلام فقال: «يا أبا القاسم، إن القائم منا هو المهدي الذي يجب أن يُنتظر في غيبته، ويُطاع في ظهوره، وهو الثالث من ولدي. والذي بعث محمداً صلى الله عليه وآله بالنبوة، وخصنا بالإمامة إنه لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتى يخرج فيه، فيملاً الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت جوراً وظلماً، وإن الله تبارك وتعالى يُصلح له أمره في ليلة، كما أصلح أمر كليمة موسى عليه السلام إذ ذهب ليقبّس لأهله ناراً فرجع وهو رسول نبي - ثم قال عليه السلام - أفضل أعمال شيعتنا انتظار الفرج»^(٢).

هذه الرواية تعد من الأدلة على إمكان البداء في أكثر علامات الظهور إلا

(١) إكمال الدين: ج ٢ ص ٣٧٢ ب ٣٥ ح ٦، فرائد السمطين: ج ٣ ص ٣٣٧. وورد في كتاب "الإمام المهدي": ص ٢٧٩، والفصول المهمة: ج ٢ ص ٩٩٧ ف ٨، وينايع المودة: ج ٣ ص ٣١٠ ب ٨٠ ح ١، وإلزام الناصب: ج ١ ص ١٧٨، وكشف الغمة: ج ٢ ص ٣٢٨ باب مولد الرضا عليه السلام: «الإمام بعدي محمد ابني، وبعده علي ابنه وبعده علي ابنه الحسن وبعد الحسن ابنه لقائم...».

(٢) إكمال الدين: ج ٢ ص ٣٧٧ ب ٣٦ ح ١، أعلام الوري: ص ٤٣٥ الركن ٤ ق ٢ ب ٢ ف ٢، إلزام الناصب: ج ١ ص ١٩٩.

الحتمية، وفي الحتمية أيضاً الأمر لله تعالى.

الرواية النقية

١٢. عن أبي دلف، قال: سمعت علي بن محمد - الهادي - عليه السلام يقول: «إن الإمام بعدي الحسن ابني، وبعد الحسن ابنه القائم الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً»^(١).

قد ذكرنا في بعض كتبنا: إن القسط والعدل مما إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا، فلو اجتمعا أريد بالقسط ما يرتبط بالشؤون المادية، وبالعدل غيرها. ثم إن وجه تسمية الإمام عليه السلام بالقائم واضح، فإنه القائم بقول مطلق، يقوم برسالات الله، ويقوم بمواريث الأنبياء (على نبينا وآله وعليهم السلام) ومسئوليات الأوصياء، كما يقوم بثأرهم وينتصر لهم، ويقوم بإحياء الأرض بعد موتها... إلى غير ذلك.

(١) إكمال الدين: ج ٢ ص ٣٨٣ ب ٣٧ ح ١٠.

الرواية العسكرية

١٣. عن عيسى بن صبيح، قال: دخل الحسن العسكري عليه السلام الحبس^(١) وكنت به عارفاً. فقال لي: «لك خمس وستون سنة وشهر ويومان»، وكان معي كتاب دعاء عليه تاريخ مولدي، وإني نظرت فيه، فكان كما قال.

وقال عليه السلام: «هل رزقت ولداً؟». فقلت: لا. فقال: «اللهم ارزقه ولداً يكون له عضداً، فنعم العضد الولد»، ثم تمثل عليه السلام:
 مَنْ كَانَ ذَا وَلِدٍ يُدْرِكُ ظِلَامَتَهُ إِنْ الذَّلِيلَ الَّذِي لَيْسَتْ لَهُ عَضُدٌ
 قلت: ألك ولد؟.

قال عليه السلام: «إني والله، سيكون لي ولدٌ يملأ الأرض قسطاً، فأما الآن فلا - ثم تمثل عليه السلام -
 لَعَلَّكَ يَوْمًا أَنْ تَرَاني كَأَنَّمَا بَنِيَّ حِوَالِيَّ الْأَسْوَدُ اللَّوَابِدُ
 فَإِنَّ تَمِيمًا قَبْلَ أَنْ يَلِدَ الْحِصَا أَقَامَ زَمَانًا وَهُوَ فِي النَّاسِ وَاحِدٌ»^(٢)

روايات المخالفين

١٤. مضافاً إلى الروايات المتواترة عن رسول الله عليه السلام وآله الطاهرين عليهم السلام، هناك روايات عديدة رواها أبناء العامة في كتبهم المعتمدة عندهم، منها ما رووه بالتواتر أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتةً

(١) حيث كان الإمام عليه السلام مسجوناً في سجن العباسيين، وكان ذلك قبل ولادة الإمام الحجة عليه السلام بفترة.

(٢) كتاب الخرائج: ج ١ ص ٤٧٨ - ٤٧٩ ب ١٣، نور الأبصار: ص ١٦٧، كشف الغمة: ج ٢ ص ٥٠٣ ب ٢٥.

جاهلية»^(١).

وهي صريحة في وجود إمام لكل زمان، وتدلل على حياة الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف) في يومنا هذا، إذ لا يمكن أن تخلو الأرض من حجة منذ وفاة آخر الإمام العسكري عليه السلام حتى زمن الظهور. ثم لا يخفى أن الفرق بين الظلم والجور: أن الظلم على النفس، والجور على الغير، ولو أفرد كل واحد منهما كان أعم من كليهما.

(١) وقد رواها ينابيع المودة: ج ١ ص ٣٥١ ب ٣٨ ح ٥، ج ٣ ص ٣٧٢ ب ٩١ ح ٣، ج ٣ ص ٤٥٥ ب ١٠٠ ح ١٦، الملاحم والفتن: ص ٣٢٧ ب ٢٩ ح ٤٧٥، كشف الغمة: ج ٢ ص ٥٢٨ ب ٢ ف ٣، الكافي: ج ١ ص ٣٧٧ باب من مات وليس له إمام من أئمة الهدى ح ٣، إلزام الناصب: ج ١ ص ١٦٦. يقول آية الله السيد كاظم القزويني رحمته الله في كتابه "الإمام المهدي عليه السلام من المهد إلى الظهور" ص ٣٠ - ٣١ ما نصه: «وأما الأحاديث الواردة في كتب أهل السنة حول الأئمة الاثني عشر، فهي تختلف من حيث الإجمال والتفصيل، فهناك الأحاديث التي تكتفي بذكر العدد فقط بدون ذكر أسماء الأئمة وتعيين أشخاصهم، وهناك الأحاديث التي تصرح بالعدد والأسماء، وبعض تلك الأحاديث تصرح بالإمام المهدي عليه السلام، وأنه الإمام الثاني عشر من أئمة أهل البيت عليهم السلام، وخلاصة القول: إن تلك الأحاديث يفسر بعضها بعضاً. ومن الحق والصواب أن نقول إن تلك الأحاديث قد تجاوزت حد التواتر بحيث لا يبقى هناك مجال ولا موضوع للمناقشة.

هذا وقد ذكر آية الله العظمى السيد صادق الشيرازي رحمته الله في كتابه "المهدي عليه السلام في السنة" مجموعة كثيرة من الأحاديث عن مصادر العامة التي تتعلق بالإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف). كما ذكر آية الله السيد كاظم القزويني رحمته الله في كتابه "الإمام المهدي عليه السلام من المهد إلى الظهور" ص ٦ - ٨ خمسين مصدراً من مصادر العامة.

المستقبل في عصر الظهور

مسألة: الحياة المستقبلية في زمان الإمام المهدي (عجل الله فرجه الشريف) هي أفضل حياة يشهدها البشر في هذه الدنيا في مختلف المجالات، ويمكن البحث فيها من الجوانب التالية: السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية والعمرانية والتجارية والأمنية والقضائية والثقافية والحضارية وغيرها.

ويظهر من الأخبار أن كل ذلك يكون في القمة، بل فوق ما يتمناه الإنسان، ولا يجده قبل ظهوره، كما تتميز بالشمولية على كل المعمورة.

الأول: الحياة السياسية

الحياة السياسية تكون بأدق وأشمل معاني العدل والحرية والتقدم، فإن الإمام عليه السلام معصوم ومؤيد بروح القدس، فيطبق العدل والقسط بأدق تطبيقاته؛ ذلك لأن المعصوم لا يُخطئ ولا يعصي، لا عمداً ولا سهواً ولا نسياناً ولا غفلةً حتى بقدر شعرة.

وحيث إنه عليه السلام هو المسيطر على الأرض، وأصحابه الحكام ومن إليهم في غاية النزاهة، لا يكون أي ظلم أو عدوان أو انحراف.

والمستظهر من الروايات أنه سيكون - بمشيئة الله تعالى - أشمل وأتم مما كان ذلك في زمن حكومة الأنبياء إلى نبينا محمد (صلوات الله عليه وعلى آله وعليهم أجمعين).

ومنهم النبي يوسف عليه السلام، حيث كان نبياً وحاكماً، وكان في غاية العدل، ولما حضرته الوفاة جمع أركان حكومته، وقال لهم ما مضمونه:

(إنكم رأيتم سيرتي ، ولكن سيأتي بعدي رجل ليس مثلي في العدالة ونشر العدل وإن كان صالحاً ، ويأتي بعده من هو أقل عدلاً منه ، ويأتي بعده من ليس على شاكلته ، ويأتي بعده من يميل إلى الظلم والباطل ، ويأتي بعده من ليس يظلم الناس بعض الظلم ، ويأتي بعده من يقول : أنا ربكم الأعلى ، وحين ذاك انتظروا الفرج)^(١).

أقول : حدث ذلك في أيام فرعون ، والفرج حصل على يد موسى عليه السلام. وكان موسى عليه السلام كالنبي يوسف عليه السلام في غاية النزاهة ، لأنه كان نبياً ومؤيداً بروح القدس ، وحكم مصر بعد فرعون بواسطة أعوانه لما غرق فرعون وجمعه ، وإن لم يرجع موسى عليه السلام بنفسه إلى مصر ، بل بقي بقصد دخول الأرض المقدسة.

وفي بعض التفاسير أن في زمان يوسف عليه السلام وجد أصحاب البساتين في الطريق بين مصر وكنعان - حيث مسكن يعقوب عليه السلام - القوافل وقد سدت أفواه خيولها بخرق ونحوها ، فتعجبوا من ذلك ، فتبين أن يوسف عليه السلام أمر بذلك حتى لا تأكل الخيول من أشجار الناس على حافتي الطريق.

ولا يخفى أنه لا يستبعد جواز ذلك في شريعتنا ؛ لأنه ملحق بحق المارة على سبيل الملاك الأولوي ، حيث يجوز للإنسان العاقل حق المارة في الجملة ، فكيف بالدابة غير العاقلة؟! وإن لم أجد من ذكره من فقهاءنا.

وعلى أي ، فإنه وإن جاز ذلك فرضاً ، لكن الأفضل الاحتياط والترك ، كما ذكره الفقهاء في حق المارة.

وكذلك سيكون في زمن ظهور الإمام المنتظر عليه السلام ، العدل والإيمان ، والالتزام بطاعة الله تعالى ، والعمل بقوانينه أتم وأشمل وأكمل ، مما كان في زمن

(١) قصص الأنبياء للجزائري : ص ٢٢٣ - ٢٢٤ ب ١٢ ف ٢.

الإمام أمير المؤمنين عليه السلام؛ وذلك لأن الله سبحانه وتعالى أراد أن تكون الأرض يومئذ غير الأرض^(١)، وأن تشرق الأرض بنور ربها^(٢).

فيكون التدخل الغيبي مشهوداً في حركة الإمام المهدي (عجل الله فرجه الشريف)، سواء في القضاء على الأعداء بخسف، أم في غير ذلك، حتى في طريقة إدارة الحكم.

ولذا نجد الروايات تتحدث عن الحكام في زمن الإمام المهدي (عجل الله فرجه الشريف)، فهم يحكمون بما يرونه على أكفهم من الأجوبة الصحيحة لكل معضلة معضلة، ومسألة مسألة، وقضاء قضاء، وهم بالإضافة إلى كونهم في غاية النزاهة، يكونون تحت رقابة وسيطرة الإمام المهدي (عجل الله فرجه الشريف).

فعن الإمام الصادق عليه السلام، قال: «إذا قام القائم عليه السلام بعث في أقاليم الأرض في كل إقليم رجلاً - إلى أن قال - يقول الإمام عليه السلام: عهدك في كفك، فإذا ورد عليك أمر لا تفهمه ولا تعرف القضاء فيه، فانظر إلى كفك واعمل بما فيها»^(٣).

أقول: ولا يبعد أن يكون ذلك على سبيل الإعجاز، ولعله الأظهر، وإن احتمل أن يكون بواسطة حصول تقدم علمي بتدبير الإمام (صلوات الله عليه) بنفسه، أو ما أشبه ذلك.

وعلى أي حال: فالإمام عليه السلام يكون على اتصال دائم مع الحكام الذين نصبهم في كل قطر قطر، ومصر مصر. فمصر إقليم، والشام إقليم، واليمن إقليم، إلى غير ذلك، كما يجده من أراده في كتاب "مجمع البحرين"

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ﴾ سورة إبراهيم: ٤٨.

(٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ سورة الزمر: ٦٩.

(٣) كتاب الغيبة للنعماني: ص ٣١٩ ب ٢١ ح ٨.

وغيره^(١)، وليس المراد الأقاليم المصطلحة في علم الفلك، مما وزعه الفلكيون إلى سبعة أقاليم.

فكل ما طبقه الرسول الأكرم ﷺ والإمام أمير المؤمنين عليه السلام في مختلف الأبعاد يطبقه الإمام المهدي (عجل الله فرجه الشريف) بإضافة الأحكام الغيبية، حيث لا يطلب الشهود كما في الأحاديث^(٢).

وسيكون الخير أكثر مما يتوقعه البشر، كما ورد أيضاً في الأحاديث، فإن الأرض تصبح غير الأرض وتقذف بخيراتها. والإمام (عجل الله فرجه الشريف) يضع يده المباركة، أو يده المعنوية على العقول فتكمل، فلا ظلم ولا عدوان ولا انحراف ولا تنازع ولا تهاتر، ولا ما أشبه^(٣).

(١) كما في القاموس ولسان العرب.

(٢) ومن تلك الأحاديث: قال الإمام الباقر عليه السلام: «إذا قام قائم آل محمد، حكم بحكم داود ولا يسأل البينة»، كتاب وسائل الشيعة: ج ٢٧ ص ٢٣٠ ب ١ ح ٣٣٦٦٠. وقال الإمام الصادق عليه السلام: «لا تذهب الدنيا حتى يخرج رجل مني يحكم بحكومة آل داود، ولا يسأل البينة، يعطي كل نفس حقها»، بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٣٢٠ ب ٢٧ ح ٢٢. وقال عليه السلام في حديث آخر: «إذا قام قائم آل محمد حكم بين الناس بحكم داود، لا يحتاج إلى بينة، يلهمه الله تعالى، فيحكم بعلمه، ويخبر كل قوم بما استنبطوه»، بحار الأنوار: ج ٥٢ ص ٣٣٩ ب ٢٧ ح ٨٦.

(٣) قال الإمام علي عليه السلام: قال رسول الله ﷺ: «تنعم أمتي نعمة لم يتنعموا مثلها قط، ترسل السماء عليهم مدراراً، ولا تدع الأرض شيئاً من نباتها إلا أخرجته»، المعجم الأكبر للطبراني، عقد الدرر ليويسف بن يحيى الشافعي / الباب السابع.

وفي حديث آخر: «يخرج المهدي، يسقيه الله الغيث، وتخرج الأرض نباتها، ويعطي المال صحاحاً، وتكثر الماشية وتعظم الأمة»، عقد الدرر ليويسف بن يحيى البحراني: ص ١٤٤ ب ٧.

وقال الإمام علي عليه السلام: «ويزرع الإنسان مداً يخرج له سبعمائة مد، كما قال الله تعالى: ﴿كَمْثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِثَّةٌ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ سورة البقرة: الآية ٢٦١»، عقد الدرر: ص ٢٠٠ ب ٩.

الثاني: الحياة الاقتصادية

إن الأدلة تدل على أنه سيكون في حكومة الإمام عليه السلام العادلة، التقدم الاقتصادي والعمران الزاهر في أتم صورته وأرقى وجوهه، وربما يكون ذلك ببناء جسور أكثر تطوراً، وسدود كذلك وما أشبهه، وتوسيع للشوارع وسائر الطرق. وكذلك بالنسبة إلى المصانع والمعامل، وكل ما يحتاجه البشر في عيشه.

أما ما ورد في بعض الروايات من: «أنه (عجل الله فرجه الشريف) يوسع الشارع ستين ذراعاً»^(١)، فإنه من باب المثال، مثل قول: ﴿سَبْعِينَ﴾ في القرآن حيث يقول الله سبحانه: ﴿إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾^(٢)، وهكذا بالنسبة إلى شق الأنهار والتّرع، ونصب المطاحن، وما أشبه ذلك.

وإنما قلنا: (نصب المطاحن) للإشارة إلى أن الحضارة كما ستكون في غاية التطور، تكون طبيعية أيضاً، وذلك في كل ما يشكل عودة صحيحة لأحضان الطبيعة.

وفي حكومة الإمام (عجل الله فرجه الشريف) يُسمح لجميع الناس إحياء الأراضي، كما قال عليه السلام: «الأرض لله ولن عمّرها»^(٣).

وكذلك الاستفادة من كل مباحات الأرض، مما خلقه الله تعالى، كما في الحديث: «من سبق إلى ما لا يسبقه إليه المسلم فهو أحق به»^(٤).

(١) بحار الأنوار: ج ١٠١ ص ٢٥٤ ب ٢ ح ٦.

(٢) سورة التوبة: ٨٠.

(٣) وسائل الشيعة: ج ٢٥ ص ٤١٤ ب ٣ ح ٢، الكافي: ج ٥ ص ٢٧٩ باب في إحياء أرض الموات ح ٢، الاستبصار: ج ٣ ص ١٠٨ ب ٧٢ ح ٣.

(٤) وسائل الشيعة: ج ١٧ ص ٤٠٥ ب ١٧، غوالي اللآلئ: ج ٣ ص ٤٨٠ باب إحياء الموات ح ٤، كما ورد: «من سبق إلى ما لم يسبق إليه أحد فهو أحق به».

وبذلك تتوفر كل الحريات للناس في حكومة الإمام (عجل الله فرجه الشريف)، فلا كبت ولا إرهاب ولا تعذيب، ولا غير ذلك من المضيقات، باستثناء المحرمات الشرعية وهي قليلة جداً، ولاحقاً لأحد في ارتكابها، والناس طبيعياً لا يرتكبونها لكمال عقولهم وإدراكهم قبحها، خاصةً مع التقدم العلمي الباهر الذي يتحقق في ذلك العصر.

وحيث تكون القيم الإنسانية حاکمة، وحيث يكون المال متوفراً، فإن الاقتصاد سيصل إلى أرفع مستواه، فلا حرص ولا جشع، ولا استغلال ولا استعمار، ولا كبت ولا منع، ولا قيود ولا أغلال.

فالإنسان ينتفع بما أحلّه الله له من خيرات الأرض والسماء، والإنسان حرّ في العمل، كما أن الأرض لله ولمن عمّرها^(١)، واستثمار المواهب والطاقات ممكن، وإفساح المجال للأيدي العاملة في كل الحقول موجود، وقد ورد في الحديث: «دعوا الناس يرزق بعضها بعضاً»^(٢)، والخيرات والبركات تنهمر على الناس وتشمل الطبقات المختلفة، ويكون تطبيق كامل لقوله عزّ وجل: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾^(٣).

فالأغلال تُرفع بسبب سمو القيم والمبادئ في الأنفس، والإصر مرفوعة بعدم وجود القوانين الوضعية المناهية للعقل والفترة والشريعة، ولذا لا تجد في حكومة الإمام (عجل الله فرجه الشريف) المستقبلية فتاةً غير متزوجة، ولا شاباً غير متزوج، ولا فقيراً، ولا مسكيناً، ولا بائساً، ولا ما أشبه ذلك.

(١) إشارة إلى الحديث الوارد: «الأرض لله ولمن عمّرها»، الكافي: ج ٥ ص ٢٧٩ باب في إحياء

أرض الموت ح ٢، الاستبصار: ج ٣ ص ١٠٨ ب ٧٢ ح ٣.

(٢) وسائل الشيعة: ج ١٧ ص ٤٤٥ ب ٣٧ ح ٢٢٩٥٧.

(٣) سورة الأعراف: ١٥٧.

وفي رواية وردت من طرق العامة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أبشروا بالمهدي - إلى أن قال - ويقسم المال صحاحاً بالسوية، ويملاً قلوب أمة محمد ﷺ غنى، ويسعهم عدله. حتى إنه يأمر منادياً ينادي: من له حاجة إليّ، فما يأتيه أحد إلا رجل واحد يأتيه فيسأله، فيقول له المهدي (عجل الله فرجه الشريف): أتت السادن حتى يعطيك. فيأتيه، فيقول: أنا رسول المهدي إليك، لتعطيني مالاً. فيقول: أحت. فيحني مالاً لا يستطيع أن يحمله، فيلقي منه حتى يكون قدر ما يستطيع أن يحمله، فيخرج به فيندم، ويقول: أنا كنت أجشع أمة محمد نفساً، كلهم دُعي إلى هذا المال فتركه غيري، فيردّ عليه، فيقول السادن: إننا لا نقبل شيئاً أعطينا»^(١).

وفي رواية أخرى عن رسول الله ﷺ، أنه قال: «فيجيء إليه الرجل فيقول: يا مهدي، أعطني، أعطني. فيحني له في ثوبه ما استطاع أن يحمله»^(٢).

أقول: أما في الوقت الراهن فنجد الاقتصاد منحرفاً، وانحرافه يرجع إلى عدة أسباب منها:

١: تفشي الكسل والعجز والبطالة عند كثير من الناس، فيتقاعسون عن ممارسة أي نشاط اقتصادي.

٢: وجود الاستعمار والاستغلال في أقصى درجاتهما.

٣: وجود القوانين الكابتة للحريات، فترى أنشطة الزراعة والصناعة والتجارة والسفر والإقامة وكل شيء، بحاجة إلى الإجازة والرخصة والضريبة وما أشبه ذلك، ولهذا نرى الأموال تجتمع في جيوب حفنة من الأغنياء في حين أن جيوشاً من الفقراء يشدون حجر المجاعة على بطونهم.

(١) الصواعق المحرقة لابن حجر العسقلاني: ص ١٠٢.

(٢) بحار الأنوار: ج ٥١ ص ١٠٤ ب ١ ضمن ح ٣٩، كشف الغمّة: ج ٢ ص ٤٧٨ ب ٦.

ولهذا نرى تفاوت النسب في الدخل ، ففي بعض الدول يصل دخل الفرد لليوم الواحد خمسين دولاراً أو أكثر، بينما في دول أخرى يصل إلى أقل من دولار.

الثالث: الحياة الاجتماعية

من بديهيات الأمور: ارتباط السياسة بشؤون الدولة ، والاقتصاد بشؤون المال ، والاجتماع بما يحتاج إليه المجتمع من آلات وأدوات وخدمات وعلاقات. ومن البديهيات أيضاً أن كل حضارة لها ركيزتان:

١. ركيزة القيم.
٢. ركيزة الآلات والأدوات.

والركيزة الأولى حاکمة على الثانية، بمعنى أنه كيفما تكون القيم تتبعها الآلات والأدوات، وهنا يكمن بعض السر في ظلم دول وعدم ظلم أخرى. فالذرة - مثلاً - والتي هي عبارة عن جوهر وآلة، تتبع القيم التي تكمن في داخل الإنسان، فإذا كانت القيم عند الإنسان إيجابية فستستخدم الذرة في النشاط السلمي، وإذا كانت القيم سلبية فستستخدم الذرة في الحروب والصراعات، وهكذا دأب الحديد الذي يُصنع منه السكنين، فستستخدم لقضاء حوائج الناس أو القتل والجرح.

والمجتمع في أيام الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف) يكون من أفضل المجتمعات ومن أرفهها؛ لأن القيم تسمو فيه إلى غاية ما يصبو إليه الإنسان من الألفة والمحبة والإيمان والتعاون والصدق والأمانة والإخلاص والتقدم نحو الأحسن، والآلة تكون عنده متطورة نتيجة تطور العلم، وإطلاق الحريات، ووفرة المواد الأولية، وما أشبه.

والحاصل: إن الإنسان يحاول الوصول إلى الكمال الممكن بالنسبة إليه، من خلال إرادة الحضارة التي هي نزوع إلى تغيير الطبيعة إلى ما يلائم الإنسانية، وكلا الأمرين في زمانه (عجل الله تعالى فرجه الشريف) يكون على نحو أتم وأكمل، فيكون المجتمع متفوقاً ومتقدماً ومتكاملاً.

الرابع: الحياة الدينية

وهي سلوك الإنسان في نيته وقوله وعمله وفقاً للشريعة، بحيث تتلاءم حياته العاجلة مع حياته الآجلة، كما قال سبحانه: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ * أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا﴾^(١).

فإن الإنسان الذي يريد السعادة في الحياتين، يكون له النصيب الذي قرره له الله تعالى في الحياتين. أما من لا يريد أياً من الحياتين، فليس له نصيب لا من الدنيا ولا من الآخرة، كما أنه من ليست له إرادة في الحياة الدنيا أو الحياة الآخرة لا يكون له نصيب منها، وقد ورد في الحديث: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَرَكَ دُنْيَاهُ لِآخِرَتِهِ، وَلَا آخِرَتَهُ لِدُنْيَاهُ»^(٢).

وإذا فكرنا في أن هذه الأجهزة الغريبة في داخل الإنسان، والتي لم يكشف العلم عنها إلى اليوم مع كثرة التحقيقات والتدقيقات والوسائل، يعرف أن الأمر بالنسبة إلى النفس الإنسانية التي هي مجهولة تماماً أصعب والبون أكبر، وهكذا بالنسبة إلى عقل الإنسان وروحه وسائر صفاته النفسية كالغضب والحسد والجهل والعلم وما أشبه ذلك؛ ثم بعد ملاحظة دقتها وتعقيدها وتطورها البالغ، نعرف أنها بأجمعها لا يُعقل أن تكون قد خلقت لهذه المدة القصيرة في الحياة الدنيا من

(١) سورة البقرة: ٢٠١-٢٠٢.

(٢) وسائل الشيعة: ج ١٧ ص ٧٦ ب ٢٨ ح ٢٢٠٢٥.

خمسين سنة إلى مائة سنة مثلاً.

إذ من المحال من الحكيم الخالق لهذه الكيفية المعقدة جداً والمتطورة جداً، أن يُبطل هذا الخلق السليم بمجرد الموت، فلا بد وأن تكون هناك بعد الموت أيضاً حياة أرقى من هذه الحياة في جهة الارتفاع، وأسفل من هذه الحياة في جهة الانحطاط.

كما قال سبحانه بالنسبة إلى الأرقى: ﴿إِنَّ كِتَابَ الْأَنْبِرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾^(١)، وبالنسبة إلى الأسفل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾^(٢)، وقال عز وجل: ﴿إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سَجِّينٍ﴾^(٣).

فإذا سلك الإنسان ذلك السلوك الذي يلائم حياته الأخرى أيضاً، يكون هذا الإنسان قد جمع الحسنين، وعاش حياة دينية طيبة مقررة من قبله سبحانه، قال تعالى: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾^(٤).

وحيث يكمل عقل الإنسان في زمان الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف)، تكون حياته الدينية على خير مرام، مما يهيئه للمراتب العالية في الحياة الثانية، ولذا لا يوجد في دولة الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف) إلا المتدينون؛ فلا فساق ولا كفار ولا منافقين ولا عصاة؛ كما دلّت على ذلك الأدلة الشرعية، قال تعالى: ﴿يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾^(٥).

ومن الواضح أن الشرك الخفي والجلي كليهما شرك، ومنفي في ذلك الحين، ومعنى أنهم لا يشركون بي شيئاً، مطلق الشرك سواء في العقيدة أو في العمل،

(١) سورة المطففين: ١٨.

(٢) سورة التين: ٥.

(٣) سورة المطففين: ٧.

(٤) سورة النحل: ٩٧.

(٥) سورة النور: ٥٥.

فلا رياء ولا سمعة ولا ما أشبه.

فعن الإمام الباقر عليه السلام بالنسبة إلى زمان الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف)، قال: «تؤتون الحكمة في زمانه، حتى إن المرأة لتقضي في بيتها بكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وآله»^(١).

ولا يخفى أن هذا الحديث يدل على جواز قضاء المرأة، على اختلاف الفقهاء في ذلك، وإن كان المشهور عدم الجواز، وحيث إننا لسنا بصدد هذا البحث نتركه لموضعه^(٢).

وورد عن أمير المؤمنين عليه السلام - في حديثه عن عصر الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف) - قال: «ويهلك الأشرار ويبقى الأخيار، ولا يبقى من يبغض أهل البيت عليهم السلام»^(٣).

وفي حديث آخر قال عليه السلام: «ولا يترك بدعةً إلا أزالها، ولا سنةً إلا أقامها»^(٤).

حتى أن أحد العامة قال بالنسبة إلى الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف):
يُظهر من الدين ما هو الدين عليه في نفسه، ما لو كان رسول الله صلى الله عليه وآله حياً
لحكم به، ويرفع المذاهب من الأرض فلا يبقى إلا الدين الخالص^(٥).

وعلى أي حال: فيكون الناس في زمانه (عجل الله تعالى فرجه الشريف) ملتزمين بالآداب الدينية والتعاليم الشرعية أشد الالتزام، والعمل حينذاك يكون وفق كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله، ولا انحراف عنهما من قبل أي أحد حتى قيد

(١) الغيبة للنعماني: ص ٢٣٩ ب ١٣ ح ٣٠، بحار الأنوار: ج ٥٢ ص ٣٥٢ ب ٢٧ ح ١٠٦.

(٢) راجع موسوعة الفقه: ج ٨٤ - ٨٥ كتاب القضاء، للإمام المؤلف تتمة.

(٣) عقد الدرر ليوسف بن يحيى الشافعي: ص ١٥٩ ب ٧.

(٤) عقد الدرر ليوسف بن يحيى الشافعي: ص ٢٢٤ ب ٩.

(٥) الفتوحات المكية: ج ٣ ص ٣٢٧ ب ٣٦٦.

شعرة ، فليست الشريعة جديدة ، ولا دين يناقض الدين الإسلامي الحالي ، أو يحلُّ ما يحرمه الله أو يحرم ما أحلّه الله .

أما ما ورد (أنه ﷺ يأتي بدين جديد)^(١) ، فالمراد أنه جديد عند الناس ، فإن القوانين والأعراف والعادات المتفشية في المجتمع المنحرفة ، تتبدل إلى الطريق المستقيم والصرط السوي ، ولهذا يرون الناس أنه أتى بدين جديد .

نعم ، ربما يستفاد من بعض الأحاديث أن هذه الحالة لا تستمر إلى قيام الساعة ، فقد تكون قبل قيام الساعة انحرافات عن الدين مرة ثانية ، وعليه تقوم القيامة ، والله العالم .

الخامس: الحياة العمرانية

إن العمارة تكون في زمن الإمام المهدي (عجل الله فرجه الشريف) على أكملها ؛ لأن :

- ١ : الحريات متاحة .
- ٢ : والعلم في أكمل مراحل .
- ٣ : والمال متوقّر .
- ٤ : والحديث المروي عن النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) : «الأرض لله ولمن عمّرها»^(٢) مطبّق ، فإنه (عجل الله فرجه الشريف) يطبّق القرآن والسنة .
- ٥ : واحتياج الإنسان إلى المسكن والمتجر والمرافق العامة وغيرها موجود ، فلماذا لا تكون العمارة؟!

وبنظرة موجزة إلى تاريخ النبي الأعظم ﷺ والمعصومين عليه السلام ، سنعرف

(١) الإرشاد: ج ٢ ص ٣٨٤ باب ذكر علامات قيام القائم ﷺ .

(٢) الكافي: ج ٥ ص ٢٧٩ باب في إحياء أرض الموت ح ٢ ، الاستبصار: ج ٣ ص ١٠٨ ب ٧٢ ح ٣ ،

وسائل الشيعة: ج ٢٥ ص ٤١٤ ب ٣ ح ٢ .

المستقبل في عهد الظهور أكثر، فإنه قد ورد في التاريخ أن رسول الله ﷺ لما قال: «الأرض لله ولمن عمَّرها»^(١) خرج أهل المدينة جميعاً عن بكرة أبيهم إلى خارج المدينة يزرعون الأراضي، ويشقون الترع، وينون الدور، ويضعون الرحي، مما تسبب في توسع المدينة توسعاً اقتصادياً وعمانياً.

وقد فرح المسلمون بقول رسول الله ﷺ أيما فرح؛ لأنه قبل حكومة الرسول ﷺ كانت الأرض للحكام أو لشيوخ العشائر أو من أشبههم ذلك، وهم يمنعون من الزراعة والعمارة وما أشبه إلا بمالٍ ونحو ذلك.

كما أننا نشاهد في زمان الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام أن الكوفة اتسعت إلى عشرة فراسخ طويلاً، أما العرض فلم يذكره المؤرخون حتى نعرف، لكن مقتضى القاعدة أن يكون العرض مما يتناسب مع الطول، وقد كان المسجد المبارك في وسط هذه المدينة الواسعة، وذلك رغم أن عمر الكوفة كان قصيراً جداً، إذ أنها أُحدثت في زمن الثاني في قصة مشهورة^(٢).

وكان الإمام علي عليه السلام قد بنى في الكوفة دكاكين، ودفعها مجاناً وبدون إيجار للناس^(٣)، فإنه من الواضح أنه إذا استأجر الإنسان الدكان أضاف إيجاره على قيمة السلع والبضائع، مما يسبب الغلاء.

وإني أذكر في فترة ما قبل الحرب العالمية الثانية كانت الأرض هكذا، فقد بُنيت في النجف الأشرف منطقة (الجديدة)، وفي كربلاء المقدسة منطقة (السعدية)، وهما محلتان في البلدين بدون شراء الأرض، اللهم إلا في بعض نواحي (محلة السعدية) حيث اشترت بمبالغ زهيدة جداً، إذ كان كل متر بأربعة

(١) وسائل الشيعة: ج ٢٥ ص ٤١٤ ب ٣ ح ٢، الكافي: ج ٥ ص ٢٧٩ باب في إحياء أرض الموت ح ٢، الاستبصار: ج ٣ ص ١٠٨ ب ٧٢ ح ٣.

(٢) وقد استحدثها عمر عندما جعلها منفياً لأنصار ومجبي الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

(٣) وكذلك كان كل إنسان يملك لنفسه داراً مستقلة، انظر كتاب "الغارات".

فلوس ، وأربعة فلوس قوتها الشرائية تعادل قيمة شراء كيلو واحد من الطحين.

فقد أوصى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في عهده إلى مالك الأشتر بعمارة الأرض حيث قال عليه السلام: «وَتَفَقَّدَ أَمْرَ الْخَرَاجِ بِمَا يُصْلِحُ أَهْلَهُ، فَإِنَّ فِي صَلَاحِهِ وَصَلَاحِهِمْ صَلَاحاً لِمَنْ سِوَاهُمْ، وَلَا صَلَاحَ لِمَنْ سِوَاهُمْ إِلَّا بِهِمْ، لِأَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ عِيَالٌ عَلَى الْخَرَاجِ وَأَهْلِهِ، وَلِيَكُنْ نَظْرُكَ فِي عِمَارَةِ الْأَرْضِ أَبْلَغَ مِنْ نَظْرِكَ فِي اسْتِجْلَابِ الْخَرَاجِ، لِأَنَّ ذَلِكَ لَا يُذْرِكُ إِلَّا بِالْعِمَارَةِ، وَمَنْ طَلَبَ الْخَرَاجَ بِغَيْرِ عِمَارَةٍ أَخْرَبَ الْبِلَادَ وَأَهْلَكَ الْعِبَادَ وَلَمْ يَسْتَقِمْ أَمْرُهُ إِلَّا قَلِيلاً، فَإِنْ شَكُوا ثِقَلًا أَوْ عِلَّةً أَوْ انْقِطَاعَ شَرْبٍ أَوْ بَالَةً أَوْ إِحَالَةَ أَرْضٍ اعْتَمَرَهَا عَرَقٌ أَوْ أَجْحَفَ بِهَا عَطَشٌ حَقَّقَتْ عَنْهُمْ بِمَا تَرَجُّو أَنْ يُصْلِحَ بِهِ أَمْرَهُمْ، وَلَا يَتَّقَلْنَ عَلَيْكَ شَيْءٌ حَقَّقَتْ بِهِ الْمَوْؤَنَةَ عَنْهُمْ فَإِنَّهُ دُخْرٌ يَعُودُونَ بِهِ عَلَيْكَ فِي عِمَارَةِ بِلَادِكَ وَتَزْيِينِ وَلايَتِكَ مَعَ اسْتِجْلَابِكَ حُسْنِ تَنَائِهِمْ وَتَبَجُّحِكَ بِاسْتِيفَاضَةِ الْعَدْلِ فِيهِمْ مُعْتَمِداً فَضَّلْ قُوتَهُمْ بِمَا نَحَرْتِ عَنْهُمْ مِنْ إِجْمَامِكَ لَهُمْ وَالثِّقَّةِ مِنْهُمْ بِمَا عَوَّدْتَهُمْ مِنْ عَدْلِكَ عَلَيْهِمْ وَرَفَقِكَ بِهِمْ فَرَبِّمَا حَدَّثَ مِنَ الْأُمُورِ مَا إِذَا عَوَّلْتَ فِيهِ عَلَيْهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا اخْتَمَلُوهُ طَيِّبَةً أَنْفُسَهُمْ بِهِ فَإِنَّ الْعُمَرَانَ مُحْتَمِلٌ مَا حَمَلْتَهُ وَإِنَّمَا يُؤْتَى خَرَابُ الْأَرْضِ مِنْ إِعْوَارِ أَهْلِهَا وَإِنَّمَا يُعَوِّرُ أَهْلُهَا لِإِسْرَافِ أَنْفُسِ الْوُلَاةِ عَلَى الْجَمْعِ وَسُوءِ ظَنِّهِمْ بِالْبِقَاءِ وَقِلَّةِ انْتِفَاعِهِمْ بِالْعِبَرِ»^(١).

كما أنه في دولة الإمام المهدي (عجل الله فرجه الشريف) تتصل بيوت الكوفة بكربلاء المقدسة ، فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «إذا قام قائم آل محمد ... اتصلت بيوت الكوفة بنهر كربلاء»^(٢) ، مما قد يستكشف منه مدى التوسع وال عمران في ذلك الزمان.

كما أنه يظهر من التواريخ أن بغداد وصلت سعتها في زمن الأئمة الطاهرين عليهم السلام إلى أربعة وعشرين فرسخاً ، بينما بنيت بغداد في زمن الإمام الصادق عليه السلام.

(١) نهج البلاغة ، الرسائل : رقم ٥٣ ومن كتاب له عليه السلام كتبه للأشتر النخعي لما ولاه على مصر وأعمالها.

(٢) بحار الأنوار : ج ٥٢ ص ٣٣٧ ب ٢٧ ح ٧٦.

السادس: الحياة التجارية

ستكون التجارة في عهد الإمام المنتظر (عجل الله فرجه الشريف) مزدهرة إلى أقصى ما يمكن ، وذلك حيث :

١ : إن التجارة حرة .

٢ : وإنه لا وجود للحدود الجغرافية المصطنعة ، المانعة لسفر الإنسان إلى المقصد الذي يريده لتجارته وزيادة أمواله ، فما يسمى بالعملة اليوم ، متحقق بدون شوائبه ونواقصه .

٣ : وإن الإسلام يحرص على التجارة ، فقد ورد في الحديث : «نعم العون على الدين الغنى»^(١) ، وقال أمير المؤمنين عليه السلام في عهده لملك الأشر: «وَلَا قِوَامَ لَهُمْ جَمِيعاً إِلَّا بِالتَّجَارِ وَدَوِي الصَّنَاعَاتِ، فِيمَا يَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ مِنْ مَرَاقِفِهِمْ، وَيَقِيمُونَ مِنْ أَسْوَاقِهِمْ، وَيَكْفُونَهُمْ مِنَ التَّرْفُقِ بِأَيْدِيهِمْ مَا لَا يَبْلُغُهُ رِفْقُ غَيْرِهِمْ»^(٢).

ومن المعلوم أن التجارة تزدهر بهذه الأمور .

٤ : خصوصاً وإنه لا ضرائب في عهد الإمام المهدي (عجل الله فرجه الشريف) على التجار إلا : الخمس والزكاة فقط ، إذ الجزية لا وجود لها ، حيث الدين كله يكون لله ، فلا يبقى مخالف للإسلام حتى تؤخذ منه الجزية ، ومن المحتمل أن تُرفع أحكام أراضي المفتوحة عنوة فلا خراج .

إذن يتوفر المال أيما توفير .

٥ : بالإضافة إلى إطلاق مختلف الحريات في زمن ظهور الإمام المهدي (عجل الله فرجه الشريف) ، والتي تؤثر في ازدهار التجارة بشكل مباشر وغير مباشر ، إضافة

(١) الكافي: ج ٥ ص ٧١ باب الاستعانة بالدنيا على الآخرة ح ١ ، وفيه: «تقوى الله» بدل «الدين» .

(٢) نهج البلاغة ، الرسائل : رقم ٥٣ ومن كتاب له عليه السلام كتبه للأشتر النخعي لما ولاه على مصر وأعمالها .

إلى التأثير المباشر لحرية التجارة نفسها كما سبق.

٦ : ولعدم الزيادة في الموظفين التي تستنفذ الأموال اعتباطاً.

٧ : ولعدم وجود أسلحة فتاكة مثل ما نشاهده في زماننا والتي تستهلك أموالاً طائلة.

٨ : ولعدم الإسراف في المال في الكماليات والتجملات المبتذلة.

وهذه الأربعة الأخيرة، توفر سيولة مالية كبيرة جداً تستثمر في التجارة، إذ أن وجود الأسلحة وكثرة الموظفين والإسراف، يشكل عائقاً كبيراً وأخطاراً هائلة على التجارة.

وبذلك تكون الحياة التجارية في عهد الإمام (عجل الله فرجه الشريف) في قمة

ازدهارها.

السابع: الحياة الآمنة

وستكون الحياة آمنة بما للكلمة من معنى وإلى أبعد حد يتصور من الأمن، فإن الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف) يعيد سيرة الرسول الأعظم صلوات الله وسلامته عليه . ومن المعروف أن الرسول صلوات الله وسلامته عليه جاء بالأمن والأمان في دولته المباركة، فكان أصل الأمن والأمان مسيطراً حتى في ظروف الحرب، فإنه لم يُقتل في جميع الحروب التي أقاموها ضده من الطرفين، أكثر من ألف وأربعمائة، وهذا ما ذكره المؤرخون المكثرون، أما المقلون فذكروا ألفاً وثمانية فقط، وقد أشرنا إلى ذلك في بعض كتبنا^(١).

وكان ذلك بسبب حسن تخطيطه (صلوات الله عليه وعلى آله) لإدارة الحرب، بحيث يسقط أقل قدر ممكن من الضحايا من الطرفين.

وهكذا الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف)، فإن من المحتمل أن لا يزيد عدد القتلى من الطرفين على أكثر من خمسة آلاف وربما كان أقل؛ لأن الإمام يحارب لمدة ستة أشهر فقط، وتكون حروبه في مسافة ما بين مكة والكوفة فقط، ويكون السيف بمعناه الحقيقي الظاهر للكلمة هو الحاكم في القتل.

ومن الواضح أن السيف لا يقتل كثيراً خلال هذه المدة القليلة، وإنما يكون اللجوء إلى السيف؛ لأنه أعدل آلة ممكنة في الحرب، لا مثل وسائل الحروب الحديثة التي تحصد أرواح الناس جملةً واعتباطاً وبلا حساب.

وقد قال الإمام الباقر عليه السلام: «وأما شبهه من جدّه المصطفى صلوات الله وسلامته عليه: فخروجه بالسيف، وقتله أعداء الله وأعداء رسوله صلوات الله وسلامته عليه، والجبارين

(١) راجع كتاب "لماذا تأخر المسلمون؟"، و"الحكم في الإسلام"، و"إلى حكم الإسلام"، و"الوصول إلى حكومة واحدة إسلامية" للإمام المؤلف رحمته الله.

والطواغيت»^(١).

وفي خبر الإمام السجاد عليه السلام، أنه قال: «في القائم من سنن من الأنبياء - إلى أن قال - وأما من محمد صلى الله عليه وآله فالخروج بالسيف»^(٢).

وقال الإمام الباقر عليه السلام في حديث آخر: «في صاحب هذا الأمر أربع سنن من أربعة أنبياء - إلى أن قال - وأما سنته من محمد صلى الله عليه وآله فالسيف»^(٣).

وعن الإمام الصادق عليه السلام، قال - في معنى قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْتَهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَذْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ﴾^(٤) -: «إن الأدنى بالقحط والجذب، والأكبر خروج القائم المهدي عليه السلام بالسيف في آخر الزمان»^(٥).

ولعل تسميته بالأكبر؛ لأنه من يقتل بسيف الإمام عليه السلام فإنه من أهل النار حتماً، ولعل من يقتل بسيفه أشد عذاباً ممن يقتل - من الكفار الحريين - بأي سبب كوني أو طبعي آخر.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام في حديثه عن الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف): «ولا يعطيهم إلا السيف هرجاً»^(٦)، ولعل المقصود بالهرج القتل؛ لأن في الحروب يقع الهرج.

أما تفسير السيف بمطلق القوة، لا خصوص السيف غير ظاهر؛ وذلك لأن صرفه عن معناه الظاهري يحتاج إلى قرينة وهي مفقودة في المقام، خصوصاً مع وجود بعض الروايات الدالة على حمله (عجل الله تعالى فرجه الشريف) لسيف الإمام

(١) بحار الأنوار: ج ٥١ ص ٢١٨ ب ١٣ ح ٦.

(٢) إكمال الدين، للصدوق: ج ١ ص ٣٢١ - ٣٢٢ ب ٣١ ح ٣.

(٣) الغيبة للطوسي: ص ٦٠ ف ١، ص ٤٢٤ ف ٧.

(٤) سورة السجدة: ٢١.

(٥) تأويل الآيات الظاهرة: ص ٤٣٧ سورة السجدة وما فيها من الآيات في الأئمة الهداة.

(٦) الغارات: ج ١ ص ٩.

أمير المؤمنين عليه السلام ذي الفقار.

هذا إضافة إلى أن الظاهر: إن غالب الأعداء يُسلمون ويسلمون لما يرون من الدلائل والبيّنات، وغيرهم يستسلم لما يملكه من الرعب، إذ ينصر مولانا (أرواحنا فداه) بالرعب، وهو من أسباب قلة القتلى جداً.

مضافاً إلى ظهور: «إنه عليه السلام يسير بسيرة جده صلى الله عليه وآله في ذلك.

وعلى أي حال: فلا يكون في دولته العادلة قتل بالرصاص، أو بالشنق، أو بالإعدامات الكهربائية أو الغازية، أو بالسّم، أو بالحرق، أو بالغرق، أو تحت التعذيب، أو ما أشبه ذلك، مما اعتادته الطغاة من المسلمين، ومن غير المسلمين.

هذا بالإضافة إلى أمن البلاد والصحارى وغيرها، فقد قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في وصف ذلك الزمان: «حتى تمشي المرأة بين العراق والشام، لا تضع قدميها إلاّ على النبات، وعلى رأسها زيتها لا يهيجها سبع ولا تخافه»^(١).

وقال الإمام الباقر عليه السلام - في حديثه عن الأمن والأمان في عصره (عجل الله تعالى فرجه الشريف) -: «وحتى تخرج العجوز الضعيفة من المشرق تريد المغرب، لا ينهأها أحد»^(٢).

وفي حديث آخر عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، قال: «لو قد قام قائمنا - إلى أن قال - ولذهبت الشحاء من قلوب العباد، واصطلحت السباع والبهائم»^(٣).

(١) بحار الأنوار: ج ٥٢ ص ٣١٩ ب ٢٧ ح ١١، الخصال: ص ٦٢٦ حديث الأربعمئة، تحف العقول: ص ١١٥ حديث الأربعمئة.

(٢) ينابيع المودة للقندوزي: ج ٣ ص ٢٤٠ ب ٧١ ح ١٨، تفسير العياشي: ج ٢ ص ٦١ في تفسير سورة الأنفال.

(٣) بحار الأنوار: ج ٥٢ ص ٣١٩ ب ٢٧ ح ١١، الخصال: ص ٦٢٦ حديث الأربعمئة، تحف العقول: ص ١١٥ حديث الأربعمئة.

وفي حديث آخر، قال عليه السلام: «وترعى الشاة والذئب في مكان واحد، ويلعب الصبيان بالحيات والعقارب لا يضرهم شيء، ويذهب الشر، ويبقى الخير»^(١).

أقول: وقد ذكرنا سابقاً أنّ في زمان الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف) تصبح الأرض كأنها غير الأرض، وتتغير جملة من القوانين الكونية بإذن الله سبحانه كما في الروايات.

وكما أنّ عالم الإنسان شيء، وعالم الشياطين والأجنة شيء، وعالم الحيوانات شيء، كذلك يكون عالم الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف) شيئاً آخر بين الدنيا الحاضرة وبين الجنة الموعودة في الآخرة، وتكون شبه الجنة، قال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾^(٢).

فيكون عصر الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف) عصر سلم وسلام، وأمن وأمان، وصفاء واصطفاء، وصلح واجتباء.

اللهم اجعلنا ممن تنتصر به لدينك قبل ظهوره، وفي زمان حضوره، واجعلنا من المستشهدين بين يديه.

(١) عقد الدرر: ص ١٥٩ ب ٧.

(٢) سورة الحجر: ٤٧.

الثامن: الحياة القضائية

وهنا سؤال قد يخطر على البال وهو: إنه إذا صفت النفوس عن الشحناء، وكملت العقول في زمنه (عجل الله تعالى فرجه الشريف)، فأين يقع موقع القضاء حيث لا نزاع ولا جدال، مع كمال العقول وسلامة النفوس؟!.

الجواب: إن للاختلاف أسباباً متعددة:

أ: قد يكون من تعمد الانحراف، كما في الدجالين وأشباههم.

ب: وقد يكون من جهة الجهل بالواقع الخارجي أو بالحكم أو ما أشبهه، فكل من المترافعين يزعم أن المال له، أو أن المرأة زوجته، لاشتباه الأمور الخارجية، وما أشبه ذلك.

ومثل هذا غير منفي في زمانه (عجل الله تعالى فرجه الشريف)، إذ لا دليل على أنه يرفع الجهل حينذاك مطلقاً وبمختلف أنواعه وعن جميع الناس، وإنما المرفوع العصيان والاعتداء العمدي.

ج: وقد يكون الاختلاف بسبب تضارب المصالح؛ مثلاً: شخص أصيب بداء شديد خطير كجلطة في القلب أو المخ أو حادث سيارة مثلاً، يضطره لطرق باب الطبيب المجاور لمنزله فوراً، والطبيب مرهق إلى أبعد الحدود نتيجة عمل شاق منذ أول النهار إلى منتصف الليل، فيسبب يقظته عن نومه مشكلة له واضطراب أعماله في غير ذلك اليوم، فمصالح الطبيب والمريض متضاربة: فالمرضى يريد إيقاظ الطبيب، والطبيب يريد الاستمرار في نومه.

ومثال آخر في هذا الباب: تضارب مصلحة المشتري والبائع، فإن المشتري مصلحة في تخفيض الأسعار، والبائع في ارتفاعها.

وفي هذين المثالين - أي: تعارض مصالح الطبيب والمريض، ومصالح البائع

والمشتري - لو كان الأمر من باب الجهل بالموضوع أو الحكم، فإنه يأتي فيهما دور القضاء حتى في زمان الإمام (عجل الله تعالى فرجه الشريف).
ثم إن الحياة القضائية تكون في غاية الدقة والبساطة، والنزاهة والعدالة الواقعية.

فعن الإمام الباقر عليه السلام: «إذا قام قائم آل محمد عليه السلام حكم بحكم داود ولا يسأل البيّنة»^(١).

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «لا تذهب الدنيا حتى يخرج من يحكم بحكومة آل داود ولا يسأل، ويعطي كل نفس حقها»^(٢).

وفي رواية أخرى: «يعطي كل نفس حكمها»^(٣).

وفي حديث آخر قال عليه السلام: «ثم يأمر منادياً فينادي: هذا المهدي يقضي بقضاء داود وسليمان، ولا يسأل على ذلك بيّنة»^(٤).

وفي حديث آخر قال عليه السلام: «إذا قام قائم آل محمد حكم بين الناس بحكم داود لا يحتاج إلى بيّنة، يلهمه الله تعالى، فيحكم بعلمه ويحضر كل قوم بما استبطنوه»^(٥) أي: بما أخفوه وأضمره. كما كان عيسى (عليه الصلاة والسلام) يقول: ﴿وَأَنْبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾^(٦).

أقول: فالمراد ليس حكمه على طبق شريعة داود، إذ الشرائع نسخت

(١) بصائر الدرجات: ص ٢٥٩ ب ١٥ ح ٣، ص ٥١٠ ب ١٨ ح ١٥.

(٢) وسائل الشيعة: ج ٢٧ ص ٢٣٠ - ٢٣١ ب ١ ح ٣٣٦٦١.

(٣) الخرائج: ج ٢ ص ٨٦ ب ١٦، وبصائر الدرجات: ص ٢٥٨ ب ١٥ ح ١.

(٤) الغيبة للنعماني: ص ٣١٣ - ٣١٤ ب ٢٠ ح ٥.

(٥) بحار الأنوار: ج ٥٢ ص ٣٣٩ ب ٢٧ ح ٨٦، الإرشاد: ج ٢ ص ٣٨٦ باب ذكر علامات قيام القائم عليه السلام، كشف الغمة: ج ٢ ص ٤٦٦ باب ذكر علامات قيام القائم عليه السلام، قصص الأنبياء

للجزائري: ص ٣٤٠ باب قصص داود عليه السلام ف ١.

(٦) سورة آل عمران: ٤٩.

بالإسلام، وإنما المقصود هو التشبيه، فالإمام يحكم عليه السلام في القضايا حسب اطلاعه بالواقعة وعلمه بالحق ولا يعتمد على الظاهر، ومن هنا فكل عاصٍ حتى إذا كان في جوف بيته يعصي، فإنه لا يخفى عن الإمام عليه السلام.

قال الإمام الصادق عليه السلام - في حديث -: «فلا يبقى بين الخافقين شيء إلا خافه»^(١).

وقد تقدّم أن البلاد كلّها تكون كذلك، حكّامها يعلمون الأحكام الواقعية حسب إلهام الله تعالى. فقد قال الإمام الصادق عليه السلام: «إذا قام القائم بعث في أقاليم الأرض، في كل إقليم رجلاً - إلى أن قال - يقول له الإمام: عهدك في كفّك، إذا ورد عليك أمرٌ لا تفهمه، أو لا تعرف القضاء فيه، فانظر إلى كفّك واعمل بما فيها»^(٢).

وتقدّم أيضاً أن المرأة تقضي في دارها، مما يظهر أن العلم يصل إلى مستويات رفيعة حتى بالنسبة إلى النساء.

وكما ورد في التواريخ: فإنه كان للإمام علي عليه السلام ألف والٍ في العالم وألف قاضٍ. وكان القضاء في زمانه في أرفع مستوياته وأدقه على رغم بساطته، حتى إنه عزل أبا الأسود الدؤلي بعد ما كان قاضياً له. فجاء أبو الأسود للإمام عليه السلام قائلاً: يا أمير المؤمنين لمّ عزلتني! ولا خنت ولا جنيت؟ قال عليه السلام: «نعم، وإنما يعلو صوتك صوت الخصمين»^(٣).

يعني أن الإمام عليه السلام صدّقه بأنه لم يُخن ولم يجن، وإنما سبب عزله عدم التزامه بإحدى قواعد وآداب القضاء المستحبة، إذ أن صوته كان يعلو صوت الخصمين، وهذا خلاف الآداب، وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام كما في نهج البلاغة

(١) الغيبة للنعماني: ص ٢٤٠ ب ١٣ ح ٣٣.

(٢) الغيبة للنعماني: ص ٣١٩ ب ٢١ ح ٨.

(٣) مستدرک الوسائل: ج ١٧ ص ٣٥٩ ب ١١ ح ٢١٥٨١.

في عهده إلى مالك الأشتر:

«ثُمَّ اخْتَرْتُ لِلْحُكْمِ بَيْنَ النَّاسِ أَفْضَلَ رَعِيَّتِكَ فِي نَفْسِكَ، مِمَّنْ لَا تَضِيقُ بِهِ الْأُمُورَ، وَلَا تَمَحَّكُهُ الْخُصُومُ، وَلَا يَتَمَادَى فِي الزَّلَّةِ، وَلَا يَحْصُرُ مِنْ الْفِيءِ إِلَى الْحَقِّ إِذَا عَرَفَهُ، وَلَا تُشْرِفُ نَفْسُهُ عَلَى طَمَعٍ، وَلَا يَكْتَفِي بِأَدْنَى فَهْمٍ دُونَ أَفْصَاهُ، وَأَوْفَقَهُمْ فِي الشُّبُهَاتِ، وَأَخَذَهُمْ بِالْحُجَجِ، وَأَقْلَهُمْ تَبَرُّمًا بِمُرَاجَعَةِ الْخَصْمِ، وَأَصْبِرَهُمْ عَلَى تَكْشُفِ الْأُمُورِ، وَأَصْبَرَمَهُمْ عِنْدَ اتِّصَاحِ الْحُكْمِ، مِمَّنْ لَا يَزِدُّهُ إِطْرَاءٌ، وَلَا يَسْتَمِيلُهُ إِغْرَاءٌ، وَأَوْلَنِكَ قَلِيلًا. ثُمَّ أَكْثَرَ تَعَاهُدَ قَضَائِهِ، وَأَفْسَحَ لَهُ فِي الْبَدَلِ مَا يُزِيلُ عِلْتَهُ، وَتَقَلَّ مَعَهُ حَاجَتُهُ إِلَى النَّاسِ، وَأَعْطَاهُ مِنَ الْمَنْزِلَةِ لَدَيْكَ مَا لَا يَطْمَعُ فِيهِ غَيْرُهُ مِنْ خَاصَّتِكَ؛ لِيَأْمَنَ بِذَلِكَ اغْتِيَالَ الرَّجَالِ لَهُ عِنْدَكَ، فَيَنْظُرَ فِي ذَلِكَ نَظْرًا بَلِيغًا، فَإِنَّ هَذَا الدِّينَ قَدْ كَانَ أَسِيرًا فِي أَيْدِي الْأَشْرَارِ، يُعْمَلُ فِيهِ بِالْهَوَى، وَتَطْلُبُ بِهِ الدُّنْيَا»^(١).

أقول: فإذا كان القضاء هكذا في زمان كون الدنيا على حالتها، فكيف يكون القضاء في زمان الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف)، وقد تبدلت الأرض غير الأرض؟ كما تقدم ذلك من أن زمان الإمام عليه السلام يكون شيئاً متوسطاً بين الدنيا المشاهدة، وبين الآخرة المرتقبة بإذنه تعالى.

هذا ولا يخفى قلة النزاع والمرافعات في زمن الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف)، حيث إن الأمور التي يتنازع فيها عادة ترجع في كثير من الموارد إلى الأمور الاقتصادية، أو إلى الجهل، أو إلى قضايا الجنس، أو ما أشبه ذلك. فإذا ارتفعت المستويات في كل أبعاد الحياة بالنسبة إلى هذه الأمور، وتوفرت الحاجات كلها، فلا نزاع، فلا حاجة إلى القضاء بالنسبة.

وقد أدركت بنفسي قبل نصف قرن في العراق في النجف المشرف وكربلاء المقدسة، قلة الحاجة للقضاء، حيث كان الإيمان يعم الناس، وكان الكثير

(١) نهج البلاغة، الرسائل: رقم ٥٣ ومن كتاب له عليه السلام كتبه للأشتر النخعي لما ولاه على مصر وأعمالها.

يعملون بحسب قناعاتهم وإيمانهم وأخلاقهم وإنصافهم، ولذا كان في كربلاء المقدسة^(١) فقيه، وفي الوقت نفسه كان قاضياً بين الناس في كل شؤونهم الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والتربوية والفكرية والعائلية وغيرها. وكانت مدة قضاائه في كل يوم ساعتين قبل الظهر، وهو مع ذلك يمارس الأعمال الاجتماعية من الزيارات، والذهاب إلى المشهدين المقدسين، وصلاة الجماعة، وإلقاء المحاضرات الفقهية والأصولية على طلاب العلوم الدينية^(٢).

أما ما نشاهده الآن في العراق وفي غير العراق من بلاد الإسلام من كثرة التنازع والقضاء، فهي لكثرة انحراف النفوس عن الإيمان والفضيلة والتقوى، بالإضافة إلى كثرة القوانين الوضعية المسنونة على خلاف الكتاب والسنة، مما يحتاج تفصيله إلى كتاب ضخيم ليس هنا مورد بيانه.

(١) وكان نفوس كربلاء في ذلك الوقت أكثر من مائة وخمسين ألف شخص.

(٢) وقد تطرق الإمام المؤلف رحمته الله إلى أوضاع العراق سابقاً في عدة من كتبه، منها: "تلك الأيام"، "حياتنا قبل نصف قرن"، "عشت في كربلاء"، "بقايا حضارة الإسلام كما رأيت".

التاسع: الحياة الثقافية

إن الثقافة تزدهر في زمان الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف) ازدهاراً لا مثيل له في الأزمنة السابقة، فالموازين الثقافية تزدهر أيما ازدهار، سواء في العلوم الدينية والأحكام الشرعية والمعارف الإسلامية، أم في سائر العلوم والصناعات وسائر الشؤون الثقافية.

وقد تقدم قول الإمام الباقر عليه السلام: «تؤتون الحكمة في زمانه، حتى أن المرأة لتقضي في بيتها بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ»^(١).

وذكر البعض من العامة: (يُظهر - المهدي - من الدين ما هو الدين عليه في نفسه ما لو كان رسول الله ﷺ حياً لَحَكَمَ به، يرفع المذاهب - أي الباطلة - من الأرض، فلا يبقى إلا الدين الخالص)^(٢).

وبسبب هذه الثقافة الرفيعة لا تبقى مظلمة ولا حاجة، كما أنه ينتفي العديد من الأمور من جهة انتفاء الموضوع، ففي حديث قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «ثم يُقبَلُ المهدي عليه السلام إلى الكوفة فيكون منزله بها فلا يترك عبداً مسلماً إلا اشتراه وأعتقه، ولا غارماً إلا قضى دينه، ولا مظلمة لأحد من الناس إلا ردّها، ولا يُقتلُ عبد إلا أدى ثمنه دية، فدية مُسلمة إلى أهلها^(٣) ولا يقتل قتيل إلا قضى عنه دينه، وألحق عياله في العطاء، حتى يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً وعدواناً»^(٤).

وفي حديث عن أمير المؤمنين عليه السلام: «إنه يضرب فساطيط في مسجد الكوفة

(١) الغيبة للنعماني: ص ٢٣٩ ب ١٣ ح ٣٠.

(٢) الفتوحات المكية: ج ٣ ص ٣٢٧ ب ٣٦٦.

(٣) إشارة إلى الآية ٩٢ من سورة النساء: ﴿فَدِيَةٌ مَسْلُومَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ﴾.

(٤) بحار الأنوار: ج ٥٢ ص ٢٢٤ - ٢٢٥ ب ٢٥ ح ٨٧.

فُيَعْلَمُونَ النَّاسَ الْقُرْآنَ»^(١).

ومن المعلوم أنه ليس المراد بـ «القرآن» ألفاظ القرآن فحسب، وإن كان تعليم ألفاظ القرآن أيضاً من الأمور اللازمة، بل المقصود إضافة إلى ذلك: المعاني القرآنية وأحكامه وتأويله وعلومه وبطونه وما أشبه ذلك.

ومسجد الكوفة يومئذٍ مسجد كبير جداً، فله في ذلك اليوم ألف باب، مما يُحتمل أن تكون مساحة المسجد أكثر من مليون متر مربع، وكيف لا يكون كذلك والكوفة عاصمة الإمام عليه السلام، وهي متصلة بكربلاء المقدسة^(٢) من هذا الجانب.

ومن الطبيعي أن تكون الجوانب الأخرى أيضاً تقاس بهذه المسافة، حيث إن مسجد الكوفة بُني في وسط البلد، ومن الطبيعي أن يبقى المسجد كذلك في وسط البلد في زمان الإمام (عليه الصلاة والسلام)، وبما إنه ليس المقصود هنا ذكر هذه الخصوصيات؛ نتركها لموضعها.

(١) الغيبة للنعمانى: ص ٣١٨ ب ٢١ ح ٣، ونص الحديث: «كأنى أنظر إلى شيعتنا بمسجد الكوفة قد ضربوا الفساطيط فيعلمون الناس القرآن».

(٢) حيث ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «إذا قام قائم آل محمد... اتصلت بيوت الكوفة بنهر كربلاء»، بحار الأنوار: ج ٥٢ ص ٣٣٧ ب ٢٧ ح ٧٦. وفي حديث آخر: «وليصرن الكوفة أربعة وخمسين ميلاً وليجاورن قصورها كربلاء»، بحار الأنوار: ج ٥٣ ص ١٢ ب ٢٨.

العاشر: الحياة الحضارية

كل موجود نامٍ خلقه الله تعالى ، فإنه قابل لأن يصل إلى غايته المطلوبة منه بإذن الله عزَّ وجل ، قال سبحانه: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾^(١) ، بل الظاهر أن كل مخلوق فهو كذلك حتى الجمادات ، وتفصيله موكول إلى محله.

وفي زمن ظهور الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف) سيصل كل شيء إلى كماله الممكن ، وهذه هي حضارة كل شيء بحسبه.

أما الشيء فإنه إذا لم ينمُ إطلاقاً كان بدائياً لا حضارياً ، مثل النواة الملقاة في مكان ، هذا في الماديات ، وكذلك الإنسان الجاهل في المعنويات ، أي : إنه يبقى في مرحلة (المقتضي) ودرجة (بالقوة) ، لكنه إذا أخذ في النمو فإن العلل الإعدادية لتكامله وتطوره ستتابع بإذن الله تعالى ، ويكون عندئذٍ سالكاً سبيل الحضارة.

فإذا نمت النواة فلها صلاحية أن تصل إلى غاية كمالها ، وكذلك كل نبات وحيوان وإنسان ، وهكذا المني بالنسبة إلى سائر مراحلها اللاحقة فهو على نحو المقتضي فقط.

فإذا كان آخذاً في التطور نحو النمو كان عندئذٍ سالكاً سبيل الحضارة ، وهكذا في سائر الأشياء من غير فرق في ذلك بين الإنسان والحيوان والجماد.

نعم ، إننا لا نعلم هل أن الملك والجن والشيطان وما شابه كذلك أم لا؟ وإن لم يُستبعد ذلك بالنسبة إلى مثل الملائكة.

والحضارة يمكن أن يعبر عنها حسب بعض الاعتبارات بأنها قيم وأدوات ؛ والقيم هي مقدمة ومسيرة للأدوات ، سواء في الطريق الباطل أم الحق ، على ما ذكر سابقاً.

(١) سورة الانشقاق: ١٩.

فلذا يقال: حضارة الرأسماليين، وحضارة الشيوعيين، وحضارة الإسلاميين.

والعلاقات القيمية يمكن التعبير عنها بعلاقة جزء بجزء، أو جزء بكل، فإن الإنسان كل أو جزء، وقيمه جزؤه أو جزء آخر منه.

كما أنه يلزم على الإنسان أن يرى ما يسمى بالحضارة، أو يرتبط بها من خلال ما يبيّنه الكتاب والسنة ويأمر به الإسلام، فهو المعيار في تقييم هذه الحضارة وصحتها، سواء كانت الحضارة مرتبطة بالفرد أو بالمجتمع.

أما ما يرتبط بالكلي أو النوع، فلا وجود لهما من دون الأفراد على نحو الكلي الطبيعي، الذي يوجد بوجود أفراد، كما هو مذكور في المنطق.

ومن هنا يلزم أن نهتم بالإنسان في حقيقته الفردية والاجتماعية، فإن الإنسان هو منبع القيم، مضافاً إلى الملائكة وسائر مخلوقات الله عز وجل، ولكنه تعالى قد كرم بني آدم على غيره وقال: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾^(١).

فلولا وجوده لما كان هذا التكامل وهذه القيم، غير أنه ابن الفطرة التي فطره الله عليها، وقد خلقه الله قادراً على الخير والشر، وجعل في فطرته أن يعيش مع بني نوعه لا أن يعيش فرداً، وجعل له عقلاً وطموحاً، وبعث له الأنبياء ﷺ وأمدّه بالكتب والتعاليم السماوية المناسبة لطبيعة الإنسان واللازمة لتقدمه وكماله، وعلى هذا النحو كانت الحضارة تنبثق أو تتابع انبثاقها، وهي تكون في أوجها زمن الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف).

كما أنه سبحانه وتعالى خلق لنا أسوة للحضارة، وهم ﷺ قمة الكمال البشري، بل قمة الكمال المطلق لكل الممكنات، قال تعالى في حديث قدسي: «يا محمد، لولاك لما خلقت الأفلاك، ولولا علي لما خلقتك، ولولا فاطمة لما

(١) سورة الإسراء: ٧٠.

خلقتكما».

فالحضارة لا بد أن تتكامل وتتكامل حتى تصل إلى قمته الممكنة باستلهاهم من المعصومين (صلوات الله وسلامه عليهم).

أما بالنسبة إلى الحضارة بالمعنى الأعم، فكل حضارة هي حضارة من غير نظر إلى صحتها وعدم صحتها، إذ من الممكن أن تكون الحضارة صحيحة، وهي إذا واكبت الشرع المقدس والفطرة السليمة من بدايتها إلى نهايتها، وهي حصراً الحضارات السماوية، ويمكن أن تكون غير صحيحة، وهي فيما إذا لم تطابق الشريعة ولم تواكب الفطرة السليمة، كلياً أو في بعض جزئياتها، وذلك في الحضارات المادية المتبدعة.

وفي عهد الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف) تصل الحضارة الصحيحة إلى أعلى مراحلها؛ لأن الإمام عليه السلام مرتبط مباشرةً بالسماء، فالقيم عندئذٍ تكون رفيعة إلى غاية الحد الممكن، والأدوات تصل إلى أكمل مراحلها الممكنة، ومن الكمال قلة الأدوات أحياناً كما لا يخفى.

وهذا التطور الحضاري هو مقتضى تعلّم الإنسان المراحل الخمس والعشرين من العلوم، مضافاً إلى المرحلتين السابقتين التي تعلمهما، أي الحرفين من العلوم، كما تقدمت الإشارة إليه.

❖ والخلاصة: إن هذه الحضارة التي هي في زمان الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف) تكون أرقى حضارة عرفها البشر في كل أبعاد الحياة، فيما ذكرناها في الأمور العشرة السابقة وفيما لم نذكرها، وإنما يفهم بعض مفرداتها مما ورد في الآيات والروايات المرتبطة بالإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف) وغيرها، والتي أبرزت حالة الإنسانية ونموها والكون ونموه ومراحل تطوره.

الفصل الثالث:

المستقبل الآخروي

وفيه مسائل :

- ❖ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْمَوْتُ
- ❖ مَاذَا بَعْدَ الْمَوْتِ؟
- ❖ كُنْ وَصِي نَفْسِكَ
- ❖ الصُّور
- ❖ هَكَذَا تَحْشُرُ الْوُحُوشَ
- ❖ وَزَنَ الْأَعْمَالَ
- ❖ مَاذَا فِي الْقِيَامَةِ؟
- ❖ الْمُسْتَقْبَلُ وَمَسْأَلَةُ الشَّفَاعَةِ
- ❖ الصِّرَاطُ
- ❖ حِبْطُ الْأَعْمَالِ
- ❖ صِفَاتُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ
- ❖ سَكْرَةُ الْمَوْتِ
- ❖ الْحِسَابُ خَاصًّا بِالْمُكَلَّفِ
- ❖ أَشْرَاطُ السَّاعَةِ
- ❖ الْمَخْلُوقَاتُ بَيْنَ الْفَنَاءِ وَالتَّجْزِئَةِ
- ❖ الْأَطْفَالُ وَحِسَابِهِمْ
- ❖ الْحِسَابُ فِي الْقِيَامَةِ
- ❖ شَهَادَةُ الْقُرْآنِ
- ❖ الْكُوثَرُ
- ❖ أَنْوَاعُ الْحِسَابِ
- ❖ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ
- ❖ الْأَعْرَافُ

كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْمَوْتُ

مسألة: إنَّ مستقبل الإنسان الأخرى يبدأ من الموت، بل لعله من لحظات الاحتضار، مروراً بعالم البرزخ والقيامة، وينتهي إما إلى الجنة، أو النار. فكلنا نموت، وكلنا نذهب إلى حياة أخرى.. فتلك الحياة الأخرى تستقبلنا، إما أن نكون من أهل الجنة إن شاء الله، أو من أهل النار، والعياذ بالله.

قال سبحانه: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾^(١)، فإنَّ الإنسان كثيراً ما يحسن في الدنيا ولا يصل إلى ثواب إحسانه، وكثيراً ما يسيء في الدنيا ولا يصل إلى جزاء إساءته. وإذا خرجت روح الإنسان من جسده يبدأ ذلك الجزاء، ﴿إِن أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِن أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾^(٢).

وقال تعالى: ﴿كُلٌّ مِّنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾^(٣).

وقال عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَّيِّتُونَ﴾^(٤).

الحياة في الآخرة

في حديث عن أمير المؤمنين عليه السلام، قال: «خُلِقْتُمْ لِلْبَقَاءِ لَا لِلْفَنَاءِ»^(٥)، فإنَّ

(١) سورة آل عمران: ١٨٥.

(٢) سورة الإسراء: ٧.

(٣) سورة الرحمن: ٢٦ - ٢٧.

(٤) سورة الرمز: ٣٠.

(٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٣٣ ق ١ ب ٦ ف ١ الدنيا دار فناء ح ٢٢٩١.

الروح ستبقى إلى الأبد، لكن من المحتمل أن في مرحلة من المراحل ستندم الروح أيضاً على ما قاله البعض.

أما غير الروح من سائر المخلوقات، فلا إشكال في فنائها على ما هو المشهور بين المحدثين والفقهاء ومن إليهم، خلافاً لمن قال بعدم الفناء المطلق، وإنما تتبدد الأجزاء وتتفرق، وتزول العلل الصورية وما أشبهه.

وفي حديث آخر عن الرسول الأكرم ﷺ قال: «خُلِقْتُمْ للبقاء، وإنما تنقلون من دار إلى دار»^(١).

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٢).

ولا يخفى أن الحياة الدنيا بالنسبة إلى حياة الآخرة كالنوم بالنسبة إلى اليقظة، وفي الحديث: «إن الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا»^(٣).

ثم إن في الآخرة كل شيء حي، بخلاف الدنيا حيث الجمادات لا حياة فيها إلا نوع خاص من الحياة الدنيا، كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِّن شَيْءٍ إِلَّا يَسْبِخُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾^(٤)، وقال سبحانه: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾^(٥)؛ فلذا يخاطب الإنسان القمر بقوله: (أيها الخلق المطيع)^(٦)، وهناك في بعض الأدعية خطاب

(١) بحار الأنوار: ج ٦ ص ٢٤٩ ب ٨ ح ٨٧، بحار الأنوار: ج ٥٨ ص ٧٨ ب ٤٢.

(٢) سورة آل عمران: ١٦٩ - ١٧٠.

(٣) بحار الأنوار: ج ٤ ص ٤٢ ب ٥ ضمن ح ١٨.

(٤) سورة الإسراء: ٤٤.

(٥) سورة فصلت: ١١.

(٦) وسائل الشيعة: ج ١٠ ص ٣٢٤ ب ٢٠ ح ١٣٥١٥.

بالنسبة إلى الشمس أيضاً^(١).

وقد عبر الله تعالى في القرآن عن الأرض بقوله سبحانه: ﴿فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾^(٢)، حيث تكون ساهرة في الآخرة وإن كانت شبه النائمة في الدنيا. لكن بالنسبة إلى الآخرة كل شيء حي بجياة أعلى وأكثر تطوراً وكماً بحيث يلمسها الإنسان، ولهذا تخاطبه الأشجار والفواكه والطيور وغير ذلك كما في متواتر الأحاديث، قال عز وجل في القرآن الحكيم: [إِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ]^(٣)، فالدار الآخرة بمجموعها (حيوان) بخلاف الدار الدنيا.

وعن النبي ﷺ قال: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر، والموت جسر هوّلاء إلى جنانهم، وجسر هوّلاء إلى جحيمهم»^(٤).

أقول: إن الإنسان المؤمن في الدنيا في سجن، مهما كان قوياً وذا إرادة، ومهما توفرت له الإمكانيات والقدرات، والمزايا والعطايا؛ وذلك لأن البدن يمنع الروح من الانطلاق.

وأما أن الدنيا جنة الكافر، فإن المراد بالكافر من هو في قبال المؤمن، وهو المعاند الذي يعرف ويكابّر ويصر.

أما القاصر فإنه يُعاد امتحانه في الآخرة، فلو نجح كان من أهل النعيم، فلعل المراد بالكافر من يبقى كافراً إلى أن تقبض روحه، عن علم أو عن تقصير. وكون الدنيا جنة للكافر، فلقياسها بما سيلقاه في الآخرة من العذاب

(١) مستدرک الوسائل: ج ٦ ص ١١٤ ب ٥٢ ح ٦٥٧٤.

(٢) سورة النازعات: ١٤.

(٣) سورة العنكبوت: ٦٤.

(٤) بحار الأنوار: ج ٦ ص ١٥٤ ب ٦ ضمن ح ٩، بحار الأنوار: ج ٤٤ ص ٢٩٧ ب ٣٥ ح ٢.

والهوان، مما تكون معه الدنيا جنة له؛ وذلك جزاءً لأعماله فإنه في الآخرة يكون في سجن بما عمل في الدنيا، وبما اعتقد من العقائد الفاسدة، والأعمال المنحرفة، والأقوال الباطلة.

وفي حديث عن الإمام الحسين (عليه الصلاة والسلام) قال: «ما الموت إلا قنطرة، يعبر بكم من البأساء والضراء إلى الجنان الواسعة والنعيم الدائم، فأيكم يكره أن ينتقل من سجن إلى قصر، وما هو لأعدائكم إلا كمن انتقل من قصر إلى سجن وعذاب»^(١).

إن قيل: إذا كان الأمر كذلك فلماذا يكره الإنسان الموت؟.

قلت:

أولاً: لأنه اعتاد على هذه الحياة، والاعتقاد يسبب الأُنس.

وثانياً: لأنه يجهل ما ادخر له من الأجر العظيم لو آمن وأحسن.

وثالثاً: لما في ورد من أنه جاء رجل إلى رسول الله ﷺ قائلاً: يا رسول الله، ما لي لا أحب الموت؟. فقال: «ألك مال؟». قال: نعم. قال: «قد قدمته؟». قال: لا. قال: «فمن ثم لا تحب الموت»^(٢).

وفي حديث روي عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه، قيل له: ما بالنا نكره الموت؟.

فقال: لأنكم عمرتم الدنيا وخربتم الآخرة، فتكروهون أن تنتقلوا عن عمران

إلى خراب.

فقيل له: كيف ترى قدمنا على الله؟.

قال: أما المحسن فكالغائب يقدم على أهله، وأما المسيء فكالآبق فيقدم

على مولاه.

(١) معاني الأخبار: ص ٢٨٩ باب معنى الموت ضمن ح ٣.

(٢) مستدرک الوسائل: ج ٢ ص ٩٥ - ٩٦ ب ١٣ ح ١٥١٩.

قيل : فكيف حالنا عند الله سبحانه؟.

قال : اعرضوا أعمالكم على الكتاب ، إن الله عزَّ وجل يقول : ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * وَإِنَّ الْفَجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾^(١).

قال له رجل : فأين رحمة الله؟.

قال : رحمة الله قريب من المحسنين^(٢).

قانون الأسباب والمسببات

ثم إن الله سبحانه وإن لم يحتج في تكوينه وتدبيره إلى الأسباب كما هو بديهي ، قال تعالى : ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٣).

وقوله تعالى : ﴿إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٤).
وقوله عزَّ وجل : ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٥).

وقوله سبحانه : ﴿هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٦).
إلى غيرها من الآيات.

(١) سورة الانفطار: ١٣ - ١٤ .

(٢) الكافي: ج ٢ ص ٤٥٨ باب محاسبة العمل ح ٢٠ .

(٣) سورة النحل : ٤٠ .

(٤) سورة مريم : ٣٥ .

(٥) سورة يس : ٨٢ .

(٦) سورة غافر : ٦٨ .

بل (كن) هذه كناية عن الأمر من غير حاجة إلى لفظٍ أو شبهه كما هو واضح، لكنه سبحانه جعل بحكمته هذه الدنيا دار الأسباب والمسببات، سواء الأسباب الظاهرة أم الأسباب الباطنة، فقد خلق مَلَكَ الموت لقبض الأرواح، ولذا نجد سبحانه تارة ينسب الموت إلى نفسه، وتارة إلى ملك الموت، وتارة إلى أعوانه، فقد قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾^(١)، وقال عز وجل: ﴿وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ﴾^(٢).

هذا بالنسبة إلى نفسه المقدسة، أما بالنسبة إلى ملك الموت فقد قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾^(٣).

وبالنسبة إلى أعوان ملك الموت قال سبحانه: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ﴾^(٤)، وفي آية أخرى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ﴾^(٥)، وقال عز وجل: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ﴾^(٦)، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾^(٧).

وذلك كما قالوا في علم البلاغة، فقد يقال: «بنى الأمير الدار أو المدينة» لأنه السبب، وقد يقال: «بنى فلان الدار أو المدينة» لأنه المباشر. وهنا المباشرة للأعوان، وملك الموت هو المشرف المنفذ، والله عز وجل هو

(١) سورة الزمر: ٤٢.

(٢) سورة يونس: ١٠٤.

(٣) سورة السجدة: ١١.

(٤) سورة الأنعام: ٦١.

(٥) سورة الأعراف: ٣٧.

(٦) سورة النحل: ٣٢.

(٧) سورة النحل: ٢٨.

السبب الواقعي.

ولا يخفى: أن الروح في داخل البدن كقطعة من بلور أو زجاج نقي وضع داخل حجارة أو حصة، فالروح شفاقة بينما البدن ثقيل، فإذا خرجت الروح من الجسد تتمثل بجسد مثالي، حتى إذا رآها الإنسان حسبها هي هي، فإنه في عالم البرزخ تدخل الروح في بدن برزخي شفاف مثالي شبيه للبدن الدنيوي، أما في الآخرة فالإنسان يعود بنفسه بهذا البدن الدنيوي، وهذا ما يسمى بالمعاد الجسماني وهو مما لا شك فيه، وقد فصلنا الكلام عن ذلك في بعض كتبنا الفقهية والعقدية^(١).

(١) راجع الفقه: كتاب العقائد، للإمام المؤلف ؒ.

سكرة الموت

مسألة: سكرة الموت حق يجب الاعتقاد بها، وهي من الغيب المحتوم لكل إنسان، كما أنها من المستقبل المجهول في تفاصيله، المعلوم في أصله، وقد ذكرت الآيات والروايات بعض جوانبها، حسب الاستفادة ظاهراً منها، وحسب الموجود في أيدينا منها.

قال سبحانه: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾^(١).

وهناك سكرتان:

١. سكرة نشاهدها: وهي عبارة عن حالة الغيبوبة التي تعتري الإنسان قبل خروج الروح من جسده، أو بعض الشدة الظاهرية التي يمكن مشاهدتها.
٢. سكرة لا نشاهدها: وهي الشدائد غير الظاهرية التي يعانيتها البعض عند الموت.

قال رسول الله ﷺ: «إذا حضر المؤمن أجله بعث الله عز وجل إليه ريحين: ريح يقال لها: المنسية، وريح يقال لها: المسخية. فأما المنسية فإنها تنسيه أهله وماله، وأما المسخية فإنها تسخي نفسه عن الدنيا حتى يختار ما عند الله تبارك وتعالى»^(٢).

(١) سورة ق: ١٩.

(٢) بحار الأنوار: ج ٦ ص ١٥٣ ب ٦ ح ٧.

وفي رواية أخرى عنه عليه السلام ، سئل عن المؤمن أيستكره على قبض روحه؟.

قال: «لا والله».

قلت: وكيف ذلك؟.

قال: «إذا حضره ملك الموت جزع، فيقول له ملك الموت: لا تجزع فوالله لأنا أبرُّك وأشفق من والد رحيم لو حضرك، افتح عينيك وأنظر».

قال: «ويتهلل له رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام والحسن والحسين عليهما السلام والأئمة من بعدهم عليهم السلام والزهراء عليها السلام».

قال: فينظر إليهم ويستبشر بهم - إلى أن قال - :

وينادي روحه منادٍ من قبل رب العزة من بطنان العرش فوق الأفق الأعلى ويقول: **﴿يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مَّرْضِيَةً﴾** **فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي** ^(١) ، فيقول ملك الموت: إني قد أمرت أن أخيرك بين الرجوع إلى الدنيا والمضي، وليس شيء أحب إليه من سلال روحه ^(٢).

أقول: وحضورهم (عليهم آلاف التحية والسلام) عند الميت بل عند عدة أموات في وقت واحد، غير مستغرب حتى في عالم الماديات، وللتقريب تمثّل - وإن كان بين المثال وما نحن فيه فرق كبير - بصوت مذيع واحد حيث ينتشر عبر آلة المذيع ويتحوّل إلى ملايين الأصوات، وكذلك بالنسبة إلى الصورة التي تظهر في التلفزيون.

هذا بالنسبة إلى الماديات، فكيف بالروحيات التي هي أوسع من الماديات

(١) سورة الفجر: ٢٧ - ٣٠.

(٢) الكافي: ج ٣ ص ١٢٧ - ١٢٨ باب أن المؤمن لا يكره على قبض روحه ح ٢.

سعة لا حدود لها ، قال الإمام علي (عليه الصلاة والسلام) :
يا حارَ هَمْدانَ مَنْ يَمُتَ يَرْنِي مَنْ مُؤْمِنٍ أَوْ مَنْافِقٍ قَبْلاً^(١)

وفي حديث عن الإمام الصادق عليه السلام ، قال : « لم تمت نفس أبداً حتى ترى رسول الله صلى الله عليه وآله وعلياً عليه السلام . قلت : فإذا نظر إليهما المؤمن أيرجع إلى الدنيا؟ . قال : « لا ، بل يمضي أمامه » . فقلت له : يقولان شيئاً جعلت فداك؟ . فقال : « نعم ، يدخلان جميعاً على المؤمن ، فيجلس رسول الله صلى الله عليه وآله عند رأسه ، وعلي عليه السلام عند رجله . فيكب عليه رسول الله صلى الله عليه وآله فيقول : يا ولي الله أبشر ، أنا رسول الله ، إنني خير لك مما تترك من الدنيا . ثم ينهض رسول الله صلى الله عليه وآله فيقوم عليه علي عليه السلام حتى يكب عليه ، فيقول : يا ولي الله أبشر ، أنا علي بن أبي طالب الذي كنت تحبني أما لأنفنعك - ثم قال أبو عبد الله عليه السلام - أما إنها آيات في كتاب الله عز وجل » . قلت : أين هذا جعلت فداك في كتاب الله؟ . قال : « في سورة يونس : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ ^(٢) » ^(٣) .

وفي حديث : « أن رسول الله صلى الله عليه وآله وعلياً عليه السلام يأتيانه . فيقول له رسول الله : أما ما كنت ترجو فهو ذا أمامك ، وأما ما كنت تخاف منه فقد أمنت . ثم يفتح له باب إلى الجنة فيقول : هذا منزلك في الجنة ، فإن شئت رددتك إلى الدنيا فيها

(١) ديوان الإمام علي عليه السلام : ص ١١٩ وتمة الأبيات الشعرية :

يعرفني طرفه وأعرفه	بعتته واسمه وما فعلا
وأنت عند الصراط معترضي	فلا تخف عشرة ولا زللا
أقول للنار حين توقف للعرض	ذريه لا تقربي الرجلا
أسقيك من بارد على ظمأ	تخاله في الحلاوة عسلا
قول علي لحارث عجب	كم ثم أعجوبة له حملا

(٢) سورة يونس : ٦٣ - ٦٤ .

(٣) بحار الأنوار : ج ٦ ص ١٨٥ ب ٧ ح ٢٠ .

ذهب وفضة؟.

فيقول: لا حاجة لي في الدنيا.

ف عند ذلك يبيضُّ لونه، ويرشح جبينه، وتتقلَّص شفثاه، ويتنشر منخراه، وتدمع عينه اليسرى، فأى هذه العلامات رأيت فاكتف بها. فإذا خرجت النفس من الجسد، فيعرض عليها كما يعرض عليه وهو في الجسد، فتختار الآخرة، فيغسله فيمن يغسله، ويقلِّبه فيمن يقلِّبه.

فإذا أدرج في أكفانه، ووضع على سريره، وخرجت روحه تمشي بين أيدي القوم قُدمًا، وتلقاه أرواح المؤمنين يسلمون عليه، ويبشرونه بما أعد الله له جل ثناؤه من النعيم»^(١).

أقول: انفتاح باب الجنة ليس معناه انفتاحه من الخارج كأنفتاح باب البيت إلى الشارع، وربما تكون نسبة الجنة والنار مع الدنيا نسبة تداخل بعضها في بعض، والله العالم، وهذا ما قد يظهر من بعض الأحاديث.

كما نشاهد في التفاحة الواحدة مثلاً: فهناك لون، وهناك رائحة، وهناك خاصية، وهناك حجم، وهناك طعم، وبعضها متداخل في بعض.

فالذي له الشامة يشم الرائحة، والذي ليس له حاسة الشم لا يشم الرائحة مع أنها موجودة، وهكذا فإن الإنسان في الدنيا لا يرى ولا يسمع ولا يلمس ما يرتبط بالآخرة، أما عند الموت فتنتفتح هذه الحواس إلى الآخرة، كالذي ليس له عين ولا ذوق ولا شم بالنسبة إلى التفاح، فإذا صحَّ جسمه وأعضاؤه هذه أدرك كل ذلك، ولذا يقال عند العرف فلان انفتحت عينه البرزخية، أو انفتح سمعه البرزخي، أو ما أشبه ذلك.

(١) الكافي: ج ٣ ص ١٢٩-١٣٠ باب ما يعاين المؤمن والكافر ح ٢.

وقد ذكرنا بعض تفصيل ذلك في التفسير الموضوعي للقرآن الحكيم^(١) مما لا حاجة إلى تكراره هنا، وقد شوهده أناس كثيرون عند احتضارهم يرجعون من الغيبوبة، ويسلمون على رسول الله ﷺ، أو على أمير المؤمنين علي عليه السلام، أو على السيدة الزهراء عليها السلام، أو الإمام الحسين عليه السلام، إلى غير ذلك في قصص متواترة لا يمكن إنكارها^(٢).

السيد الحميري عليه السلام عند مماته

عن الحسين بن عون، قال: دخلت على السيد الحميري عليه السلام^(٣) عائداً في علته التي مات فيها، فوجدته يساق به، ووجدت عنده جماعة من جيرانه وكانوا عثمانية^(٤). وكان السيد جميل الوجه، رحب الجبهة، عريض ما بين السالفين، فبدت في وجهه نقطة سوداء مثل نقطة من المداد، ثم لم تزل تزيد وتنمو حتى

(١) يقع الكتاب في عشرة مجلدات، مخطوط.

(٢) وقد ذكر الإمام المؤلف رحمه الله إحدى هذه القصص، عن المرجع الراحل آية الله العظمى السيد حسين القمي عليه السلام في كتابه "حقائق من تاريخ العلماء".

(٣) هو إسماعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة ابن مفرغ الحميري، وكنيته أبو هاشم أو أبو عامر. وهو من شعراء الإمامية المتقدمين، ومن أكثر الناس شعراً في الجاهلية والإسلام. وُلِدَ في نعمان - وادٍ قريب من الفرات على أرض الشام - سنة ١٠٥ هـ ونشأ بالبصرة، وعاش متردداً بينها وبين الكوفة، ومات ببغداد، وقيل بواسطة سنة ١٧٣ هـ. وقد أُخْمِلَ ذكر السيد الحميري وصُرف الناس عن رواية شعره؛ بسبب تشييعه وتعصبه لبني هاشم تعصباً شديداً، وكان أكثر شعره في مدحهم وذم غيرهم. وله أخبار كثيرة، جمع طائفة كبيرة منها المستشرق الفرنسي باربي دي مينار في مائة صفحة طبعت في باريس. ولأبي بكر الصولي (ت ٣٣٥ هـ) كتاب "أخبار السيد الحميري" ومثله لأحمد بن محمد الجوهري (ت ٤٠١ هـ)، ولابن الحاشر أحمد بن عبد الواحد (ت ٤٢٣ هـ) كتاب مثله أيضاً. وآخر ما كُتِبَ عنه كتاب "شاعر العقيدة" للسيد محمد تقي الحكيم ونشر في بغداد، وأما ديوانه فقد جمعه وحققه شاكر هادي شكر.

(٤) نسبة إلى عثمان بن عفان.

طبقت وجهه بسوادها، فاهتمَّ بذلك من حضره من الشيعة وظهر من الناصبة^(١) سرور وشماتة.

فلم يلبث بذلك إلا قليلاً حتى بدت في ذلك المكان من وجهه لمعة بيضاء، فلم تزل تزيد أيضاً وتنمو حتى أسفر وجهه وأشرق، وغدا السيد ضاحكاً مستبشراً، فقال منشداً:

كذب الزاعمون أن علياً لم ينج محبه من هنات
قد وربّي دخلت جنة عدنٍ وعفالي الإله عن سيئات
فابشروا اليوم أولياء علي وتولّوا الوصي حتى الممات
ثم من بعده تولوا بنيه واحداً بعد واحد بالصفات

ثم أتبع قوله هذا: أشهد أن لا إله إلا الله حقاً حقاً، وأشهد أن محمداً رسول الله ﷺ حقاً حقاً، وأشهد أن علياً عليه السلام أمير المؤمنين حقاً حقاً، أشهد أن لا إله إلا الله، ثم غمض عينيه بنفسه، فكأنما كانت روحه ذبالة طُفأت أو حصة سقطت^(٢).

هذا بالنسبة إلى المؤمن، أما بالنسبة إلى الذي لا يؤمن بالله واليوم الآخر علماً عامداً، أو جاهلاً مقصراً، أو فاسقاً متعمداً، أو من أشبه؛ فملك الموت يأتيهم بصورة مرعبة شديدة الخوف، ويكون قبض أرواحهم قبضاً عنيفاً.

ومثال الآخرة كمثال الدنيا، حيث إن المجرم تأتيه الجلاوزة بصورة عنيفة، ويذهبون به بصورة مُهينة إلى السجن، بينما غير المجرم يأتيه أعوان الحكومة بدعوة أو ما أشبه بصورة مقبولة، وينتقلون به إلى دار الحكومة باحترام يليق به.

(١) جمع ناصبي، والناصبي من يكنّ العداء لأهل البيت ﷺ.

(٢) الأملالي للطوسي: ص ٦٢٧ - ٦٢٨ المجلس ٣٠ ح ١٢٩٣.

ماذا بعد الموت؟

مسألة: بعد الموت يكون عالم البرزخ، وهناك تكون الروح في حالة حياة وإدراك، وفهم وشعور، وأخذ وعطاء، وتكامل أيضاً، كما قال سبحانه: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أحيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾^(٢).

ولا يخفى: أن ذكر القرآن ﴿الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ هو من باب أنه محل الكلام واقتضاء البلاغة، كما أنه لأجل بيان وجود درجة رفيعة لهم لا التخصيص، وإلا فذلك لكل شخص مؤمن حتى إذا لم يكن مقتولاً في سبيل الله.

وهكذا يكون في قوله سبحانه: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أحيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾^(٣).

نعم المستظهر أن الحياة درجات، ومن قُتل في سبيل الله له درجة أفضل منها، ولعل الآية الشريفة تشير إلى ذلك.

(١) سورة آل عمران: ١٦٩ - ١٧١.

(٢) سورة البقرة: ١٥٤.

(٣) سورة البقرة: ١٥٤.

بين القاصر والمقصر

وما سبق من التغليظ والعذاب البرزخي بالنسبة إلى غير المؤمن فهو في حق المقصر، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾^(١).

أما القاصر فيمتحن بعد موته، كما ورد في الروايات، وهل هناك امتحان في عالم البرزخ مضافاً إلى الامتحان يوم القيامة، الله العالم.

القوالب النورية

والذي يظهر من الروايات: أن روح الإنسان في عالم البرزخ توضع في قوالب من نور، ويسميتها البعض الأجساد المثالية، وفي بعض الروايات تعبيرات أخرى:

ففي حديث عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «فإذا قبضه الله إليه صير تلك الروح إلى الجنة في صورة كصورته، فيأكلون ويشربون، فإذا قدم عليهم القادم عرفوه بتلك الصور التي كانت في الدنيا»^(٢).

وقد رؤي كثير من الأنبياء والأولياء والأئمة عليهم السلام في الأجساد المثالية، كما شوهده الكثير من الأموات الصالحين وغيرهم في قوالبهم المثالية، وهذا شأن اعترف به حتى العلم الحديث، وقد كتب جماعة من الغربيين كتباً بهذا الصدد.

وفي حديث آخر: «إن قنبراً كان مع علي عليه السلام. فاضطجع علي عليه السلام في مسجد ظهر وادي الكوفة على الحصى. فقال قنبر: يا مولاي، ألا أفرش لك ثوبي تحتك؟»

(١) سورة المؤمنون: ٩٩ - ١٠٠.

(٢) الكافي: ج ٣ ص ٢٤٥ باب آخر في أرواح المؤمنين ج ٦.

فقال: لا، إن هي إلا تربة مؤمن، أو مزاحمته في مجلسه.

فقال الأصبغ: أما تربة مؤمن فقد علمنا أنها كانت أو تكون، فما معنى مزاحمته في مجلسه؟!.

فقال: يكون في هذا الظهر روح كل مؤمن ومؤمنة في قوالب من نور على قوالب من نور»^(١).

أقول: فظاهر هذا الحديث والحديث الآتي، أن قنبراً وأصبغ كانا معه (صلوات الله عليه) في هذه القضية.

وفي حديث آخر قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام للأصبغ بن نباتة: «لو كشف لكم لرأيتم أرواح المؤمنين في هذا الظهر حلقاً يتزاورون ويتحدثون، إن في هذا الظهر روح كل مؤمن، وبواد برهوت نسمة كل كافر»^(٢).

وعن الإمام علي بن الحسين عليه السلام، قال: «إن المؤمن ليقال لروحه وهو يُغسَل: أيسرُّك أن تُردَّ إلى الجسد الذي كنت فيه؟. فيقول: ما أصنع بالبلاء والخسران والغم»^(٣).

(١) كتاب المحتضر - حسن بن سليمان الحلبي: ص ١٨ ح ٨.

(٢) بحار الأنوار: ج ٦ ص ٢٤٢ - ٢٤٣ ب ٨ ح ٦٥.

(٣) بحار الأنوار: ج ٦ ص ٢٤٣ ب ٨ ح ٦٧.

عالم الأحلام

أقول: ونحن قد نشاهد في الأحلام ما يشبه عالم الآخرة، ويقرب بعض تلك المعاني للإنسان.

ولا يخفى أن تفسير الأحلام تفسيراً مادياً بحتاً لا يصح، فإنه من بعض الماديين الذين لا يؤمنون بالروح إطلاقاً، وهذا مردود عليهم حتى من بعض علماء الغرب.

وفي حديث عن أبي الحسن عليه السلام، قال: «إن الأحلام لم تكن في ما مضى في أول الخلق وإنما حدثت». قلت: وما العلة في ذلك؟ قال: «إن الله عز وجل بعث رسولاً إلى أهل زمانه، فدعاهم إلى عبادة الله وطاعته. فقالوا: إن فعلنا ذلك فما أنت بأكثرنا مالاً ولا بأعزنا عشيرةً. فقال: إن أطعتموني أدخلكم الله الجنة، وإن عصيتموني أدخلكم الله النار. فقالوا: وما الجنة والنار! فوصف لهم ذلك. فقالوا: متى نصير إلى ذلك؟ فقال: إذا متم. فقالوا: لقد رأينا أمواتنا فصاروا عظاماً ورفاتاً. فازدادوا له تكذيباً وبه استخفافاً، فأحدث الله عز وجل فيهم الأحلام، فأتوه فأخبروه بما رأوه وما أنكروا من ذلك. فقال: إن الله عز وجل أراد أن يحتج عليكم بهذا، هكذا تكون أرواحكم إذا متم، وإن بليت أبدانكم تصير الأرواح إلى عقاب حتى تُبعث الأبدان»^(١).

(١) الكافي: ج ٨ ص ٩٠ حديث الأحلام ح ٥٧.

الأموات أحياء

ومما تقدم من مسألة الرؤيا، واحتمال كون هذا العالم متداخلاً مع العالم الآخر، يظهر وجه قوله سبحانه: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾^(١).

ووجه قوله تعالى: ﴿رَبِّئَا أُمَّتِنَا اِثْنَيْنِ وَأَحْيَيْنَا اِثْنَيْنِ﴾^(٢).

ووجه قوله ﷺ: «القبر إما روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النيران»^(٣).

وفي الحديث عنه ﷺ: «أنه وقف على قلب بدر فقال للمشركين - الذين قتلوا يومئذ وقد ألقوا في القلب -: لقد كنتم جيران سوء لرسول الله ﷺ، أخرجتموه من منزله وطرتموه، ثم اجتمعتم عليه فحاربتموه، فقد وجدت ما وعدني ربي حقاً، فهل وجدتم ما وعدكم ربكم». فقال له عمر: يا رسول الله، ما خطابك لهم قد صدت؟ فقال له: «يا ابن الخطاب، فوالله، ما أنت بأسمع منهم، وما بينهم وبين أن تأخذهم الملائكة بمقامع من حديد إلا أن أُعْرَضَ بوجهي»^(٤).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام، أنه بعد انتهاء الحرب في البصرة، أخذ يتخلل الصفوف حتى مرّ على كعب ابن سوار، وكان قاضي البصرة. فلما صارت الحرب بين أمير المؤمنين عليه السلام وأصحاب الجمل، علق في عنقه مصحفاً، وخرج بأهله وولده يقاتل أمير المؤمنين عليه السلام، ويحرض الناس على قتاله!. وكان من

(١) سورة غافر: ٤٦.

(٢) سورة غافر: ١١.

(٣) بحار الأنوار: ج ٦ ص ٢٧٥ ب ٨ ضمن ح ١٢٨.

(٤) تصحيح الاعتقاد: ص ٩٢.

أشد الأعداء لعلي عليه السلام فقتلوا بأجمعهم. فوقف عليه أمير المؤمنين عليه السلام وهو صريع بين القتلى، فقال: «أجلسوا كعب ابن سوار». فأجلس بين نفسيين، فقال: «يا كعب ابن سوار، قد وجدت ما وعدني ربي حقاً، فهل وجدت ما وعدك ربك حقاً؟ - ثم قال - أضجعوا كعباً... فقال له رجل من أصحابه: يا أمير المؤمنين، ما كلامك بقتيل لا يسمع منك؟. فقال: «يا رجل، فوالله لقد سمع كلامي كما سمع أهل القليب كلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم»^(١).

أقول: أما وجه أمره عليه السلام بإجلاسه مع أنه قد لا يختلف في سماعه بين التمدد والجلوس، فلعله من جهة أنه حال التخاطب، وفي حال التخاطب الجلوس أولى، كما يفعل بالميت في قبره من قبل الملكين كما ورد في الحديث، ومن هذه الجهة أن المخاطب الحي يجلس حتى يكلم أو يتكلم، مع أنه يسمع وإن كان متمدداً، ومن الممكن أن الجسد المثالي في القبر أيضاً يجلس حين يكلم أو يكلم مطلقاً.

ولعل من وجوه الأمر بإجلاسه إلفات الناس، فإن الكلام العادي معه وهو ملقى ربما يحمل على المجاز أو على غير الجحد، أما بهذه الحالة فلا يشك راءٍ أو سامع أن الإمام عليه السلام قاصد خطابه بالذات.

ولعل من وجوهه أيضاً، أن تغيير حالة الميت أقوى في التفاته لما فيه من هول وعذاب، والله العالم.

وعن الإمام الصادق عليه السلام، قال: «من أنكر ثلاثة أشياء فليس من شيعتنا: المعراج، والمساءلة في القبر، والشفاعة»^(٢).

(١) الجمل: ص ٣٩٢ طواف أمير المؤمنين عليه السلام على القتلى وتكلمه معهم.

(٢) روضة الواعظين: ص ٥٠١ مجلس في ذكر الشفاعة والحوض.

من أخبار البرزخ

عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: «يجيء الملك منكر ونكير إلى الميت حين يدفن. أصواتهما كالرعد القاصف، وأبصارهما كالبرق الخاطف، يخطآن الأرض بأنياهما، ويطنان فيه شعورهما. فيسألان الميت: من ربك؟ وما دينك؟. قال: فإذا كان مؤمناً، قال: الله ربي وديني الإسلام. فيقولان له: ما تقول في هذا الرجل الذي خرج بين ظهرايكم؟. فيقول: عن محمد صلى الله عليه وآله وسلم تسألان. فيقولان له: تشهد أنه رسول الله؟. فيقول: أشهد أنه رسول الله. فيقولان له: نم نومةً لا حلم فيها. فيفسح له في قبره تسعة أذرع، ويفتح له باب إلى الجنة، ويرى مقعده فيها. فإذا كان الرجل كافراً دخل عليه، وأقيم الشيطان بين يديه، عينه من نحاس، فيقولان له: من ربك؟ وما دينك؟ وما تقول بهذا الرجل الذي خرج من بين ظهرايكم؟. فيقول: لا أدري. فيخيلان بينه وبين الشيطان - إلى أن قال عليه السلام - ويفتح له باب إلى النار، ويرى مقعده فيها»^(١).

ولا يخفى: أن هذه الرواية ونظائرها، مقيدة بالروايات الأخرى المتواترة الدالة على اشتراط جملة شروط وأسئلة أخرى، أهمها: الولاية، ومنها حديث الإمام الرضا عليه السلام المعروف بسلسلة الذهب، حيث روى عليه السلام، عن آبائه (عليهم السلام أجمعين)، عن الله تعالى: «كلمة لا إله إلا الله حصني، فمن دخل حصني أمن من عذابي - ثم قال عليه السلام - بشرطها وشروطها، وأنا من شروطها»^(٢). فحال هذه الرواية المطلقة، كحال كل المطلقات، على ما قرر في الأصول، مضافاً إلى أن إثبات الشيء لا ينفي ما عداه.

وبوجه آخر: هذه الرواية في مقام البيان من جهة اشتراط الإيمان

(١) الكافي: ج ٣ ص ٢٣٦ - ٢٣٧ باب المسألة في القبر ح ٧.

(٢) الأمالي للصدوق: ص ٢٣٥ المجلس الحادي والأربعون ح ٨.

بالرسول ﷺ، وليست في مقام البيان من سائر الجهات والشروط، فهي كقول رسول الله ﷺ: «قولوا: لا إله إلا الله، تفلحوا»، مع أن من قالها وأنكر الرسالة فإنه من أهل النار.

والكلام كله في صورة العمد أو الجهل التقصيري، أما القاصر فيعاد امتحانه كما سبق.

وعن الإمام الصادق عليه السلام، قال: «ما من موضع قبر إلا وهو ينطق كل يوم ثلاث مرات: أنا بيت التراب، أنا بيت البلى، أنا بيت الدود. قال: فإذا دخله عبد مؤمن قال: مرحباً وأهلاً. أما والله، فقد كنتُ أحبك وأنت تمشي على ظهري، فكيف إذا دخلت بطني فستري ذلك. قال: فيفسح له مدّ البصر، ويفتح له باب يرى مقعده من الجنة. قال: ويخرج من ذلك رجل لم تر عيناه شيئاً قط أحسن منه، فيقول: يا عبد الله، ما رأيت شيئاً قط أحسن منك. فيقول: أنا رأيك الحسن الذي كنت عليه، وعملك الصالح الذي كنت تحمله. قال: ثم يأخذ روحه فتوضع في الجنة حيث رأى منزله، ثم يقال له: نَمَ قَرِيرَ العَيْنِ، فلا تزال نفحة من الجنة تصيب جسده يجد لذتها وطيبها حتى يُبعث»^(١).

أقول: يستفاد من بعض الروايات، ومنها ما ذكر أن للجسد في عالم البرزخ حظاً من الثواب والعقاب، وعدم حسناً بذلك لا ينافي الواقع، وقد ذكرنا سابقاً تجسّم الأعمال.

فكما أنه من الممكن تحول المادة إلى طاقة، كذلك العكس فالطاقة تتحول إلى المادة. فالرؤيا لها طاقة، والسماء لها طاقة، والذوق له طاقة، والشم له طاقة، واللمس له طاقة، والرأي الحسن طاقة، والأعمال الصالحة طاقة أيضاً. وهذه الطاقات تتحول إلى مواد بإذن الله تعالى.

(١) الكافي: ج ٣ ص ٢٤١ - ٢٤٢ باب ما ينطق به موضع القبر ح ١.

وعن أبي بصير، عن أحدهما عليهما السلام، قال: «إذا مات العبد المؤمن دخل معه في قبره ست صور. فيهن صورة أحسنهن وجهاً، وأبهأهن هيئةً، وأطيبهن ريحاً، وأنظهن صورة. فتقف صورة عن يمينه، وأخرى عن يساره، وأخرى بين يديه، وأخرى خلفه، وأخرى عند رجليه. فتقف التي هي أحسنهن فوق رأسه، فإن أتت عن يمينه منعتة التي عن يمينه، ثم كذلك إلى أن يؤتى من الجهات الست، فتقول أحسنهن صورة: ومن أنتم جزاكم الله عني خيراً؟».

فتقول التي عن يمين العبد: أنا الصلاة، وتقول التي عن يساره: أنا الزكاة، وتقول التي هي بين يديه: أنا الصيام، وتقول التي خلفه: أنا الحج والعمرة، وتقول التي عند رجليه: أنا برُّ من وصلت من إخوانك، ثم يقولن: مَنْ أنتِ؟! فأنتِ أحسننا وجهاً، وأطيبنا ريحاً، وأبهأنا هيئةً. فتقول: أنا الولاية لآل محمد (صلوات الله عليهم أجمعين)»^(١).

أقول: الظاهر أن المراد بالزكاة الأعم من الزكاة المفروضة، فيشمل كل ما ينفقه الإنسان في سبيل الله، من واجب كالخمس، أو مستحب كحق الحصاد والصدقة غير الواجبة.

وعن سعيد بن المسيب، قال: كان علي بن الحسين عليهما السلام يعيظ الناس، ويزهدهم في الدنيا، ويرغبهم في الآخرة، بهذا الكلام في كل جمعة في مسجد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وحفظ عنه وكتب، كان يقول: «أيها الناس، اتقوا الله واعلموا أنكم إليه ترجعون، فتجد كل نفس ما عملت في هذه الدنيا من خير محضراً، وما عملت من سوء تودّ لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً، يحذركم الله نفسه. ويحك يا ابن آدم الغافل وليس بمغفول عنه. يا ابن آدم، إن أجلك أسرع شيء إليك، قد أقبل نحوك حثيثاً يطلبك، ويوشك أن يدركك، كأن قد أوفيت أجلك، فقبض الملك

(١) بحار الأنوار: ج ٦ ص ٢٣٤ - ٢٣٥ ب ٨ ح ٥٠.

روحك، وصرت إلى منزل الرحيل الفرد، فردَّ إليك فيه روحك، واقتحم عليك فيه ملكان منكر ونكير لمسائلتك، وشديد امتحانك، ألا وإن أول ما يسألانك عن ربك الذي كنت تعبه، وعن نبيك الذي أرسل إليك، وعن دينك الذي كنت تدين به، وعن كتابك الذي كنت تتلوه، وعن إمامك الذي كنت تتولاه، ثم عن عمرك فيما أفنيت، ومالك من أين اكتسبته، وفيما أتلفته؟.

فخذ حذرک، وانظر لنفسك، وأعد للجواب قبل الامتحان والمسئلة والاختبار، فإن تكن مؤمناً تقياً، عارفاً لدينك، متبعاً للصادقين، موالياً لأولياء الله، لقاك الله حجتك، وأنطق لسانك بالصواب، فأحسن الجواب، فُبشّرتَ بالجنة والرضوان من الله، والخيرات الحسان، وأستقبلتَ بالروح والريحان. وإن لم تكن كذلك، تلجلج لسانك، ودحضت حجتك، وعميت عن الجواب، وبُشّرتَ بالنار، واستقبلتك ملائكة العذاب، بنزل من حميم، وتصلية جحيم»^(١).

ضغطة القبر وصلاة الوحشة

سأل يونس الإمام الرضا عليه السلام عن المصلوب، يُعذَّب عذاب القبر؟. فقال: «نعم، إن الله عزَّ وجلَّ يأمر الهواء أن يضغطه»^(٢).

أقول: حيث إن الثواب والعقاب والضغطة وغير ذلك، كلها وارد على الروح، سواء كانت الروح المجردة أي بوحدها، أم الروح في البدن المثالي، فلا فرق بين أن يموت الإنسان في الصحراء أو في البحر أو في الهواء أو تأكله السباع والطيور وما أشبه؛ لأن شأن الروح غير شأن الجسد، فليست هناك مادة كثيفة

(١) الكافي: ج ٨ ص ٧٢ - ٧٣ كلام علي بن الحسين عليه السلام ح ٢٩.

(٢) الكافي: ج ٣ ص ٢٤١ باب المسألة في القبر ح ١٦.

حتى تكون مشروطة بشروط المادة الكثيفة بالنسبة إلى النعيم والجحيم وغير ذلك. كما أننا ذكرنا في بعض كتبنا: إن صلاة الوحشة الواردة في أول ليلة، ليست خاصة بمن يدفن، فإذا وضع الميت في الثلاجة مثلاً، ودفن بعد يوم أو أيام، تكون أول ليلة تغيب الشمس عنها هي في حكم ليلة الدفن، ولذا تكون الصلاة أيضاً على من غرق في البحر، أو أكلته الحيوانات، أو وضع مصلوباً، ولو بقي كذلك شهراً أو أكثر.

عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: «إن رسول الله صلى الله عليه وآله عندما قيل له: إن سعد بن معاذ قد مات. فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وقام أصحابه معه، وأمر بغسل سعد وهو قائم على أهابة الباب. فلما حنط وحمل على سريره، تبعه رسول الله صلى الله عليه وآله بلا حذاء ولا رداء، ثم كان يأخذ يمينا السرير مرة، ويسرة السرير مرة، حتى انتهى به إلى القبر. فنزل رسول الله صلى الله عليه وآله حتى لحده، وصب اللبن عليه، وجعل يقول: ناولوني حجراً، ناولوني تراباً رثاً. فلما أن فرغ وحث التراب عليه وسوى قبره، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إني لأعلم أنه سيلى ويصل البلاء إليه، ولكن الله يحب عبداً إذا عمل عملاً فاتقنه. فلما أن سوى التراب عليه، قالت أم سعد: يا سعد، هنيئاً لك الجنة. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا أم سعد: مه، لا تلزمي على ربك، فإن سعداً قد أصابته ضمة. قال: فرجع رسول الله صلى الله عليه وآله ورجع الناس. فقالوا له: يا رسول الله، لقد رأيناك قد صنعت مع سعد ما لم تصنع على أحد، إنك تبعت جنازته بلا رداء ولا حذاء!.

فقال: إن الملائكة كانت بلا رداء ولا حذاء، فتأسيت بها.

فقالوا: وكنت تأخذ يمينا السرير مرة، ويسرة السرير أخرى!.

قال: كانت يداي في يد جبرائيل.

قالوا: أمرت بذكره، وصليت على جنازته، ولحدته في قبره، ثم قلت: إن سعداً قد أصابته ضمة!.

فقال: نعم، إنه كان في خلقه مع أهله سوء»^(١).

تناسب عذاب الدنيا وعذاب الآخرة

ولا يخفى أن مقتضى القاعدة أن تكون ضغطة القبر بقدر سوء الفعل، فبمقدار ما أساء الإنسان في الدنيا على الدين، أو على الناس، فإنه سيجزى به، كما قال تعالى: ﴿جَزَاءٌ وَفِاقًا﴾^(٢).

فإذا كان إنسان أساء إلى الناس بسبب حكم أو زوجية أو أبوة أو ما أشبه ذلك يوماً واحداً مثلاً، أصابته الضمة يوماً واحداً مثلاً، أو بما يناسبه، وإذا كان خمسين عاماً كانت الضغطة خمسين عاماً أو بما يناسبها، وهكذا.

البرزخ والإنسان

ثم إن عالم القبر - الذي هو من عالم البرزخ - يمتد بالنسبة إلى الإنسان من يوم موته إلى يوم القيامة، وأما كم يكون زمن البرزخ؟ فإنه لا علم لنا بذلك، والله العالم.

ذكر بعض علماء الفلك: إن مدة بقاء النظام الكوني بما فيه الشمس خمسة مليارات من السنوات، وبعضهم ذكر أنه أكثر من ذلك مما يحتمل أن يكون برزخ الإنسان بهذه المدة الطويلة، فهو إما في النعيم وإما في الجحيم. وقد ذكرنا أن النعيم تفضل من الله ومنّة على عباده، فلا إشكال فيه. وأما ما يزعمه البعض من الإشكال في الجحيم، وأن الله عز وجل يقول:

(١) علل الشرائع: ج ١ ص ٣٠٩ - ٣١٠ ب ٢٦٢ ح ٤.

(٢) سورة النبأ: ٢٦.

﴿جَزَاءٌ وَفَاقًا﴾^(١)، فكيف يكون البرزخ أضعاف مقدار عصيانه في الدنيا؟.

أقول: هناك وجوه واحتمالات للجواب عن هذا السؤال:

١. يحتمل أن يكون المقدار الذي عصى فيه في الدنيا، موزعاً على هذه المدة، كما يحتمل ذلك في جهنم، وعلى هذا فمن المحتمل أن تكون بقية المدة المتخللة بينها بحيث لا يشعر بالعذاب أو ما أشبه ذلك، فتأمل.

وقد ذكرنا تفصيله في كتاب "التفسير الموضوعي للقرآن الكريم".

٢. هذا بالإضافة إلى أن بعض المعاصي تقتضي استمرارية الجزاء، كمن أعمى نفسه، فإنه لم يكن ذلك إلا في لحظات، فالمعصية لحظات ولكنه سيفقد البصر طيلة عمره، وهذا لا ينافي قانون العدل كما لا يخفى. ولعله يشم من قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾^(٢) فإنه مما لو حصل لدام.

٣. وربما قال بعض: بأن العذاب من الوعيد، وقد ذكر العلماء أن الوعيد يمكن التخلف عنه، فلا يلزم أن يكون أبدياً وإن أمكن ذلك. كما قال بعض العلماء: إن قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا﴾^(٣)، أن (الخلود) بمعنى المدة الطويلة، ولكن معنى ذلك عدم الأبدية بالنسبة إلى المخلدين، وعدم استمرار العذاب إلا في فترات، وفيه تأمل واضح.

٤. وقد أشارت بعض الروايات إلى أن السبب يعود لإصراره على عصيانه حتى وهو في جهنم، وربما دل بعضها: على أنه لو تاب في جهنم توبة نصوحاً لغفر الله له، إلا أنه لا يتوب وإن ادعى التوبة فإنه كاذب، ويدل عليه قوله

(١) سورة النبأ: ٢٦.

(٢) سورة الحديد: ١٣.

(٣) سورة النساء: ٩٣.

تعالى: ﴿بَلْ بَدَأَ لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾^(١).

وفي الصحيح: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: سمعتك وأنت تقول: كل شيعتنا في الجنة على ما كان فيهم.

قال: «صدقتك، كلهم - والله - في الجنة».

قال: قلت: جعلت فداك، إن الذنوب كثيرةٌ كبار.

قال: «أما في القيامة فكلكم في الجنة بشفاعة النبي صلى الله عليه وآله المطاع، أو وصي النبي صلى الله عليه وآله، ولكنني - والله - أتخوف عليكم في البرزخ».

قلت: وما البرزخ؟

قال: «القبر، منذ وحين موته حتى يوم القيامة»^(٢).

النمو في عالم البرزخ

ثم في عالم البرزخ ينمو الإنسان نمواً يتناسب مع عالمه، ويتكامل، ولا يتوقف، على ما يظهر من بعض الروايات.

العدل والفضل

ثم إنه لا يحاسب الإنسان على عمل غيره، فإنه:

﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾^(٣).

إلا إذا كان من باب «من سن سنة سيئة»؛ لأن قضية العقاب عدل، وقضية

الثواب فضل، والفضل يمكن أن يكون بسبب الغير، أما العدل فلا يكون إلا

(١) سورة الأنعام: ٢٨.

(٢) الكافي: ج ٣ ص ٢٤٢ باب ما ينطق به موضع القبر ح ٣.

(٣) سورة الأنعام: ١٦٤.

بسبب النفس.

متى تبدأ الشفاعة؟

لا شك في الشفاعة تكون بإذن الله تعالى ، ولن إذن له الباري عز وجل ،
وفيمن إذن له ، وبالمقدار الذي يؤذن فيه ، ومتى ما يؤذن . ومن هنا يعلم أنه قد
تختلف الشفاعة في أوقاتها ، فربما تكون في أول يوم الحشر ، وربما تكون في آخره ،
وكذلك فيما بينهما .

فليس من ليس من الضروري أن يشفع للشخص أول ما يدخل المحشر
ليدخل الجنة ، فربما يكون الإنسان في الشدة والابتلاء فترة طويلة ، وفي أواخر
ذلك اليوم الذي كان مقداره خمسين ألف سنة يشفع له ويدخل الجنة ، وربما
يدخل شخص النار ثم يخرج منها بالشفاعة .

الحساب خاص بالمكلف

مسألة: الصبيان والمجانين والذين لم تبلغهم الدعوة ومن إليهم من القاصرين، لا يحاسبون في القبر ولا يُسألون، لأن السؤال إنما يتوجه إلى المكلفين، وبذلك دلت الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة وقواعد العدالة. كما أنه إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: «ولد صالح يدعوله، وصدقه جارية، وعلم يُنتفع به»^(١).

والمراد كل ما يبقى أثره بعد وفاة الشخص، فما ذكر في الرواية من باب المثال، ويؤيده بعض الروايات التي ذكرت غيرها أيضاً، أو تعمم الصدقة الجارية لكل أعمال الخير، وإلا فكل خير وشر بقي من الإنسان يحاسب الإنسان عليه حتى في قبره، فمن بنى مسجداً يهدى الثواب إليه يومياً، ومن بنى محمراً يبعث العقاب إليه يومياً.

فعن الإمام الصادق عليه السلام، قال: قال رسول الله ﷺ: «من سن سنة حسنة فله أجرها، وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، من غير أن ينقص من أجورهم شيء»^(٢).

وعن الإمام الباقر عليه السلام، قال: «أيما عبد من عباد الله سن سنة ضلال، كان عليه مثل وزر من فعل ذلك، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء»^(٣).

وعن الإمام الصادق عليه السلام، قال: «ليس يتبع الرجل بعد موته من الأجر إلا

(١) الكافي: ج ٧ ص ٥٦ باب ما يلحق الميت بعد موته ح ١.

(٢) الكافي: ج ٥ ص ٩-١٠ باب وجوب الجهاد ح ١، تهذيب الأحكام: ج ٦ ص ١٢٤ ب ٥٥ ح ١.

(٣) ثواب الأعمال: ص ١٣٢ ثواب من سن سنة هدى.

ثلاث خصال: صدقة أجزاها في حياته فهي تجري بعد موته إلى يوم القيامة، صدقة موقوفة لا تورث، أو سنة هدى سنّها فكان يعمل بها وعمل من بعده غيره، أو ولد صالح يستغفر له»^(١).

وعن الصادق عليه السلام، قال: «فإذا قبضه الله عز وجل صير تلك الروح في قالب كقالبه في الدنيا، فيأكلون ويشربون، وإذا قدم عليهم القادم عرفوه في تلك الصورة التي كانت في الدنيا»^(٢).

وعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، قال: «إن للمسلم ثلاثة أخلاء: فخليل يقول له: أنا معك حياً وميتاً، وهو عمله. و خليل يقول له: أنا معك حتى تموت، وهو ماله، فإذا مات صار للورثة. و خليل يقول: أنا معك إلى باب قبرك ثم أخليك، وهو ولده»^(٣).

وجاء قيس بن عاصم إلى رسول الله ﷺ، فسأله أن يعظه بموعظة ينتفع بها. فقال رسول الله ﷺ: «يا قيس، إن مع العزّ ذلاً، وإن مع الحياة موتاً، وإن مع الدنيا آخره، وإن لكل شيء حسيباً، وعلى كل شيء رقيباً، وإن لكل حسنة ثواباً، وإن لكل سيئة عقاباً، ولكل أجر كتاباً، فإنه لا بد لك يا قيس من قرين يدفن معك وهو حي، وتدفن معه وأنت ميت، فإن كان كريماً أكرمك، وإن كان لثيماً أساءك، ثم لا يحشر إلا معك ولا تبعث إلا معه، ولا تُسأل إلا عنه، ولا تجعله إلا صالحاً، فإنه إن صلح أنست به، وإن فسد لا تستوحش إلا منه وهو فعلك»^(٤).

(١) الخصال: ج ١ ص ١٥١ ليس يتبع الرجل بعد موته إلا ثلاث خصال ح ١٨٤، غوالي اللآلي:

ج ٣ ص ٢٦٠ ق ٢ باب الوقف وما يتبعه ح ٢.

(٢) الكافي: ج ٣ ص ٢٤٥ باب آخر في أرواح المؤمنين ح ٦.

(٣) الأمالي للشيخ الصدوق: ص ١٠٨ المجلس الثالث والعشرون ح ٣.

(٤) بحار الأنوار: ج ٦٨ ص ١٧٠ - ١٧١ ب ٦٤ ح ١.

وعن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «سبعة أسباب يكتب للعبد ثوابها بعد وفاته: رجل غرس نخلاً، أو حفر بئراً، أو أجرى نهراً، أو بنى مسجداً، أو كتب مصحفاً، أو ورث علماً، أو خلف ولداً صالحاً يستغفر له بعد مماته»^(١).

ومن الأحاديث المختلفة يعرف: أن هذه السبعة لم تذكر إلا من باب المثال أيضاً.

وفي حديث أن سعد بن عباد، قال: إن ابن بكر أخا ساعدة، توفيت أمه وهو غائب عنها. فقال: يا رسول الله، إن أمي توفيت وأنا غائب عنها، فهل ينفعها إن تصدقتُ بشيء عنها. قال ﷺ: «نعم». قال: فإني أشهدك أن حائط المخرف صدقة عليها.

وروي عن النبي ﷺ، أنه قال: «مر عيسى ابن مريم عليهما السلام بقبر يعذب صاحبه، ثم مر به من قابل فإذا هو ليس يعذب. فقال: يا رب، مررت بهذا القبر عام أول فكان صاحبه يعذب، ثم مررت به العام فإذا هو ليس يعذب!. فأوحى الله عز وجل إليه: يا روح الله، إنه أدرك له ولد صالح فأصلح طريقاً، وأوى يتيماً، فغفرت له بما فعل ابنه»^(٢).

(١) مجموعة ورام: ج ٢ ص ١١٠.

(٢) قصص الأنبياء، للجزائري: ص ٤١٦ الفصل الثالث. عن الأمالي، عن الصادق عليه السلام، عن رسول الله ﷺ.

كن وصيَّ نفسك

مسألة: اللازم على الإنسان أن يهتم في حياته بكل عمل يريد له لنفسه بعد وفاته ؛ لأن ما يفعله في حياته أكثر ثواباً مما يتصدق به بعد مماته ، فالخير في الحياة خير له .

فمن أمير المؤمنين عليه السلام - كما في نهج البلاغة - قال : «يا ابن آدم ، كن وصيَّ نفسك ، واعمل فيه ما تؤثر أن يُعمل فيه من بعدك»^(١) .

ثم إنه مما لا شك أن الخيرات والمبرات التي تُبعث للميت تصله ، وإن كان لو فعلها في حياته لكانت أثوب وأنفع .

أما قوله تعالى : ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾^(٢) ، فقد يقال :

أولاً : إن المراد القاعدة العامة الطبيعية ، فمن الواضح أن القواعد العامة الطبيعية لها استثناءات ، ولهذا حتى صلواتنا على رسول الله صلواته ينتفع بها الرسول صلواته ، حيث يستجيب الله سبحانه هذا الدعاء ، ويصلي على حبيبه المصطفى صلواته بنزول الرحمة إضافة .

فلو كان للرسول صلواته مثلاً جنة فيها المليارات من الأزهار المختلفة ، فصلاة واحدة منّا تكون زهرة جديدة له ، أو تكون مصباحاً جديداً في قصوره ، أو ما أشبه ذلك .

وثانياً : قانون الأسباب المترامية ، فإن السعي قد يكون مباشراً وقد يكون

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج ١٩ ص ٩٥ تنمة باب الحكم والمواعظ ٢٥١ .

(٢) سورة النجم : ٣٩ .

بواسطة، فكل ما نعمله من الخير، وكل ما نسعى له من صالح الأعمال، فإنه من سعي النبي (صلوات الله عليه وعلى آله الطاهرين)، إذ بسعيه اهتدينا. وهكذا بالنسبة إلى «الدال على الخير كفاعله»^(١) كما هو المروي. وبذلك أجبنا في فقه الاقتصاد^(٢) عن الإشكال على الإرث، وأنه ليس من سعي الوارث، فكيف يرثه؟! إذ ذكرنا: أنه من سعي والده، فأعطاؤه لأولاده وورثته هو امتداد لحقه ونتيجة لسعيه، كما أن له أن يهب ماله أو يتصدق به على من لم يسع فيه، فإنه جزء حقه وسعيه.

أين عالم البرزخ؟

ثم إنه يظهر من بعض الروايات، أن المكان الذي يتواجد فيه الجسد المثالي، وهو القلب الذي بخروج الروح من الجسد الدنيوي تدخل فيه، في عالم البرزخ ما بين الموت وبين يوم القيامة، يكون وادي السلام في النجف الأشرف بالنسبة إلى المؤمنين.

وأما أرواح الكفار ومن عليهم، فتكون في أجساد مثالية في وادي برهوت في اليمن.

لكن ليس معنى ذلك أن الروح تكون هناك دائماً، بل معناه أن المحل والمستقر هناك، كدار أحدنا حيث تكون في النجف المشرف أو في كربلاء المقدسة أو في بغداد أو ما أشبه ذلك، ولكن الشخص قد يسافر إلى أماكن أخرى. ثم إن الأرواح أيضاً تذهب وتروح، وليست ساكنة في مكان دائماً، بحسب ما يؤذن لها، على ما يستفاد من الروايات.

(١) الكافي: ج ٤ ص ٢٧ باب فضل المعروف ح ٤.

(٢) موسوعة الفقه: ج ١٠٧ - ١٠٨ كتاب الاقتصاد.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «ما من مؤمن يموت في بقعة من بقاع الأرض إلا قيل لروحه: الحقي بواد السلام، وإنها لبقعة من جنة عدن»^(١).

وعن أحمد بن عمر، عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: قلت له: إن أخي ببغداد وأخاف أن يموت فيها؟ فقال: «ما تبالي حيث ما مات، أما إنه لا يبقى مؤمن في شرق الأرض وغربها إلا وحشر الله روحه إلى وادي السلام». فقلت له: وأين وادي السلام؟ قال: «ظهر الكوفة، أما كأني بهم حلق حلق قعود يتحدثون»^(٢).

وحيث إن الأرواح أجسام لطيفة في غاية اللطافة مثل النور، فلا مانع من أن تجتمع مليارات من الأرواح في بقعة من الأرض.

وفي حديث آخر عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: «إن الأرواح في صفة الأجساد في شجر في الجنة تُعارف وتساءل، فإذا قدمت الروح على الأرواح تقول: دعوها فإنها قد أقبلت من هول عظيم. ثم يسألونها: ما فعل فلان وما فعل فلان؟ فإن قالت لهم: تركته حياً ارتجوه، وإن قالت لهم: قد هلك. قالوا: قد هوى، قد هوى»^(٣).

أقول: معنى «قد هوى»، أنه ذهب إلى محل الكفار والفساق، نعوذ بالله تعالى من ذلك؛ لأنه مات ولم يأت في محل المؤمنين.

وفي رواية عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: «إن أرواح المؤمنين في حجرات

(١) الكافي: ج ٣ ص ٢٤٣ باب آخر في أرواح المؤمنين ح ١.

(٢) تهذيب الأحكام: ج ١ ص ٤٦٦ ب ٢٣ ح ١٧٠. مع اختلاف يسير حيث جاء فيه: «إن أخي ببغداد وأخاف أن يموت فيها. قال: ما تبالي حيث ما مات، أما إنه لا يبقى أحد في شرق الأرض ولا في غربها إلا وحشر الله روحه إلى وادي السلام. قال: قلت: جعلت فداك وأين وادي السلام؟ قال: ظهر الكوفة، أما إني كأني بهم حلق حلق قعود يتحدثون».

(٣) بحار الأنوار: ج ٦ ص ٢٦٩ ب ٨ ح ١٢١.

في الجنة يأكلون من طعامها ويشربون من شرابها، ويقولون: ربنا أقم لنا الساعة، وأنجز لنا ما وعدتنا، وألحق آخرنا بأولنا»^(١).

وعن أبي جعفر عليه السلام - في حديث - قال: «إن لله تعالى جنة خلقها الله في المغرب... وإليها تخرج أرواح المؤمنين من حفرهم عند كل مساء، فتسقط على ثمارها، وتأكل منها، وتنعم فيها، فتتلاقى وتتعارف. فإذا طلع الفجر هاجت من الجنة، فكانت في الهواء فيما بين السماء والأرض ذاهبة وجائية، وتعهد حفرها إذا طلعت الشمس، فتتلاقى في الهواء وتتعارف».

قال عليه السلام: «وإن لله ناراً في المشرق خلقها، تسكنها أرواح الكفار، ويأكلون من زقومها، ويشربون من حميمها ليلهم، فإذا طلع الفجر هاجت إلى واد باليمن يقال له: برهوت، أشد حراً من نيران الدنيا، كانوا فيها يتلاقون ويتعارفون، فإذا كان المساء عادوا إلى النار، فهم كذلك إلى يوم القيامة».

قال: قلت: أصلحك الله، ما حال الموحدين المقرين بنبوّة محمد صلى الله عليه وآله من المسلمين المذنبين الذين يموتون ليس لهم إمام ولا يعرفون ولا يتكلم؟

فقال: «أما هؤلاء فإنهم في حفرهم لا يخرجون منها، فإن كان منهم من له عمل صالح، فلم تظهر منه عداوة، فإنه يُخدّ له خدّاً إلى الجنة التي خلقها الله في المغرب، فيدخل عليه الروح في حفرته إلى يوم القيامة، فيلقي الله سبحانه بحسناته وسيئاته، فإما إلى جنة أو إلى نار، فهؤلاء موقوفون بأمر الله».

قال عليه السلام: «وكذلك يفعل الله بالمستضعفين والبله والأطفال والصبيان وأولاد المسلمين الذين لم يبلغوا الحلم. فأما النصاب من أهل القبلة، يُخدّ لهم خدّاً إلى النار التي خلقها الله في المشرق، فيدخل عليهم منها اللهب والشرر والدخان وفورة الحميم إلى يوم القيامة، ثم مصيرهم إلى الحميم، ثم في النار

(١) الكافي: ج ٢ ص ٢٤٤ باب آخر في أرواح المؤمنين ح ٤.

يسجرون، ثم قيل لهم: أين ما كنتم تدعون من دون الله؟ أين إمامكم الذي اتخذتموه دون الإمام الذي جعله الله للناس إماماً^(١).

ولا يخفى أن كون الجنة في المغرب والنار في المشرق، لا يراد بهما الجانب المادي في الجنة والنار، بل الجانب المعنوي، فإنّ المادية والمعنوية في هذا العالم مختلفتان بعضهما مع بعض، وقد يكون هذا معنى الفرق بين قوله ﷺ: «إن القبر روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النيران»^(٢)، وما أشبه ذلك، والأمر قد يكون كذلك بالنسبة إلى الحمى من فور جهنم. وهكذا قد يدخل المادي إلى المعنوي، كما أن المعنوي قد يدخل إلى المادي، فلذا قال العلماء: إن بين الموت والحياة خيطاً رفيعاً.

وقد رأى الإمامان الحسن والحسين (صلوات الله عليهما) أمير المؤمنين ﷺ بشخصه عندما كان يشيعانه في جنازته، كما رأى الإمام علي ﷺ رسول الله ﷺ، وكذا رأى الإمام الباقر ﷺ الإمام السجاد ﷺ قبل أن يسمّ الإمام الباقر ﷺ.

وذلك كما أنه إذا كان للشيء لون ورائحة وحجم وصوت، فإنه يكون كل واحد عالماً مستقلاً متداخلاً بعضه مع بعض، فأحد العوالم مرتبط بالأذن والآخر مرتبط بالبصر، وهكذا.

فقد رؤي في اليقظة كثير من الأموات، بل حتى الأموات الحيوانية، كما ذكروا في الكتب المعنية بهذا الشأن.

وهكذا بالنسبة إلى الجن والملك، حيث إن لهما روحاً أيضاً.

وقد رأيت أنا إنساناً شكله وحاله ينثان عن أنه إنسان خارق للعادة، فكان

(١) الكافي: ج ٣ ص ٢٤٧ باب جنة الدنيا ح ١.

(٢) بحار الأنوار: ج ٦ ص ٢١٤ ب ٨ ضمن ح ٢.

يقول: إنه يرى الأرواح وما أشبهه.

فليس من البعيد أن تكون هنالك عوالم متداخلة.

وفي القرآن الحكيم إشارات متعددة إلى ذلك؛ حيث قال سبحانه: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾^(١)، فإن تخصيص ذلك بيوم القيامة غير ظاهر من اللفظ.

وقد قال تعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾^(٢)، فإن ظاهره أن جهنم في هذا الحال محيطة بهم وليس في الآخرة فقط.

فقد تكون هذه الأمور كالأموج المتواجدة الآن في غرفة الإنسان، فإذا وجدت هناك آلة ملتقطة من راديو أو تلفزيون أو النقال أو صحن فضائي التقطها، وإلا لم يحس بتلك الأمواج بسبب أحد الحواس الخمس الظاهرة، ولعل هناك عوالم أخر ليست لنا حواسها حتى ندركها.

كما لو فرض جمع للعيان، فإنهم لا يحسون بوجود الأشكال والألوان والصور وما أشبه مع أنها موجودة، بل لعلمهم لا يتعلقونها أيضاً.

ولذا قيل: (من فقد حساً فقد فقد علماً)^(٣)، فالعلوم التي نكتسبها كثير منها بسبب الحواس الخمس، وهناك من يدعي أن في هذا العالم حاسة سادسة أيضاً^(٤).

(١) سورة البقرة: ٢٧٥.

(٢) سورة التوبة: ٤٩، سورة العنكبوت: ٥٤.

(٣) المنطق للمظفر: ج ٣ ب ٦ ص ٣٣٠ المشاهدات والتجربيات، ص ٣٦٧ الطريق الأساسي الفكري لتحصيل البرهان.

(٤) هناك نظرية اسمها الرمزي: الأوتار الفائقة، وحاصلها: عندما خلق الله الكون قبل عشرين مليار سنة، كان هناك عشرة أبعاد، والتي منها: الطول، والعرض، والعمق، والزمان، وثمة ستة من تلك الأبعاد أصبحت مخفية عن حواسنا. وقد كشف العلم الحديث البعد الخامس، ◀ وهو القوة الكهربائية والمغناطيسية والمعبر عنها الكهرو مغناطيسية، ولكنها تترك علامات بما ▶

أما بالنسبة إلى الذين يخلدون في النار، فهم المعاندون، لا المستضعفون والبُله والضعفاء ومن إليهم، وإن كانوا منكرين لله جهلاً لا عمداً، فكيف بسائر الأصول وجميع الفروع. وقد ذكر علماء الكلام تفصيل هذه الأمور في كتبهم المفصلة، وأشرنا إلى ذلك في "شرح التجريد" وغيره^(١).

وعلى أي حال: فقد سئل الإمام الصادق عليه السلام، عن جنة آدم عليه السلام، أ من جنان الدنيا كانت أم جنان الآخرة؟. فقال: «كانت من جنان الدنيا تطلع فيها الشمس والقمر، ولو كانت من جنان الآخرة ما خرج منها أبداً»^(٢).

وورد في تفسير قوله عز وجل: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾^(٣)، قال: «ذلك في جنان الدنيا قبل القيامة». والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾، فالبكرة والعشي لا تكونان في الآخرة في جنان الخلد، وإنما تكون البكرة والعشي في جنان الدنيا التي تنقل إليها أرواح المؤمنين، وتطلع فيها الشمس والقمر.

وفي قوله سبحانه: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ * خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾^(٤)، فقال: فهذا في نار الدنيا قبل القيامة، وأما قوله: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فِي الْجَنَّةِ

ينشأ عنها من كهرباء ونشاط إشعاعي نووي، وما يتعلّق بذلك من ظواهر. ومن النتائج الأخرى المترتبة على هذه النظرية، أن هناك كوناً خفياً بالكامل يعمل هنا في الداخل مباشرة من الكون المألوف لنا، ونحن لا يمكننا رؤيته لكن يمكننا أن نشعر به، ووزنه يشدنا عن طريق الجاذبية، وهو يؤثر في مسارات المجرات والنجوم.

(١) انظر كتاب "القول السديد في شرح التجريد"، وكتاب "شرح منظومة السبزواري" للإمام المؤلف قدس سره.

(٢) بحار الأنوار: ج ٦ ص ٢٨٥ ب ٩ ح ٣.

(٣) سورة مريم: ٦٢.

(٤) سورة هود: ١٠٦ - ١٠٧.

خَالِدِينَ فِيهَا ^(١)، يعني في جنان الدنيا التي تنقل إليها أرواح المؤمنين ﴿مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبِّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْذُودٍ﴾ ^(٢)،

يعني غير مقطوع من نعيم الآخرة في الجنة يكون متصلاً به.

أقول: أمّا قوله: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبِّكَ﴾ مع وضوح أن من في الجنة لا يخرج منها أبداً، فلا فائدة أن الأمر ليس جبراً، وإنما بمشيئة الله تعالى.

وعن الإمام الصادق عليه السلام، قال: «وكان فيما سأله ملك الروم الحسن بن علي عليه السلام أن سأله عن أرواح المؤمنين أين يكونون إذا ماتوا؟ قال: تجتمع عند صخرة بيت المقدس في ليلة الجمعة، وهو عرش الله الأدنى، منها يبسط الله الرزق، وإليها يطويها، وإليه المحشر، ومنها يسري ربنا إلى السماء والملائكة. ثم سأل عن أرواح الكفار أين تجتمع؟ قال: تجتمع في واد حضرموت، وراء مدينة اليمن» ^(٣).

أقول: لا ينافي هذا الحديث ما تقدم من لحوق أرواح المؤمنين بوادي السلام، إذ من الممكن أن في ليالي الجمعة تذهب الأرواح إلى تلك الصخرة في البيت المقدس، كما أن من الممكن أن يكون ذلك بالنسبة إلى المسيحيين المؤمنين بقريئة كون السائل ملك الروم، ولا غرابة في ذلك بأن يكون لكل من الدينين مكان لاجتماع الأرواح.

وعن الإمام الباقر عليه السلام، قال: «جاء رجل إلى النبي صلوات الله عليه وآله. فقال: يا رسول الله، رأيت أمراً عظيماً. فقال: وما رأيت؟ قال: كان لي مريض فُنِعِت له ماء من بئر الأحقاف يستشفى به في برهوت. قال: فهيات معي قربة وقدحاً لآخذ من مائها فأصب في القربة، فإذا شيء قد هبط من جو السماء بهيئة السلسلة وهو

(١) سورة هود: ١٠٨.

(٢) سورة هود: ١٠٨.

(٣) تفسير القمي: ج ٢ ص ٢٧١ - ٢٧٢ مسائل ملك الروم للحسن عليه السلام.

يقول: يا هذا، اسقني الساعة أموت. فرفعت رأسي ورفعت إليه القدح لأسقيه. فإذا رَجُلٌ فِي عُنُقِهِ سِلْسِلَةٌ، فَلَمَّا ذَهَبَتْ أَنْوَالُهُ الْقَدْحِ اجْتَذِبَ حَتَّى عُلِقَ بِالشَّمْسِ. ثم أقبلت على الماء أغرف إذ أقبل الثاني وهو يقول: العطش العطش يا هذا، اسقني الساعة أموت. فرفعت القدح لأسقيه فاجتذب حتى علق بعين الشمس. حتى فعل ذلك الثالث وشدت قربتي ولم أسقه!. فقال رسول الله ﷺ: ذلك قابيل ابن آدم قتل أخاه، وهو قول الله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطٌ كَفَيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ (١) (٢).

أقول: تعلقه بالشمس، إما أمر قد ترى لهذا الأعرابي، أو أنه حقيقة تعلق بالشمس، ومن الواضح أن المسافة بين الشمس والأرض بالنسبة إلى الأرواح في أقل من لحظة. وقد ذكرت بعض الصحف أن جملة من علماء الغرب يفكرون في تجريد الأرواح عن الأجساد وهي حية، وإرسالها إلى المجرات الأخرى، وهذا غير بعيد حيث إن جمعاً من قدماء الحكماء ومن العلماء، تمكنوا من تجريد أرواحهم عن أجسادهم ثم إرجاعها إليها. ففي بعض القصص ما يدل على أنه يوجد في الهند بعض الناس يخرجون الأرواح من الأجساد ثم يرجعونها.

كما أن جمعاً من علماء الغرب يفكرون في تبديل المادة إلى الطاقة، ثم إرسالها إلى المجرات الأخرى، ثم إرجاع الطاقة إلى المادة، كما جرى مثل ذلك بالنسبة إلى طاقة الصوت وإرجاعها إلى المادة.

وخدمة الملك والجن للأنبياء والأئمة (صلوات الله عليهم أجمعين) وبعض

(١) سورة الرعد: ١٤.

(٢) تفسير القمي: ج ١ ص ٣٦١.

الصالحين، وحتى بعض المرتاضين شيء معروف، وقد تكون مرتبطة بما نحن فيه ومن مصاديقه.

وهناك سلسلة من الكتب كتبها علماء العصر سواء في الغرب أم في الشرق^(١) فيها الشيء الكثير من هذه الأمور، مما لا يدع مجالاً للشك فيما ورد في الروايات، حتى لمن لا إيمان له بها. وكثيرٌ من هؤلاء العلماء ليسوا بمسلمين ولا متدينين إطلاقاً، وإنما أوصلتهم التجارب المؤدية إلى هذه الحقائق.

إشكال وجواب

إن قلت: كيف يمكن أن يكون (بين القبر والمنبر روضة من رياض الجنة)، ولا تكون روضة بالنسبة إلى ما هو جنب ذلك، من غير تفاعل ولا تمازج؟ أو تكون الحمى من فوح جهنم، وإلى جنب ذلك من ليس مصاباً بالحمى، ولا يتأثر هذا بذلك ولا يؤثر فيه؟.

أليس في الآخرة الأشياء متصلة بعضها ببعض كما في الدنيا؟.

قلت: كما هنالك عوازل مادية، هنالك أيضاً عوازل وحواجز وسدود غيبية، وإن في الدنيا أيضاً ليس من الضروري اتصال الأشياء بعضها مع بعض، وتأثيرها فيها أو تفاعلها معها إلا في بعض الشؤون، ولذا نجد ماءً عذباً في قطعة من الأرض، وفي جواره ماء غير عذب، بل نجد نهراً عذباً في بحر ماء مالح، قال تعالى:

﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾

(١) ومن هذه الكتب: "على حافة العالم الأثيري" وكتاب "الإنسان روح لا جسد" للدكتور علي عبد الراضي.

وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخاً وَحِجْراً مَّحْجُوراً ﴿١﴾.

وقال سبحانه: ﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَاراً وَجَعَلَ خِلالَهَا أَنْهَاراً وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِي وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزاً أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بِلْ أَكْثَرُ هُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٢﴾.

وقال تعالى: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾ ﴿٣﴾.

وكذلك بالنسبة إلى المياه الكبرى والمالحة وما أشبهه، وهكذا تكون قطعة من الأرض ذات تراب طيب، وإلى جنبها قطعة ذات تراب غير جيد. وهكذا نشاهد أن الشمس في أول شروقها أو في وقت غروبها - وكذلك القمر - تشرق في مكان دون مكان مجاور له، والريح أحياناً تهب في ناحية دون ناحية مجاورة، فلا مانع من أن تكون فوح جهنم في هذا الإنسان دون هذا الإنسان المجاور له، والروضة من رياض الجنة في هذه القطعة دون القطعة الأخرى المجاورة لها.

ولنعم ما قاله دعبل الخزاعي (رضوان الله عليه):

قبران في طوس خير الناس كلهم وقبر شرهم هذا من العبر

ما ينفع الرجس من قبر الزكي وما على الزكي بقرب الرجس من ضرر^(٤)

كلام العلامة المجلسي رحمته الله:

قال العلامة المجلسي قدس سره:

(١) سورة الفرقان: ٥٣.

(٢) سورة النمل: ٦١.

(٣) سورة الرحمن: ١٩ - ٢٠.

(٤) بحار الأنوار: ج ٤٨ ص ٣٢٤ خاتمة شريفة في فضيلة بقعة الرضا (صلوات الله عليه).

(اعلم أن الذي ظهر من الآيات الكثيرة، والأخبار المستفيضة، والبراهين القاطعة، هو أن النفس باقية بعد الموت، إما معذبة إن كان ممن محض الكفر، أو منعمة إن كان ممن محض الإيمان، أو يُلهى عنه إن كان ممن المستضعفين، ... ويسأل بعضهم عن بعض العقائد وبعض الأعمال، ويثاب ويعاقب بحسب ذلك، وتضغط أجساد بعضهم، وإنما السؤال والضغط في الأجساد الأصلية، وقد يرتفعان عن بعض المؤمنين، كمن لقن - كما سيأتي - أو مات في ليلة الجمعة أو يومها، أو غير ذلك مما مر، وسيأتي في تضاعيف أخبار هذا الكتاب.

ثم تتعلق الروح بالأجساد المثالية اللطيفة، الشبيهة بأجسام الجن والملائكة، المضاهية في الصورة للأبدان الأصلية، فينعم ويعذب فيها، ولا يبعد أن يصل إليه الآلام ببعض ما يقع على الأبدان الأصلية لسبق تعلقه بها، وبذلك يستقيم جميع ما ورد في ثواب القبر وعذابه، واتساع القبر وضيقه، وحركة الروح وطيرانه في الهواء، وزيارته لأهله، ورؤية الأئمة عليهم السلام بأشكالهم، ومشاهدة أعدائهم معذبين، وسائر ما ورد في أمثال ذلك مما مر وسيأتي. فالمراد بالقبر في أكثر الأخبار ما يكون الروح فيه في عالم البرزخ، وهذا يتم على تجسم الروح وتجرده، وإن كان يمكن تصحيح بعض الأخبار بالقول بتجسم الروح أيضاً بدون الأجساد المثالية، لكن مع ورود الأجساد المثالية في الأخبار المعتبرة المؤيدة بالأخبار المستفيضة، لا محيص عن القول بها، وليس هذا من التناسخ الباطل في شيء...

بل لا يبعد القول بتعلق الروح بالأجساد المثالية عند النوم أيضاً، كما يشهد به ما يرى في المنام، وقد وقع في الأخبار تشبيه حالة البرزخ وما يجري فيها بحالة الرؤيا، وما يشاهد فيها كما مر، بل يمكن أن يكون للنفوس القوية العالية أجساد مثالية كثيرة كأئمتنا (صلوات الله عليهم)، حتى لا نحتاج إلى بعض التأويلات والتوجيهات في حضورهم عند كل ميت، وسائر ما سيأتي في كتاب الإمامة في

غرائب أحوالهم، من عروجهم إلى السماوات كل ليلة جمعة، وغير ذلك...) (١).

كلام الشيخ المفيد رحمته الله:

قال الشيخ المفيد رحمته الله (٢): (قد ورد عن أئمة الهدى عليهم السلام، أنهم قالوا: ليس يُعذَّب في القبر كل ميت، وإنما يُعذَّب من جملتهم مَنْ مَحَضَ الكفر محضاً، ولا ينعم كل ماض بسبيله، وإنما ينعم بها مَنْ محض الإيمان محضاً، وأما ما سوى هذين الصنفين فإنه يلهى عنهم. وكذلك روي أنه لا يسأل في قبره إلا هذان الصنفان خاصة، وعلى ما جاء به الأثر من ذلك يكون الحكم ما ذكرناه؛ فأما عذاب الكافر في قبره، ونعيم المؤمنين فيه، فإن الخبر أيضاً قد ورد بأن الله تعالى يجعل روح المؤمن في قلب مثل قلبه في الدنيا، في جنة من جنانه، ينعمه فيها إلى يوم الساعة، فإذا نفخ في الصور أنشأ جسده الذي بلي في التراب وتمزق، ثم أعاده إليه وحشره إلى الموقف، فأمر به إلى جنة الخلد، فلا يزال منعماً ببقاء الله

(١) بحار الأنوار: ج ٦ ص ٢٧٠ - ٢٧١ ب ٨ أحوال البرزخ والقبر وعذابه.

(٢) أبو عبد الله محمد بن محمد بن نعمان الملقب بالمفيد. وُلد سنة (٣٣٦هـ)، وتوفي سنة

(٤١٣هـ)، وقد وجد على قبره مكتوباً بخط الإمام الحجة عليه السلام:

لا صوت الناعي بفقرك أنه يوم على آل الرسول عظيم

إن كنت قد غيبت من جدث الثرى فالعدل والتوحيد فيك مقيم

والقائم المهدي يفرح كلما تليت عليك من الدروس علوم

ويعد عليه السلام من الفقهاء المعروفين بالعلم والزهد والتقوى. آلت إليه الرئاسة الدينية في زمانه، وكان يحظى بمنزلة رفيعة في دولة آل بويه، ألف أكثر من مائتي كتاب منها: "الرسالة المقنعة"، "الأركان في دعائم الدين"، "الإيضاح في الإمامة"، "الإرشاد"، "الإفصاح"، "الاختصاص"، "العيون والمحاسن"، "نقض فضيلة المعتزلة". ترجمه روضات الجنات ج ٦ ص ١٥٣.

عز وجل ، غير أن جسده الذي يُعاد فيه لا يكون على ترتيبه في الدنيا ، بل تعدل أطباعه وتحسن صورته ، فلا يهرم مع تعديل الطباع ، ولا يمسه نصب في الجنة ولا لغوب.

والكافر يُجعل في قالب كقالبه في الدنيا في محل عذاب يعاقب به ، وناراً يعذب بها حتى الساعة ، ثم ينشأ جسده الذي فارقه في القبر ويعاد إليه ، ثم يعذب به في الآخرة عذاب الأبد ، ويرتب أيضاً جسده ترتيباً لا يفنى معه . وقد قال الله عز وجل : ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾^(١) ، وقال في قصة الشهداء : ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتاً بَلْ أحياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَزَقُونَ﴾^(٢) ، فدل على أن العذاب والثواب يكون قبل يوم القيامة وبعدها . والخبر وارد بأنه يكون مع فراق الروح عن الجسد من الدنيا)^(٣) ، انتهى بتلخيص .

ولا يخفى : إن ما ذكرناه وذكرناه هو الصحيح الذي جاء في الآيات والروايات على التفصيل المتقدم ، بخلاف ما ذكره بعض الفلاسفة من الفسخ والنسخ والمسح والرسخ والمرخ ، فهو خلاف الروايات الشريفة ولا دليل عليها ، بل الدليل على عكسها .

❖ فالفسخ عند الفلاسفة : عبارة عن البطلان ، فإنهم يقولون : إذا خرجت الروح عن الجسد ، فإن الجسد كما يبطل ، تبطل الروح أيضاً .

أقول : ولا يخفى ما فيه ، وقد أوضحنا بطلانه وبطالان ما سيأتي في كتبنا في (الكلام) والعقائد ، كما أوضح ذلك العلماء الأبرار (رضوان الله تعالى عليهم أجمعين) في كتبهم ، ككتابي "حق اليقين" للعلامة المجلسي (رحمه الله تعالى) ، والعلامة السيد

(١) سورة غافر : ٤٦ .

(٢) سورة آل عمران : ١٦٩ .

(٣) المسائل السروية : ص ٦٢ - ٦٤ المسألة الخامسة ، عنه بحار الأنوار : ج ٦ ص ٢٧٢ - ٢٧٣ ص ٨ .

عبد الله شبر (رحمه الله تعالى) وغيرهما.

❖ والنسخ عندهم : إن الإنسان الجديد عبارة عن نسخة ثانية من الإنسان القديم ، فإذا خرجت روح الإنسان دخلت في إنسان ثانٍ في بطن أمه ، فإذا خرج الجنين يكون حاملاً لروح ذلك الإنسان الذي مات ، فإن كان الإنسان الأول مُحسناً دخلت روحه في بدن إنسان يكون في النعيم ، وكان إنساناً محبوباً منعماً في راحة وأمان ، وإن كان مسيئاً دخلت الروح في بدن إنسان يكون في الدنيا في الشدة والألم.

أقول : ولا يخفى ما فيه.

❖ والمسوخ ، والقائل به يعتقد أن روح الإنسان تدخل في حيوان محظوظ أو معذب حسب ما كان يحمل من الصفات للإنسان الأول. مثلاً : المتكبر يدخل في نملة حتى تُوطأ تحت الأقدام ، والذي يؤذي الناس بلسانه يدخل في جسم عقرب!.

أقول : وهذا كما ترى ، نعم ورد في بعض الأحاديث أن بعض الناس يحشرون يوم القيامة في صور حيوانات مختلفة كالقردة والخنازير وما أشبهه ، وهذا غير ما قاله هؤلاء من حصول ذلك في عالم الدنيا ، ومسوخ الإنسان بدخول روحه في حيوان دنيوي.

❖ والرسوخ ، يقولون : ترسخ روحه في شجرة مناسبة لأعماله السابقة من الحُسن والقبح ، فالقبيح يدخل في شجرة الشوك ، والحسن يدخل في شجرة التفاح مثلاً.

أقول : وفيه ما لا يخفى.

❖ المرخ ، يقولون : يدخل في حجر من الأحجار لأنه يمرخ به ، فيكون حجراً يشعر لوجود هذه الروح فيه ، لكن الحجر يكون في حال نعيم كما في

الأحجار على شطوط الأنهار وما أشبهه ، أو يكون في حجر يكون في حالة أذية كالحجر المفروش به الأرض ، أو ما يصنع منه الكورة وما أشبه ذلك .

أقول : الحق أنه في الروايات ليست لهذه الدعاوى عين ولا أثر ، وإنما إذا خرجت الروح تدخل في قالب مثالي سواء كان منعماً أو معدباً أو ملهياً عنه .

وقد سأل زنديق من الإمام الصادق عليه السلام ، قال : فأخبرني عن الروح ، أ غير الدم ؟ .

قال عليه السلام : «نعم ، الروح على ما وصفت لك ، مادتها من الدم ، فإذا جمد الدم فارقت الروح البدن» .

قال : هل توصف بحفّة وثقل ووزن ؟ .

قال عليه السلام : «ليس لها ثقل ولا وزن» .

قال : أفتتلاشى الروح بعد خروجها عن قالبها أم هي باقية ؟ .

قال عليه السلام : «بل هي باقية إلى وقت ينفخ في الصور»^(١) .

وقال الإمام الصادق عليه السلام لأحد الرواة في وصف الروح : «فإذا قبضه الله عزّ وجل ، صير تلك الروح في قالب كقالبه في الدنيا ، فيأكلون ويشربون ، فإذا قدم عليهم القادم عرفوه بتلك الصورة التي كانت في الدنيا»^(٢) .

أقول : من نافلة القول أن نذكر :

إن مثل هذه الروايات التي عبرت عن الراوي ومن أشبهه بالزنديق وما أشبه ذلك ، لا يعلم صحة النسبة ، وأن السائل هل كان زنديقاً مطلقاً حقيقة أم لا ، بل ربما يشكّ في الأمر بالنسبة إلى أولئك الذين اتهموا بالزندقة ؛ إذ من كان يسمون بالخلفاء كانوا يتهمون من لم يكن على مشربهم بما استطاعوا من الاتهامات ،

(١) بحار الأنوار : ج ٥٨ ص ٣٤ - ٣٥ ب ٤٢ ح ٧ .

(٢) تهذيب الأحكام : ج ١ ص ٤٦٦ ب ٢٣ ح ١٧١ .

كشرب الخمر والزنا والزندقة والارتداد وما أشبهه، كما هي عادة السياسة الديكتاتورية في كل زمان ومكان، ومنهم المستبدون والديكتاتوريون في زماننا، وذلك بهدف إسقاطهم معنوياً في أنفس الناس حتى يتمكنوا من تصفيتهم جسدياً.

وإننا حيث نذكر لفظ الزنديق في كتبنا، فالمراد من أطلقت عليه هذه الصفة، لا الالتزام بأنه كان زنديقاً واقعاً، إذ لا علم لنا بذلك. وإن كان لا يهمنا هذا الأمر إلا بالنسبة إلى كتب الفقه والأصول وما أشبهه، ولعله غير ذي أثر فيها؛ لأن العمدة جواب الإمام عليه السلام اللهم إلا بلحاظ القرينية، وللتفصيل موضع آخر.

تنزيه أولاد الأئمة عليهم السلام

هذا فضلاً عما جاء في بعض التواريخ: من اتهام بعض أولاد الأئمة عليهم السلام، وبعض أصحابهم المؤمنين (رضوان الله تعالى عليهم) بالانحراف، فإنه يحتاج إلى فحص وبحث ودليل حتم، وإلا فالأصل عدمه.

فإن المخالفين مهما تمكنا اتهاموا الأئمة عليهم السلام، فإذا لم يتمكنوا من اتهام الإمام عليه السلام اتهموا أولاده وأصحابه ومن يمت إليه بصلة، حتى من يتردد عليهم ويختلف إليهم أو يسألهم ويحاورهم، والله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون.

أشراط الساعة في القرآن الكريم

مسألة: من المستقبلات أشراط الساعة، وقد أخبر ببعضها القرآن الحكيم.
ثم إن المستقبلات التي أشار إليها القرآن ووقتها، منها ما قد رأى الناس بأنفسهم وقوعها وصدقها، مثل قوله تعالى: ﴿فِي بضع سنين﴾^(١).
وقوله سبحانه: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾^(٢)، مما دلّ على عدم إيمان أبي لهب حتى الموت.

وقوله عز وجل: ﴿لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾^(٣)، إلى غير ذلك.

وهناك كثير من الأمور المستقبلية التي لم تقع بعد، أو لا نعلمها وهي في طور الخفاء حتى يأتي وقتها، كقصة خروج يأجوج ومأجوج وتفصيله.
قال سبحانه: ﴿وَمَا أُوْتِيتُمْ مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(٤).

فمن هما؟ وكيف يكون خروجهما؟ وذلك من أشراط الساعة مستقبلاً.
وكذلك دابة الأرض التي تكلمهم، فما هي؟ وهذه أيضاً من أشراط الساعة مستقبلاً.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ

(١) سورة الروم : ٤ .

(٢) سورة المسد : ١ .

(٣) سورة الفتح : ٢٧ .

(٤) سورة الإسراء : ٨٥ .

تُكَلِّمُهُمْ ﴿١﴾.

ثم إن التفسيرات التي لا تستند إلى كلام المعصوم عليه السلام ليست إلا ظنّيات، وقد تكون كالتقاسيمات ولا حجية فيها.

فهل (دابة الأرض) مثلما ورد في التاريخ، أن معجزة نبي الجوس كانت تكلم الأبقار مع الناس، وأيضاً كان من معجزاته أنه يأخذ النار في كفه فلا يحترق بها.

فهل دابة الأرض من قبيل تلك لكن بخصوصيات فريدة، ككون طولها ستين ذراعاً، أو غيرها على ما ذكره البعض في تفسير الآيات؟.

وهل ذلك من التفسير، أو من المصداق، أو من التشبيه والتقريب؟.

ذلك ما لا يعلمه إلا الله تعالى والراسخون في العلم عليهم السلام.

نعم، لا شك في ما ذكرته الروايات المتعددة المذكورة في تفسير "الصافي" و"البرهان" وغيرهما، من كون دابة الأرض هو أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام)، فلا ينبغي أن ينكره الإنسان أو يستغربه بمجرد أنس الذهن بمعنى كلمة (دابة)، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ﴾^(٢)، إذ المراد بالدابة كل ما يدب على الأرض، فيشمل الإنسان أيضاً كما هو واضح.

قال في المصباح: (فإن تخصيص الفرس والبغل بالدابة عند الإطلاق فعرف طار، وتطلق الدابة على الذكر والأنثى، وكل ماشٍ على الأرض حتى الطير؛ لأنه يدب برجليه في بعض حالاته)^(٣)، انتهى.

ولذا يقال: دب الطفل أي مشى مشياً رويداً، وكذا يقال: دب الجيش

(١) سورة النمل: ٨٢.

(٢) سورة النور: ٤٥.

(٣) انظر مجمع البحرين: ج ٢ ص ٥٥ مادة (دب) عن المصباح.

ديبياً، أي سار سيراً.

وعلى أي: فإن من أشرط الساعة:

١: خروج يأجوج ومأجوج، كما نطق به القرآن الحكيم في سورة الكهف.
﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ
قَوْلًا * قَالُوا يَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ
فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا * قَالَ مَا مَكَّنِّي
فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا * آتُونِي زُبَرَ
الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا
قَالَ آتُونِي أَفْرَغْ عَلَيْهِ قَطْرًا * فَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا
اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا * قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي
جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾^(١).

وقال سبحانه: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِّن كُلِّ حَدَبٍ
يَنْسِلُونَ * وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقِّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارِ الَّذِينَ
كَفَرُوا﴾^(٢).

أما قول بعضهم: (إن العلماء اكتشفوا كل مناطق الأرض فلم يجدوا سداً
كذلك ولا غيرها)، فهو مردود بأن العلماء لم يكتشفوا الأرض بكاملها، وقد
بقي الكثير مما هو مجهول، فهل اكتشفوا (مثلث برمودا) بكل أجهزتهم ووسائلهم
التقنية؟ وهل اكتشفوا كل مناطق القطبين؟ ولعل هناك في ذلك المثلث أو غيره ما
يشير إلى يأجوج ومأجوج.

ولعل الأمر من قبيل (الصرف)، ولعل السد من نوع آخر لا تدركه
حواسنا، فتأمل.

٢: دابة الأرض، قال تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ

(١) سورة الكهف: ٩٣ - ٩٨.

(٢) سورة الأنبياء: ٩٦ - ٩٧.

دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿١﴾.

٣: طلوع الشمس من المغرب، قال عز وجل: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَضِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾ (٢).

فعن الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام - في قوله عز وجل: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا﴾ - قال: «طلوع الشمس من المغرب، وخروج الدابة، والدخان» (٣).

وروى أبو بصير، عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: «إذا طلعت الشمس من مغربها، فكل من آمن في ذلك اليوم لا ينفعه إيمانه» (٤).

أقول: ذلك لأن الإيمان في ذلك اليوم إيمان اضطرار أو ما أشبهه، والإيمان إنما يفيد إذا كان باختيار، ولذا لم ينفع إيمان المنافقين كما لم ينفع إيمان فرعون حين أدركه الغرق.

٤: الدخان، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ * يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ * رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ (٥)، وورد في بعض التفاسير أن الدخان يمكث على الناس أربعين يوماً.

إلى غير ذلك من أسرار الساعة مما جاء في التفاسير والروايات. ومن الواضح أن الله تعالى جعل هذه الدنيا دنيا أسباب ومسببات، وجعل

(١) سورة النمل: ٨٢.

(٢) سورة الأنعام: ١٥٨.

(٣) بحار الأنوار: ج ٦ ص ٣١٢ ب ١ ح ١٣.

(٤) بحار الأنوار: ج ٦ ص ٣١٣ ب ١ ح ١٨.

(٥) سورة الدخان: ١٠ - ١٢.

للمسببات علائم، فكما للأمراض علائم، وللصحة والفساد في الأشجار والبهائم والفصول وما أشبه علائم، كذلك جعل الله عزَّ وجلَّ لنهاية الدنيا وقيام الساعة وحصول القيامة علائم، كما أنه جعل لظهور الإمام المهدي (عجل الله فرجه) علائم، وكذلك كان الأمر بالنسبة إلى كثير من الأنبياء عليهم السلام فكانت تأتي قبلهم علائم، وتسمى تلك العلائم بالإرهاصات وما أشبه.

الصُّور

مسألة: من الأحداث الكبرى التي ستقع في المستقبل قبل انتهاء الدنيا، نفخ الصور حيث ينفخ فيه إسرئيل عليه السلام.

والصُّور - على ما ورد - عبارة عن قرن له طرفان أحدهما في المشرق والآخر في المغرب، وإسرئيل قابض عليه منتظر لأمر الله سبحانه، فإذا أمره نفخ فيه، ويموت حينئذ كل الناس بأجمعهم، ثم بعد موت الناس تموت سائر الكائنات من الملائكة والحوار والولدان ومن أشبهه.

ثم إنه ما هو القرن؟ وما هي حقيقته؟ وهل هو ذو حجم وشكل مادي كالذي نعهده؟ أم هو إشارة إلى أمر آخر مادي أو غيبي؟
قال تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(١).

إن الروايات الشريفة الواصلة إلينا، توضح جانباً من ذلك، فعن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله: «الصور قرن من نور، التقمه إسرئيل فينفخ فيه»^(٢).
ولتقريب الصورة في الذهن فقط نمثل: بأشعة الليزر التي تحتويها الأجهزة، ثم تطلقها، وهذا تقريب فقط، وإلا فإن الأمر أعظم وأكبر، بل لعل عقولنا لا تستوعبه إطلاقاً.

قال الإمام زين العابدين عليه السلام: «وإسرئيل صاحب الصُّور الشاخص، الذي ينتظر ذلك الإذن وحلول الأمر»^(٣).

(١) سورة الإسراء: ٨٥.

(٢) تفسير شبر: ص ١٥٧ سورة الأنعام الآية ٧٣.

(٣) الصحيفة السجادية: الدعاء ٣، وكان من دعائه عليه السلام في الصلاة على حملة العرش وكل ملك مقرب.

ومن الواضح أن إسرائيل عليه السلام من كبار الملائكة وله أعمال كثيرة، على ما يظهر من الآيات والروايات، فليس موكلًا بهذا الأمر فقط.

قال سبحانه: ﴿وَنُفِّخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾^(٢).

وقال سبحانه: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَنَزَعْنَا مِنَ السَّمَاوَاتِ وَمِنَ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾^(٣).

وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ * فَلَا يَسْتِطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ * وَنُفِّخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ * قَالُوا يَوَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ * إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾^(٤).

عدد النفخات

وكما يظهر من الآيات والروايات أن هناك نفختين:

١: نفخة أولى يموت كل الناس وغيرهم من الأحياء.

٢: ونفخة ثانية يحيا بها كل الناس وغيرهم.

وفي التفسير أن نفخة الموت في آخر الزمان، حيث يصاح بهم صيحة وهم في أسواقهم يتخاصمون، فيموتون كلهم في مكانهم لا يرجع أحد منهم إلى منزله

(١) سورة الكهف: ٩٩.

(٢) سورة طه: ١٠٢.

(٣) سورة النمل: ٨٧.

(٤) سورة يس: ٤٨ - ٥٣.

ولا يوصي بوصية، وذلك قوله سبحانه: ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾^(١).

ثم ذكر عز وجل النفخة الثانية بقوله: ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾^(٢).

وفي آية أخرى: ﴿وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ﴾^(٣).

وقال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾^(٤).

ثم إن قوله سبحانه: ﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾، إشارة إلى أن النفخة لا تمت الكُلَّ، فإن الملائكة ومن إليهم تموت بعد تلك النفخة، وهكذا إسرافيل نفسه.

وقال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمَ الْوَعِيدِ * وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ * لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَتَفُنَا عَنْكَ غِطَاءً كَفَبَصْرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾^(٥).

وقال سبحانه: ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمَ الْخُرُوجِ﴾^(٦).

وقد سأل بعض الرواة الإمام علي بن الحسين عليه السلام، قال: كم بين النفختين؟ قال عليه السلام: «ما شاء الله». قال له: فأخبرني يا ابن رسول الله، كيف

(١) سورة يس: ٥٠.

(٢) سورة يس: ٥٣.

(٣) سورة ص: ١٥.

(٤) سورة الزمر: ٦٨.

(٥) سورة ق: ٢٠ - ٢٢.

(٦) سورة ق: ٤٢.

ينفخ فيه؟.

قال عليه السلام: «أما النفخة الأولى فإن الله يأمر إسرافيل، فيهبط إلى الدنيا ومعه صور، وللصور رأس واحد وطرفان، وبين طرف كل رأس من هنا ما بين السماء والأرض - قال - فإذا رأت الملائكة إسرافيل وقد هبط إلى الدنيا ومعه الصور، قالوا: قد أذن الله في موت أهل الأرض، وفي موت أهل السماء - قال - فيهبط إسرافيل في حظيرة بيت المقدس ويستقبل الكعبة، فإذا رأوا أهل الأرض، قالوا: أذن الله بموت أهل الأرض - قال - فينفخ فيه نفخة فيخرج الصوت من الطرف الذي يلي الأرض، فلا يبقى في الأرض روح إلا صعق ومات، ويخرج الصوت من الطرف الذي يلي السماوات، فلا يبقى في السماوات روح إلا صعق ومات إلا إسرافيل - قال - فيقول الله تعالى: يا إسرافيل، مُت. فيموت إسرافيل، فيمكثون في ذلك ما شاء الله، ثم يأمر السماوات فتموت، فيأمر الجبال فتسير»^(١).

(١) تفسير القمي: ج ٢ ص ٢٥٢ كيفية نفخ الصور.

المخلوقات بين الفناء والتجزئة

مسألة: ظاهر الأدلة السمعية من الآيات الكريمة والروايات الشريفة، فناء الأشياء في المستقبل فناءً مطلقاً، حتى لا يبقى شيء إلا الله عز وجل، فيكون الله وحده ولا شيء معه أبداً كما كان في الأول، ثم يكون بعد ذلك يوم القيامة. أما أدلة القائلين بتفرق الأجزاء وتجمعها كالسبزواري^(١) وغيره من المتكلمين، حيث قال السبزواري:

إعادة المعهوم مما
امتنع

وبعضهم فيه الضرورة ادعا

فإن هذه الأدلة فيها نظر، وحيث إننا لسنا في هذا الكتاب بصدد الكلام في هذه الأمور من جهة النقص والإبرام في الأدلة العقلية أو المدعى كونها عقلية -

(١) الشيخ المولى هادي بن مهدي السبزواري، حكيم وفيلسوف وفقه وشاعر وعارف. وُلد في مدينة سبزوار بإيران سنة ١٢١٢هـ، ثم هاجر منها إلى أصفهان للدراسة وبقي فيها عشر سنوات. تتلمذ عند الشيخ محمد تقي صاحب "هداية المسترشدين"، والشيخ محمد إبراهيم الكلباسي صاحب "إشارات الأصول"، والملا إسماعيل الأصفهاني، والملا علي نوري، ثم انتقل إلى مدينة مشهد الرضا عليه السلام سنة ١٢٤٢هـ وأخذ يدرس فيها، ثم انتقل إلى سبزوار سنة ١٢٥٢هـ، وطفق يدرس فيها الفلسفة والعلوم الإلهية مدة ٣٧ سنة. توفي سنة ١٢٨٩هـ ودفن في مسقط رأسه. من تلامذته الشيخ محمد كاظم الخراساني صاحب "كفاية الأصول"، والملا عبد الكريم القوجاني. ترك أكثر من عشرين مؤلفاً منها: "شرح المنظومة" وهي على قسمين: في المنطق والفلسفة، وكتاب "شرح الأسماء الحسنى" و"شرح على المشوي" لجلال الدين الرومي، و"تعليقات على كتاب الأسفار الأربعة"، و"حاشية على الشواهد الربوبية"، و"حواشٍ على رسالة المبدأ والمعاد" لصدر المتألهين، و"مجموعة رسائل" وأرجوزة في الفقه سماها "النبراس" و"الجبر والاختيار" و"شرح دعاء الصباح" و"غرر الفوائد" في الحكمة. ترجمه المآثر والآثار: ص ١٤٧.

والتي ذكرها الفلاسفة، وأجاب عنها المتكلمون من أن الضرورة والفطرة والبراهين على عكس ما ادعوا، فكما أنه تعالى خلق الأشياء من العدم المطلق، كذلك هو قادر على إفنائها إفناءً مطلقاً، ثم إعادة خلقها من جديد. نذكر بعض الأدلة السمعية القطعية الدالة على الفناء المطلق.

أدلة الفناء المطلق

١: قال سبحانه: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾^(١)، أي في الوجود، فهو أولٌ قبل وجود أي شيء، وهو آخرٌ بعد فناء كل شيء. ولا يتصور كونه الآخر حقيقة وعلى إطلاقه إلا بانعدام ما سواه، فمن الواضح أن ذلك لا يكون بعد القيامة، فاللازم أن يكون قبل القيامة.

٢: وقال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾^(٢)، فإن المراد بالهلاك الانعدام؛ لأنه الهلاك المطلق. أما الهلاك في الجملة بعدم الانتفاع أو التفرق أو ما أشبه ذلك، فليس هو هلاكاً مطلقاً. وظاهر الآية هو الهلاك المطلق، أي الفناء التام، فلا يبقى شيء إلا الله عز وجل. أما إذا قيل: هلك الثوب، أو هلك الطعام، أو ما أشبه ذلك، فإنه بسبب القرينة يراد الهلاك النسبي.

٣: وقال عز وجل: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾^(٣)، وقال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نَعِيدُهُ﴾^(٤)، ومن الواضح أنه في الابتداء لم يكن شيء موجوداً إطلاقاً، وكذلك يكون بعد الإعادة.

(١) سورة الحديد: ٣.

(٢) سورة القصص: ٨٨.

(٣) سورة الروم: ٢٧.

(٤) سورة الأنبياء: ١٠٤.

أما مثل قوله سبحانه: ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾^(١)، فالظاهر بالقرينة هو ما خلق منه الإنسان.

٤: وقال تعالى: ﴿كُلٌّ مِنْ عَلَيْهَا فَأَنَّ﴾^(٢)، فإنَّ الفناء المطلق هو العدم المطلق، لا وجود شيء متفرق قابل للتجمع من جديد.

أما مثل أفنتهم الحرب أو ما أشبه ذلك، فبالقرينة يُتصرّف في لفظ الفناء. أما ما روي في "الكافي" و"الفقيه": عن عمّار، عن الإمام الصادق عليه السلام، أنه سُئل عن الميت يبلى جسده؟ قال عليه السلام: «نعم، حتى لا يبقى لحم ولا عظم إلاّ طينته التي خلقت منها، فإنها لا تبلى بل تبقى في القبر مستديرة، حتى يُخلق منها كما خلق أول مرة»^(٣).

فإنها تدل على عدم بقاء شيء إلاّ الطينة، وبعد لحاظ سائر الأدلة فيظهر أن هذه الطينة تكون إلى مدة لا مطلقاً، وهو مقتضى الجمع بين مثل هذا الحديث والآيات المتقدمة وسائر الروايات.

كما ذكروا في الحال بين القرينة وبين ذي القرينة، بأن القرينة تتصرّف في ذي القرينة، لا أنّ ذا القرينة يتصرّف في القرينة. فقولهم: (أسد يرمي) يتصرّف في الأسد ب: يرمي، لا أنه يتصرّف في يرمي بالأسد، حتى يكون المراد رمي الأسد الحيوان الأحجار أو ما أشبه.

وروى الطبرسي في "الاحتجاج" أن زنديقاً سأل الصادق عليه السلام عن مسائل، منها أنه قال: أتتلاشى الروح بعد خروجها عن قلبها أم هي باقية؟

(١) سورة السجدة: ٧.

(٢) سورة الرحمن: ٢٦.

(٣) الكافي: ج ٣ ص ٢٥١ باب النوادر ح ٧، من لا يحضره الفقيه: ج ١ ص ١٩١ باب النوادر

قال عليه السلام: «بل هي باقية إلى وقت يوم ينفخ في الصور، فعند ذلك تبطل الأشياء، وتفنى فلا حساب مخصوص، ثم يعيد في الأشياء كما بدأها مدبرها»^(١).
وقال أمير المؤمنين عليه السلام في "نهج البلاغة": «هُوَ الْمُفْنِي لَهَا بَعْدَ وُجُودِهَا، حَتَّى يَصِيرَ مَوْجُودُهَا كَمَفْقُودِهَا، وَلَيْسَ فَنَاءُ الدُّنْيَا بَعْدَ ابْتِدَاعِهَا بِأَعْجَبَ مِنْ ابْتِدَائِهَا وَاخْتِرَاعِهَا».

إلى أن قال: «وَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَعُودُ بَعْدَ فَنَاءِ الدُّنْيَا وَحُدُّهُ لَا شَيْءَ مَعَهُ، كَمَا كَانَ قَبْلَ ابْتِدَائِهَا، كَذَلِكَ يَكُونُ بَعْدَ فَنَائِهَا، بِلَا وَقْتٍ وَلَا مَكَانٍ، وَلَا حِينٍ وَلَا زَمَانٍ، عُدِمَتْ عِنْدَ ذَلِكَ الْأَجَالُ وَالْأَوْقَاتُ، وَزَالَتْ السَّنُونَ وَالسَّاعَاتُ، فَلَا شَيْءَ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ»
إلى أن قال: «ثُمَّ يُعِيدُهَا بَعْدَ الْفَنَاءِ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ مِنْهُ إِلَيْهَا»^(٢).

إلى غيرها من الروايات الظاهرة فيما ذكرناه.

والقائل بالتفرق والتجمع لا بد وأن يعترف بالفناء المطلق في الاتصال، فإن الاتصال يفنى فناءً مطلقاً، وإلا لم يكن تفرقاً وتجمعاً.

(١) الاحتجاج: ج ٢ ص ٣٥٠ احتجاج أبي عبد الله الصادق عليه السلام.

(٢) نهج البلاغة، الخطب: رقم (١٨٦) ومن خطبة له عليه السلام في التوحيد.

أدلة القائلين بالتفرق والتجمع

أما ما استدل بها القائلون بالتفرق والتجمع من الأدلة السمعية، فلا دلالة في شيء منها إطلاقاً.

فقد استدلوا بعدة آيات منها:

١. قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُخَيِّ

الْمَوْتَى﴾^(١).

٢. وقوله سبحانه: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى

عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا﴾^(٢).

٣. وقوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾^(٣).

٤. وقوله سبحانه: ﴿كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾^(٤).

٥. وقوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾^(٥).

٦. وقوله سبحانه: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِيءُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ

ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ * قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾^(٦).

٧. وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْتُوثِ * وَتَكُونُ

(١) سورة البقرة: ٢٦٠.

(٢) سورة البقرة: ٢٥٩.

(٣) سورة فاطر: ٩.

(٤) سورة الزخرف: ١١.

(٥) سورة الأعراف: ٢٩.

(٦) سورة العنكبوت: ١٩ - ٢٠.

الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ﴿١﴾.

إلى غير ذلك من الآيات الظاهرة في التفرّق.

مناقشات في أدلة القائلين بالتجزئة

لكن من الواضح أن ذكر بعض الجزئيات لا يدلّ على الكلّي الذي نحن بصدده، فإننا لا ننفي التفرّق في الجملة ولفترة وقبل الانعدام المحض، بل نقول: إن بعد التفرّق يكون الفناء المطلق، ثم إعادة تلك الأجزاء التي كانت متفرقة أولاً ثم فويت ثانياً.

وبعد صراحة الأدلة السابقة، مثل قوله تعالى: ﴿كُلَّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾^(٢) و﴿كُلٌّ مِّنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾^(٣) وغيرها، فوجه الجمع واضح، وهو أن ما دل على الجمع بعد التفرّق هو إشارة لفترة معينة ومرحلة خاصة فقط، وواضح أنه لا ينفي الإفناء المطلق بعد ذلك، ثم إعادة الخلق بالتدرّج بخلق الأجزاء المتفرقة المدومة ثم جمعها، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نَعِيدُهُ﴾^(٤).

إذ بدأ أول خلق من العدم المحض، ثم تدرج فيه حسب قانون الأسباب والمسببات، وخلقته خلقاً بعد آخر، كما خلق الإنسان من الطين، وجمع له الأجزاء، فركّب منه ما يشاء.

وأما تمثيل المعصومين عليهم السلام: بالتفرّق والتجمّع، فلعله لكونه قدر إدراك السائلين ومن إليهم، أو لبيان المرحلة التي قبل الفناء المطلق. فإن الكثيرين لما

(١) سورة القارعة: ٤ - ٥.

(٢) سورة القصص: ٨٨.

(٣) سورة الرحمن: ٢٦.

(٤) سورة الأنبياء: ١٠٤.

كانوا يستبعدون حتى هذا الشيء مثلوا لذلك برفع استبعادهم، أو إشارة لمرحلة من المراحل وفترة من الزمن لا الاستيعاب.

فعن الإمام الصادق عليه السلام، قال: «إذا أراد الله أن يبعث الخلق، أمطر السماء على الأرض أربعين صباحاً، فاجتمعت الأوصال، ونبتت اللحوم»^(١).
ومن الواضح: إن ذلك بعد الإعادة لا حين الإعادة، أي إنه بعد فناء الكون فناءً مطلقاً، يعيد الله الأشياء هكذا، ثم يمطر السماء على الأرض... إلخ.

❖ وفي حديث عن الإمام السجاد عليه السلام، قال فيه: «ثم يأمر الله السماء أن تمطر على الأرض أربعين يوماً، حتى يكون الماء فوق كل شيء اثني عشر ذراعاً، فتنبت فيه أجساد الخلائق كما ينبت البقل، وتتداني أجزاؤهم التي صارت تراباً»^(٢).

فإنه كما أن الله تعالى كان ولم يكن معه شيء، ثم خلق الأرض ثم خلق الأشياء منها، كذلك يكون حال الإعادة، فكل الأشياء فانية فناءً مطلقاً، ثم يعيد الله عز وجل المواد الأولية من الماء والسماء والأرض وغيرها، فتحيى بسببها، ومنها الأجساد والأرواح.

❖ وفي حديث الزنديق عن الإمام الصادق عليه السلام، قال له: أتى للروح بالبعث والبدن قد بلي والأعضاء قد تفرقت، فعضو في بلدة تأكله سباعها، وعضو في أخرى تمزقه هوامها، وعضو قد صار تراباً بُني به من الطين حائط؟.

فقال عليه السلام: «إن الذي أنشأه من غير شيء، وصوره على غير مثال كان سبق إليه، قادر أن يعيده كما بدأ».

قال: أوضح لي ذلك؟.

(١) تفسير القمي: ج ٢ ص ٢٥٣ كيفية نفخ الصور، روضة الواعظين: ص ٤٩٨ مجلس في ذكر

القيامة والصراط ونصب الموازين.

(٢) إرشاد القلوب: ص ٥٥ ب ١٣.

قال عليه السلام: «إن الروح مقيمة في مكانها، روح المحسنين في رياض وفسحة، وروح المسيء في ضيق وظلمة، والبدن يصير تراباً منه خلق، وما تقذف به السباع والهوام من أجوافها، فما أكلته ومزقته كل ذلك في التراب محفوظ، عند من لا يعزب عنه مثقال ذرة في ظلمات الأرض، ويعلم عدد الأشياء ووزنها، وإن تراب الروحانيين بمنزلة الذهب في التراب، فإذا كان حين البعث مطرت الأرض، فتربو الأرض ثم تمخر مخر السقاء، فيصير تراب البشر كمصير الذهب من التراب إذا غسل بالماء، والزبد من اللبن إذا مخص، فيجتمع تراب كل قلب، فينتقل بإذن الله تعالى إلى حيث الروح، فتعود الصور بإذن المصور كهيئتها، وتلج الروح فيها، فإذا قد استوى لا ينكر من نفسه شيئاً»^(١).

أقول: وما مثله الإمام عليه السلام بقوله: «بمنزلة الذهب في التراب..» إلى آخره، ظاهر في أن الكلام على قدر فهم السائل، وإلا فالله لا يحتاج إلى ذلك أيضاً، والوقوع كذلك هو كما اقتضته حكمته تعالى في التدرج والتميز في كل شيء.

❖ وعن كليب، قال: كنا عند أبي عبد الله عليه السلام فأنشأ يحدثنا فقال:

«إذا كان يوم القيامة، جمع الله العباد في صعيد واحد، وذلك أن يوحي إلى السماء الدنيا أن اهبطي بمن فيك، فيهبط أهل السماء الدنيا على من في الأرض من الجن والإنس والملائكة، ثم يهبط أهل السماء الثانية بمثل الجميع مرتين، فلا يزالون كذلك حتى يهبط أهل سبع سماوات، فيصير الجن والإنس في سبع سرادقات من الملائكة، ثم ينادي مناد: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾^(٢)، فينظرون فإذا قد أحاط بهم سبع أطواق من الملائكة»^(٣).

(١) بحار الأنوار: ج ٧ ص ٣٧- ٣٨ ب ٣ ح ٥.

(٢) سورة الرحمن: ٣٣.

(٣) بحار الأنوار: ج ٧ ص ٨٠ ب ٥.

أهوال يوم القيامة

ثم إن يوم القيامة يكون يوماً عظيماً، يحمل في طياته أكبر الأهوال العظيمة، كما قال عز وجل: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ (١).

وقال سبحانه: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا * فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا * لَا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾ (٣).

وقال سبحانه: ﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ (٤).

وقال تعالى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ * لَيْسَ لِيُوفِعَتِهَا كَادِبَةٌ * خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ * إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا * وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا * فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا﴾ (٥).

أقول: فإن في الواقعة خفضاً ورفعاً، ومن مصاديقه أن الإنسان قد يرى الملوك والظلمة وأتباعهم في ارتفاع ظاهري في الدنيا، بينما هنالك كلهم ينخفضون إلى الدركات، وهكذا يرى المؤمنين المستضعفين في الدنيا في حالة خفض، بينما هنالك يرتفعون إلى الدرجات العالية، فالواقعة خافضة ورافعة.

وقال سبحانه: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ * وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً * فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ *

(١) سورة الحج: ٢.

(٢) سورة الأنبياء: ١٠٤.

(٣) سورة طه: ١٠٥ - ١٠٧.

(٤) سورة الرحمن: ٣٧.

(٥) سورة الواقعة: ١ - ٦.

وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١﴾.

أقول: وذلك لوضوح أن هذا النظام ينهدم، وربما كان ذلك معنى انشقاق السماء، هذا بالإضافة إلى احتمال أن يكون الإنسان يرى الانفراج بنزول الملائكة.

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ * وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾ ﴿٢﴾.

وقال سبحانه: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيباً مَّهِيلاً﴾ ﴿٣﴾.

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصْرُ * وَخَسَفَ الْقَمَرُ * وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ * يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفْرُ﴾ ﴿٤﴾.

وقال سبحانه: ﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ * وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ * وَإِذَا الْجِبَالُ سُفِفَتْ﴾ ﴿٥﴾.

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجاً * وَفُتِحَتْ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَاباً * وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَاباً﴾ ﴿٦﴾.

وقال سبحانه: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ * وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ * وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ * وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ * وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ * وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ ﴿٧﴾، وقد ثبت علمياً أن البحار قابلة للتأرجح والاشتعال،

(١) سورة الحاقة: ١٣ - ١٦.

(٢) سورة المعارج: ٨ - ٩.

(٣) سورة المزمل: ١٤.

(٤) سورة القيامة: ٧ - ١٠.

(٥) سورة المرسلات: ٨ - ١٠.

(٦) سورة النبأ: ١٨ - ٢٠.

(٧) سورة التكوير: ١ - ٦.

فتصبح كقطعة من النار الملتهبة المتأججة.

وقال تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ * وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ * وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ * وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾^(١).

وقال سبحانه: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ * وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ * وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ * وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾^(٢).

أقول توضيحاً: ﴿أَذْنَتْ لِرَبِّهَا﴾ أي أذنت لله عز وجل وأعلنت أنها مطيعة له سبحانه، فكيفما يريد يفعل بها، فهو من الأذان والإعلام، أو ﴿أَذْنَتْ﴾ يراد به نتيجة الإذن وهو الانقياد، إذ ليس لها أن لا تآذن.

وقال تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا * وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا * وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا * يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا * بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾^(٣).

والأرض بما فيها من الحيطان والبيوت والأشجار وما أشبه ذلك، كلها كشرائط التسجيل تُسجّل كل ما يقع فيها وعليها، وفي ذلك اليوم تُظهر الأرض كل ما سجّلت ولو من الآماد البعيدة.

وقبل مدة اكتشفوا في الأهرام بعض الكيزان، فلما سلّط على أحدها بعض الأجهزة الخاصة، أخذ ذلك الكوز يقرأ ما كان يقرأه صاحبه الذي كان يتلفظ به حين صنع الكوز، وقد مرّ على ذلك ما يقارب أربعين قرناً.
لا يقال: فما الفائدة في فعل هذه الأمور في الكون؟.

(١) سورة الانفطار: ١ - ٤.

(٢) سورة الانشقاق: ١ - ٤.

(٣) سورة الزلزلة: ١ - ٥. قال الإمام المؤلف (رحمه الله) في كتابه "تفسير تقريب القرآن إلى الأذهان": (والمراد انقادت لله سبحانه، وأصل الأذن الاستماع، يقال: أذن فلان لأمر، أي: استمع، واستعمل مجازاً بمعنى الانقياد بعلاقة السبب والمسبب).

لأنه يقال: إضافة إلى الأبعاد الغيبية التي لا ندركها، وإلى الآثار الوضعية التي قد ندرك بعضها، فإن ذلك لظهور فضل كل فاضل من إنس وجنّ وملك وغيرهم، وظهور جرم كل مجرم، إذ الإنسان ولعل الأجنة وغيرهم أيضاً كذلك، إنما يظهرون ويعترفون بجنایاتهم وما عملوا من السيئات عند الأهوال، وعند وجود الدليل المادي الذي لا يمكن إنكاره.

والله سبحانه يعلم كمية وكيفية ودرجة ما يحتاجه المجرم المقترف المنكر من الخوف والهول، كي يعترف بواقعه وما فعله من سوء، كما نشاهد أن المجرمين في الحياة الدنيا إنما يعترفون بجرائمهم إذا وقعوا في أهوال وخافوا الشدائد.

لكن مع ذلك يبقى بعض لا يظهرون أيضاً ما فعلوا ولا يعترفون بل يكذبون، كما قال عز وجل:

﴿وَاللّٰهُ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ * انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلٰى اَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتُرُونَ﴾^(١)، ولذا لا يفيد هؤلاء إلا جهنم، كما قال سبحانه: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا اطعنا الله واطعنا الرسول﴾^(٢).

لا يقال: وهل الأرض تستوعب كل هؤلاء من الإنس والجن والملك والشياطين والوحوش، كما يأتي في المسألة الآتية؟.

لأنه يقال: نعم، تستوعب بعد أن تمدّ الأرض مدّاً، كما تقدّم في قوله تعالى: ﴿اِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ * وَاذِنْتَ لِرَبِّهَا وَحَقَّتْ * وَاِذَا الْاَرْضُ مُدَّتْ * وَاَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾^(٣).

(١) سورة الأنعام: ٢٣ - ٢٤.

(٢) سورة الأحزاب: ٦٦.

(٣) سورة الانشقاق: ١ - ٤.

هكذا تحشر الوحوش

مسألة: الحشر في يوم القيامة ليس خاصاً بالبشر، بل إنه عام للوحوش أيضاً، كما قال سبحانه: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾^(٢).

أقول: من معاني (الكتاب) القرآن الكريم على ما يستفاد من الروايات، ومن معانيه في هذه الآية الكون، فإن الكون كتاب الله عز وجل والموجودات كلماته، فقد جمع الله سبحانه بخلقه وتقديره كل شيء ممكن جمعه وفق الحكمة، بالإمكان الذاتي وبالإمكان الوقوعي لكونه مطابقاً للحكمة.

فلا يقال: كيف قال تعالى: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ مع أننا نرى كثيراً من الحيوانات الممكنة غير مخلوقة، أو أنه يمكن خلقها في مكان بينما لم يخلق في ذلك المكان وإنما في مكان آخر؟.

فإن عدم خلقها يكشف عن عدم المصلحة في ذلك، أو المزاخمة بالمصلحة الأهم، والحاصل: إنه لا مانعة جمع بين أن يراد بالكتاب الكتاب التكويني، وأن يراد به الكتاب التدويني كما أوضحناه في الأصول من تحمل اللفظ الواحد أكثر من معنى.

وعن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: بينا أنا عند رسول الله صلوات الله عليه وآله إذ انتطحت

(١) سورة التكوير: ٥.

(٢) سورة الأنعام: ٣٨.

عزان. فقال النبي ﷺ: «أ تدرّون فيما انتطحا؟». فقالوا: لا ندري. فقال: «لكن الله يدري، وسيقضي بينهما»^(١).

وفي رواية عن الكليني وغيره: سعد أمير المؤمنين عليه السلام بالكوفة المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «أيها الناس، إن الذنوب ثلاثة»، ثم أمسك. فقال له حبة العُرني: يا أمير المؤمنين، قلت الذنوب ثلاثة ثم أمسكت؟.

فقال عليه السلام: «ما ذكرتها إلا وأنا أريد أن أفسرها، ولكن عرض لي بغير حال بيني وبين الكلام. نعم، الذنوب ثلاثة: فذنب مغفور، وذنب غير مغفور، وذنب نرجو لصاحبه ونخاف عليه».

قيل: يا أمير المؤمنين، فبينها لنا؟.

قال عليه السلام: «نعم، أما الذنب المغفور فبعد أن عاقبه الله تعالى على ذنبه في الدنيا، فالله أحلم وأكرم من أن يعاقب عبده مرتين. وأما الذنب الذي لا يُغفر فمظالم العباد بعضهم لبعض، إن الله تبارك وتعالى إذا برز لخلقه أقسم قسماً على نفسه، فقال: وعزتي وجلالي، لا يجوزني ظلم ظالم ولو كفّ بكف، ولو مسحة بكف».

أي ضربة كفّ بكف، ومسحة كف بكف أو بجسد، بحيث يشتمل على إهانة، أو إيذاء، أو تحقير، أو تلذذ وشهوة.

«أو نطحة ما بين القرناء إلى الجماء، فيقتص للعباد بعضهم من بعض، حتى لا يبقى لأحد عند أحد مظلمة، ثم يبعثهم للحساب. وأما الذنب الثالث فذنب ستره الله على عبده، فزرقه التوبة منه فأصبح خاشعاً من ذنبه راجياً لربه، فنحن له كما هو لنفسه، نرجو له الرحمة ونخاف عليه العذاب»^(٢).

(١) بحار الأنوار: ج ٧ ص ٢٥٦ ب ١١.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ٤٤٣ باب في أن الذنوب ثلاثة ح ١، المحاسن: ج ١ ص ٧ باب الثلاثة ح ١٨.

أقول: حيث إن الإمام عليه السلام كان يتكلم مع المؤمنين، لم يذكر الكفار وذنوبهم وما أشبه، فإن هذه الأقسام الثلاثة إنما هي للمؤمنين، وإن كان يمكن إدراج الكافر ونحوه في بعض الأقسام بتكلف.

ثم بما سبق بيانه ظهر الجواب عن سؤال أنه: هل تحشر جميع الحيوانات كالنمل والنحل وما أشبه ذلك؟.

فإن قوله تعالى ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾^(١). وإن كان ظاهراً في الوحوش، غير أن قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾^(٢) عام شامل.

ومقتضى القاعدة أيضاً هو الحشر، بالنسبة إلى الظالم والمظلوم، فتمد الأرض وتحشر الدواب والبهائم والوحوش، ثم يكون القصاص بين الدواب، حتى يقتصر للشاة الجماء من الشاة القرناء التي نطحتها.

وهكذا ينبغي أن يكون هناك حشر لمثل الأسماك وما أشبه ظالماً ومظلوماً، ولعل مما يؤيد ذلك روايات تدل على أن مانع الزكاة تنهشه كل ذات ناب بنبابها، وتطأه كل ذات ظلف بظلفها^(٣).

(١) سورة التكوير: ٥.

(٢) سورة الأنعام: ٣٨.

(٣) انظر الكافي: ج ٣ ص ٥٠٥ - ٥٠٦ باب منع الزكاة ح ١٩. وفيه عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «مَا مِنْ ذِي مَالٍ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ، يَمْنَعُ زَكَاةَ مَالِهِ إِلَّا حَبَسَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِقَاعِ قَرْقَرٍ، وَسَلَطَ عَلَيْهِ شَجَاعًا أَقْرَعٌ يَرِيدُهُ وَهُوَ يَحِيدُ عَنْهُ، فَإِذَا رَأَى أَنَّهُ لَا مَخْلَصَ لَهُ مِنْهُ أَمَكَنَهُ مِنْ يَدِهِ، فَقَضَمَهَا كَمَا يَقْضِمُ الْفَجْلُ، ثُمَّ يَصِيرُ طَوْقًا فِي عُنُقِهِ، وَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿سَيَطُوفُونَ مَا بَخَلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾. وَمَا مِنْ ذِي مَالٍ إِبِلٍ أَوْ غَنَمٍ أَوْ بَقَرٍ، يَمْنَعُ زَكَاةَ مَالِهِ إِلَّا حَبَسَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِقَاعِ قَرْقَرٍ، يَطْوُهُ كُلُّ ذَاتِ ظَلْفٍ يَظْلِفُهَا، وَيَنْهَشُهُ كُلُّ ذَاتِ نَابٍ بِنَابِهَا. وَمَا مِنْ ذِي مَالٍ نَخْلٍ أَوْ كَرْمٍ أَوْ زَرْعٍ، يَمْنَعُ زَكَاةَهَا إِلَّا طَوَّقَهُ اللَّهُ رِيْعَةً أَرْضِيهِ إِلَىٰ سَبْعِ أَرْضِينَ»

وفي بعض الروايات في تفسير قوله تعالى: ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ﴾^(١)، أنها تكون حية تطوق عنق مانع الزكاة^(٢).

وقال عليه السلام: «مانع الزكاة يطوق بشجاع أقرع يأكل من لحمه، وهو قوله سبحانه: ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ﴾^(٣)»، فتأمل.

وقال بعض المفسرين: إن الله يجمع النفوس والهوام والطيور وكل شيء غير الثقلين، فيقول: مَنْ رَبِّكُمْ؟ فيقولون: الرحمن الرحيم. فيقول لهم الرب بعدما يقضي بينهم حتى يقتص بالجَمَاء من القرناء: إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ وَسَخَرْنَاكُمْ لِبَنِي آدَمَ، وَكُنْتُمْ مَطِيعِينَ أَيَّامَ حَيَاتِكُمْ، فَارْجِعُوا إِلَى الَّذِي كُنْتُمْ، كُونُوا تَرَاباً. فيكونون تراباً، فإذا التفت الكافر إلى شيء صار تراباً فيتمنى فيقول: يا ليتني كنت في الدنيا على صورة خنزير رزقي كرزقه، وكنت اليوم - أي في الآخرة - تراباً حتى أتخلص من العذاب والعقاب.

وحال ما ذكرناه: حال الجراثيم في إمكان جمعهم في مكان واحد، فقد رأيت في تقرير: إن في كل متر مكعب من التراب الملايين من الحيوانات الصغيرة المجهرية، فكما أن الله سبحانه خالق المجرّة، كذلك هو خالق الذرة، وكل شيء حسابه وكتابه بيده عز وجل.

أما ما حال أرواح الحيوانات بعد ما تصبح أجسادها تراباً...؟ فعلم ذلك عند الله، وأوليائه عليهم السلام الذين اختصهم الله بالعلوم الكثيرة.

إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ».

(١) سورة آل عمران: ١٨٠.

(٢) مستدرک الوسائل: ج ٧ ص ١٩ ب ٣ ح ٧٥٢٩.

(٣) سورة آل عمران: ١٠٨.

(٤) وسائل الشيعة: ج ٩ ص ٢٣ ب ٣ ح ١١٤٢٤.

وفي "غوالي اللآلئ" ناسباً إلى "الأنوار" وهو ينسبه إلى رواية: إن الله يحشر الوحوش والبهائم للعدل، ويقتص من بعضها لبعض، كما قال ﷺ: «يقتص للجَمَاء من القرناء»^(١).

فالقرناء إن نطحت الجماء، أُوتِي بها يوم القيامة، فتؤخذ قرون القرناء وتعطى للجَمَاء فتقتص منها، فكذلك جميع الحيوانات، وكل ذي روح حتى الذباب، فيحشر الله سبحانه الحيوانات بمختلف أنواعها، ليوصل إليها ما تستحقه من الأعواق على الآلام التي لاقتها في الدنيا.

وربما يدور في الذهن: هل الحيوان الذي خلقه الله للافتراس كالأسد ونحوه، يحاسب ويعاقب يوم القيامة على افتراسه؟.

الجواب: إذا كان افتراسه بظلم فنعم، أما إذا كان افتراسه لأجل إشباع بطنه حيث جعل الله تعالى ذلك له عبر أكله لحيوان آخر بلا ظلم، فلا عقاب عليه، وكذلك بالنسبة إلى البشر حيث يأكلون الأنعام ونحوها، فليس من المعقول أن الله عز وجل يقول للإنسان: اذبح الشاة، ثم يعاقبه عليه.

نعم، من الممكن أن يؤجر أو يعوّض ذلك الحيوان المذبوح بقدر ألمه، كما يعاقب ظالمه لو آذاه أو ذبحه ظلماً وعبثاً وعدواناً.

فبالنسبة إلى ما ذكر من الأجر أو تعويض الحيوان، ورد في رواية عن الرسول الأعظم ﷺ، قال: «استفروها ضحاياكم؛ فإنها مطاياكم على الصراط»^(٢).

وفي رواية أخرى: «إن خيول الغزاة في الدنيا خيولهم في الجنة»^(٣).

وفي "الفقيه": عن الإمام الصادق ﷺ، قال: «أي بعير حُجّ عليه ثلاث

(١) انظر بحار الأنوار: ج ٦٤ ص ٤ ب ١.

(٢) بحار الأنوار: ج ٩٦ ص ٢٩٦ - ٢٩٧ ب ٥٢ ح ١٨.

(٣) الكافي: ج ٥ ص ٣ باب فضل الجهاد ح ٣.

سنين يجعل من نِعَم الجنة»^(١).

وفي رواية أخرى: «سبع سنين»^(٢).

ولا منافاة حيث إن هناك درجات، كما قال عز وجل: ﴿دَرَجَاتٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾^(٣)، وهذا كما يجري في الإنسان يجري في الحيوان أيضاً.

وما ورد عن الصادق عليه السلام، قال: «لا يكون في الجنة من البهائم سوى حمارة بلعم بن باعورا، وناقة صالح، وذئب يوسف، وكلب أهل الكهف»^(٤)، فإنه محمول على درجات خاصة من الجنة جمعاً بين الأخبار.

وبالنسبة إلى العقاب والمحاسبة على أذية الحيوان: فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أنه قال:

«ورأيت في النار صاحبة الهرّة تنهشها مقبلة ومدبرة، كانت أوثقتها لم تكن تطعمها، ولم ترسلها فتأكل من حشاش الأرض»^(٥).

وعن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إن امرأة عذّبت في هرّة ربطتها حتى ماتت عطشاً»^(٦).

وقال عليه السلام: «إن امرأة دخلت النار في هرّة حبستها، لا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من حشاشة الأرض حتى ماتت».

وقال عليه السلام: «ومن قتل عصفوراً عبثاً، جاء يوم القيامة وله صراخ حول

(١) من لا يحضره الفقيه: ج ٢ ص ٢٩٣ باب ما يجب من العدل على الجمل ح ٢٤٨٥.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ج ٢ ص ٢٩٣ باب ما يجب من العدل على الجمل ح ٢٤٨٥.

(٣) سورة الأنفال: ٤.

(٤) بحار الأنوار: ج ٨ ص ١٩٥ ب ٢٣ ح ١٨٠.

(٥) بحار الأنوار: ج ٨ ص ٣١٦ - ٣١٧ ب ٢٤ ح ٩٧، دعائم الإسلام: ج ٢ ص ٤٦٨ ف ١ ح ١٦٦٦.

(٦) وسائل الشيعة: ج ١١ ص ٥٤٤ ب ٥٣ ح ١٥٤٩٣، وسائل الشيعة: ج ٢٩ ص ١٤ ب ١ ح ٣٥٠٣٣.

العرش: يقول سَلْ هذا، فيمَ قتلني من غير منفعة»^(١).

وفي رواية الصدوق رحمه الله:

إن النبي صلّى الله عليه وآله أبصر ناقة معقولة وعليها جهازها. فقال صلّى الله عليه وآله: «أين صاحبها مروه فليستعد غداً للخصومة»^(٢).

وهناك روايات أخرى تدل على وجود حساب وعقاب على ظلم الحيوان

ذكرناها في (الفقه)^(٣).

(١) بحار الأنوار: ج ٦١ ص ٢٧٠ ب ١٠ ح ٣٤.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ج ٢ ص ٢٩٢ باب ما يجب من العدل على الجمل ح ٢٤٩٠.

(٣) للتفصيل انظر (الفقه: كتاب حقوق الحيوان وأحكامه)، للإمام المؤلف رحمته الله.

الأطفال وحسابهم

مسألة: أطفال الكفار الذين يموتون قبل البلوغ، يمتحنون في الآخرة، فإن خرج أحدهم ناجحاً من الامتحان دخل الجنة، وإن خرج فاشلاً دخل النار، فالدنيا دار امتحان، وهي لا تكون عادة أكثر من مائة سنة للشخص المكلف، بل أقل من ذلك، أما الآخرة فيومها خمسون ألف سنة، وهذا الزمن يكفي قطعاً للامتحان لمثل الأطفال ومن أشبهه. فكما هنا امتحان كذلك هنالك امتحان للبعض، وذلك كله مقتضى عدل الله تعالى وحكمته.

وأما أطفال المؤمنين، فإن الله يدخلهم الجنة تفضلاً لا استحقاقاً؛ احتراماً لأبائهم المؤمنين.

وقد ذكرنا إن التفضل لا مانع منه، وإنما الممنوع منه هو العقاب بلا سبب، ولذا تجد أنك إذا أعطيت إنساناً ديناراً تفضلاً لم تكن ملوماً بل كنت ممدوحاً، أما إذا ضربت إنساناً صفةً كنت ملوماً.

فعن الإمام الصادق عليه السلام، قال: «إن أطفال شيعتنا من المؤمنين تُربّيهم فاطمة عليها السلام، ويهدون إلى آبائهم يوم القيامة»^(١).

وعن ابن بكير، عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: «قصرت الأبناء عن عمل الآباء، فألحقوا الأبناء بالآباء؛ ليقرّ بذلك أعينهم»^(٢).

وعن الإمام الكاظم عليه السلام، عن النبي صلى الله عليه وآله، قال: «لا تتزوجوا بالمرأة

(١) بحار الأنوار: ج ٥ ص ٢٨٩ ب ١٣ ح ١.

(٢) التوحيد: ص ٣٩٤ ب ٦١ ح ٧.

الجميلة العقيم؛ فإني أباهي بكم الأمم يوم القيامة. ألم تعلموا أن الأطفال يكونون تحت عرش الرحمن يستغفرون لآبائهم، ويحفظهم إبراهيم عليه السلام، وتربيتهم سارة في جبل من المسك والعنبر والزعفران»^(١).

أقول: ولا منافاة بين تربية الصديقة فاطمة عليها السلام لجماعة، وتربية إبراهيم وسارة لجماعة آخرين.

كما يحتمل أن تكون للتربية درجات ومراحل، فهي كالمدارس في هذه الدنيا مثلاً، ولكل مرحلة أو بعضها، مربٍ ومدرس غير ما للمرحلة الأخرى، والمراد تربية أرواحهم، وهناك احتمالات أخرى في الباب.

وعن أبي بصير، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «إذا مات طفل من أطفال المؤمنين، نادى منادٍ في ملكوت السماوات والأرض: ألا إن فلان بن فلان قد مات، فإن كان مات والداه أو أحدهما أو بعض أهل بيته من المؤمنين دُفع إليه يغدوه، وإلا دُفع إلى فاطمة عليها السلام تغدوه، حتى يقدم أبواه أو أحدهما أو بعض أهل بيته، فتدفعه إليه»^(٢).

وقد ذكرنا سابقاً أن الإنسان في الآخرة يتمكن من تكثير قلبه المثالي حتى يكون هناك الإنسان الواحد ألف إنسان أو أكثر بقلبه المثالي، وربما تكون تربية فاطمة عليها السلام لهم نظراً لتعددتهم بهذه الكيفية، وربما تكون هي المشرفة وتعينها الملائكة، وقد أشرنا سابقاً أنهم (صلوات الله عليهم) قادرون على ذلك وفي الحياة الدنيا، بل واقع منهم ذلك أو نظيره، فكيف بالآخرة.

وفي رواية الحلبي، عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: «إن الله تبارك وتعالى يدفع إلى إبراهيم عليه السلام وسارة أطفال المؤمنين، يغذونهم بشجرة في الجنة، بها

(١) مستدرک الوسائل: ج ١٤ ص ١٧٧ ب ١٥ ح ١٦٤٣٣.

(٢) بحار الأنوار: ج ٥ ص ٢٩٣ ب ١٣ ح ١٧.

أخلاف كأخلاف البقر في قصر من الدرّ، فإذا كان يوم القيامة ألبسوا وطبّوا وأهدوا إلى آبائهم، فهم ملوك في الجنة مع آبائهم، وهو قوله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ (١) «(٢).

وعن الإمام الباقر عليه السلام، قال: «لما صعد رسول الله صلوات الله عليه وآله إلى السماء، وانتهى إلى السماء السابعة ولقي الأنبياء عليهم السلام. قال: أين أبي إبراهيم عليه السلام؟ قالوا له: هو مع أطفال شيعة علي عليه السلام. فدخل الجنة، فإذا هو تحت شجرة لها ضروع كضروع البقر، فإذا انفلت الضرع من فم الصبي، قام إبراهيم عليه السلام فردّ عليه. قال: فسلمّ عليه فسأله عن علي عليه السلام. فقال: خلفته في أمتي. قال: نعم الخليفة خلفته، أما إن الله تعالى فرض على الملائكة طاعته، وهؤلاء أطفال شيعته، سألت الله تعالى أن يجعلني القائم عليهم ففعل، وإن الصبي ليجرع الجرعة فيجد طعم ثمار الجنة وأنهارها في تلك الجرعة» (٣).

وعن أبي جعفر عليه السلام، قال: «إذا كان يوم القيامة، يحتجّ الله على خمسة: على الطفل، والذي مات بين النبيين - أي في زمان فترة - وغلبة الجور، وإخفاء الحجة والحق، والذي أدرك النبي وهو لا يعقل، والأبلة والمجنون الذي لا يعقل، والأصمّ والأبكم، وكل واحد منهم يحتج على الله عزّ وجل. قال: فيبعث الله إليهم رسولاً يؤجّج لهم ناراً، فيقول لهم: ربكم يأمركم أن تشبوا فيها، فمن وثب فيها كانت عليه برداً وسلاماً، ومن عصى سبق إلى النار» (٤).

أقول: الظاهر إن الطفل هنا أطفال الكفار، جمعاً بين الروايات.

ثم إن البعض يرى أن مقتضى العدل، أن يكلف الممتحن بالفتح في نار

(١) سورة الطور: ٢١.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ج ٣ ص ٤٩٠ باب حال من يموت من أطفال المؤمنين ح ٤٧٣٢.

(٣) بحار الأنوار: ج ٥ ص ٢٩٤ ب ١٣ ح ١٩.

(٤) بحار الأنوار: ج ٥ ص ٢٨٩ - ٢٩٠ ب ١٣ ح ٢.

الامتحان، بحسب قدرته في تحمل التكليف، وإلا فالدنيا والآخرة سواء من جهة عدم التكليف بما لا يطيقه.

نعم، العذاب والخلود في النار نتيجة العمل، وقد ذكرنا وجوهاً عديدة لطول عذاب الآخرة وشدته والخلود في النار، كان منها: إن بعض الأمور مما لو ثبت وحصل دام أثره، ومنها: النية والعزم على الاستمرار، ودعواهم عكس ذلك كذب، ومنها غير ذلك، ولا شك ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾^(١).

ونضيف هنا: إن نسبية الزمان لعلها من حلول الإشكال في تناسب فترة التكليف مع طول فترة العذاب وعدمه، قال الله سبحانه: ﴿جَزَاءً وَفِاقًا﴾^(٢)، ولا فرق بين الدنيا والآخرة في ذلك؛ لأن الجزاء الوفاق هو مقتضى العدل في العقاب، ولا نعلم بالخصوصية ولم نجد سؤالاً عنها في روايات الأئمة الطاهرين عليهم السلام، وإنما نؤمن بالمجمل غير المنافي للعدل.

(١) سورة النساء: ٤٠.

(٢) سورة النبأ: ٢٦.

وزن الأعمال

مسألة: هناك في يوم القيامة موازين لوزن الأعمال، فإن العمل - بالمعنى الأعم مما يشمل النظر والسمع والقول - طاقة، والطاقة يمكن أن توزن بمقاييس دقيقة دنيوية فكيف بالأخروية، فبقدر العمل الصالح يُثاب الإنسان، ويضاعف الله لمن يشاء، أما العقاب فلا يتجاوز قدر السيئة، حيث قال عز وجل: ﴿جَزَاءً وَفَاءً﴾^(١).

وقد ذكر الله سبحانه الميزان في مواضع من كتابه المجيد، قال تعالى: ﴿وَالْوِزْنَ يَوْمَئِذٍ الْحَقِّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾^(٢).

وقال سبحانه: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا﴾^(٣)، أي وزناً يوجب الثواب، أو مطلق الوزن لأعمالهم الصالحة؛ لأنها قد حُبطت.

وقال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾^(٤).

وقال سبحانه: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ

(١) سورة النبأ: ٢٦.

(٢) سورة الأعراف: ٨ - ٩.

(٣) سورة الكهف: ١٠٥.

(٤) سورة الأنبياء: ٤٧.

* وَأَمَّا مَنْ حَقَّتْ مَوَازِينُهُ * فَأَمْتُهُ هَاوِيَةٌ ﴿١﴾.

ثم ليس من البعيد أن توزن الأعراض ؛ لأنها شيء ، وكل شيء حادث قابل للوزن ، لكن وزن كل شيء بحسبه .

كما أنه يستفاد من ظاهر بعض الآيات والروايات تجسم الأعمال في الآخرة . فما يصدر من القلب والأذن واللسان والأنف والعين واللمس ، بمختلف شؤون اللمس من الفعل والانفعال الإنسي وغير ذلك ، كلها يمكن أن تتجسم في الآخرة ، فكما تتحول المواد والجواهر التي يأكلها الإنسان إلى هذه الأعراض - مما هو من مقولة الفعل أو الكيف النفساني أو غيرها - من الممكن أن تتحول الأعراض إلى المواد أيضاً .

فنفس الصلاة توزن ، وكذلك نفس الزنا يوزن ، وهكذا بالنسبة إلى المنظورات والمذوقات والمسموعات ... إلى غيرها من أفعال الجوانح والجوارح .

ثم إن ظاهر بعض الآيات المتقدمة هو (الموازين) لا الميزان الواحد ، حيث قال تعالى : ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾^(٢) ، وقال سبحانه : ﴿ فَمَنْ ثَقَلَتْ مَوَازِينُهُ ﴾^(٣) .

ولا حاجة إلى تأويل هذه الآيات كما ذهب إليه بعض المتكلمين ، حيث ذكروا أن الميزان كناية عن العدل والقضاء ؛ لأن العدل في الأخذ والإعطاء الدنيوي لا يظهر إلا بالكيل والوزن ، فجعل الوزن كناية عن العدل .

دليل القائلين على كنائية الميزان

(١) سورة القارعة : ٦ - ٩ .

(٢) سورة الأنبياء : ٤٧ .

(٣) سورة الأعراف : ٨ ، سورة المؤمنون : ١٠٢ .

قالوا: والدليل على ذلك أن الميزان إنما يراد به ليتوصل به إلى معرفة مقادير الشيء، ومقادير الثواب والعقاب لا يمكن إظهارها بالميزان؛ لأن أعمال العباد أعراض، وهي قد فُتيت وعُدمت، ووزن المعدوم محال.

أقول: لكنك قد عرفت أن ظاهر الآيات هو إرادة المعنى الحقيقي، والمجاز خلاف الأصل، وليس هناك محال فيما ذكرناه، بل هو على القاعدة، وتدل عليه الروايات ظهوراً أو نصاً أيضاً، فقد ورد في زيارة أمير المؤمنين عليه السلام: «السلام على ميزان الأعمال»^(١).

وفي خبر عن هشام بن سالم، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً﴾^(٢)؟ قال: «هم الأنبياء والأوصياء عليهم السلام»^(٣).

والجمع بين هذه الأدلة: إنَّ هناك عدة موازين وهي على عدة أنواع، فميزان له كفتان كموازين الدنيا، وميزان هو للأعمال بتجسمها، وميزان هم الأنبياء والأوصياء عليهم السلام إلى غير ذلك.

وفي الخبر: إنَّ داود عليه السلام أراد من الله أن يرى ميزان الأعمال، فلما رآه وقع مغشياً عليه. فلما أفاق، قال: «يا إلهي من يقدر أن يملأ هذا من الحسنات! فأوحى الله إليه إن كنت راضياً عن عبدي أملؤه بتمرة»^(٤).

أقول: ورضا الله سبحانه - حسب الأدلة - إنما يكون بالنسبة إلى غير من هو معلوم عدم أهليته، كما ورد عن النبي الأكرم عليه السلام، قال: «إن الله يحاسب كل

(١) بحار الأنوار: ج ٩٧ ص ٢٨٧ ب ٤ ضمن ح ١٨، ج ٩٧ ص ٣٣٠ ب ٤ ح ٢٩.

(٢) سورة الأنبياء: ٤٧.

(٣) معاني الأخبار: ص ٣١ - ٣٢ باب معنى الموازين ح ١.

(٤) بحار الأنوار: ج ٧ ص ٢٤٧ ب ١٠.

خلق إلا من أشرك بالله، فإنه لا يحاسب ويؤمر به إلى النار»^(١).
 وعن الإمام السجاد عليه السلام، أنه قال: «اعلموا عباد الله، أن أهل الشرك لا
 ينصب لهم الموازين، ولا تنشر لهم الدواوين، وإنما يحشرون إلى جهنم زمراً،
 وإنما نصبُ الدواوين ونشرُ الدواوين لأهل الإسلام»^(٢).

(١) جامع الأخبار: ص ١٧٦ ف ١٣٩.

(٢) الكافي: ج ٨ ص ٧٥ كلام علي بن الحسين عليه السلام ح ٢٩.

الحساب في يوم القيامة

مسألة: القرآن الحكيم يتضمن آيات عديدة في ذكر الحساب يوم القيامة والسؤال فيه ، قال سبحانه في أكثر من آية: ﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾^(٢).

وقال سبحانه: ﴿وَكَايِنٍ مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسِبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَبْنَاهَا عَذَابًا تَكْرًا﴾^(٣).

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾^(٤).

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾^(٥).

ومن الواضح أن الله عالم بكل شيء ، فالحساب لأجل أن يطلع الإنسان المحاسب - بالفتح - على أعماله ونتيجتها وتتم الحجة عليه ، ويعرف الناس والآخرون في الجملة مقادير كل إنسان من الحسنات والسيئات ، وربما لكي تطلع سائر الأمم أيضاً ، وأيضاً لكي تطلع الملائكة من ملائكة نعيم وجحيم وغيرها.

(١) سورة البقرة: ٢٠٢ ، سورة النور: ٣٩.

(٢) سورة الأنعام: ٦٢.

(٣) سورة الطلاق: ٨.

(٤) سورة الانشقاق: ٧ - ٨.

(٥) سورة الغاشية: ٢٥ - ٢٦.

هكذا يُحاسب الخلق

عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، قال: «إنه تعالى يحاسب الخلق دفعة كما يرزقهم دفعة»^(١)، فهناك الحساب والكتاب والسؤال والجواب والشهود.

وعن الإمام الباقر عليه السلام، قال: «إنه إذا كان يوم القيامة وحاسب الله عبده المؤمن، أوقفه على ذنوبه ذنباً ذنباً ثم غفرها له، لا يطلع على ذلك ملك مقرب، ولا نبي ولا مرسل».

وقال عليه السلام: «ويستر عليه من ذنوبه ما يكره أن يوقفه عليها».

قال: «ويقول لسيئاته كوني حسنة، قال: وذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿فَأُولَئِكَ يَبْدُلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾^(٢)»^(٣).

ولعل الجمع بين مثل هذه الرواية مما دلت على الستر، وغيرها مما تدل على الفضح، هو ما يظهر من الرواية التالية: من اختصاص الستر بالشيعة، أو أنه مختص بمن رجحت موازينه بالمآل، وكان من أهل الجنة، وهم من أتباع أهل البيت عليهم السلام.

فقد ورد عن محمد بن مسلم، قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿فَأُولَئِكَ يَبْدُلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾^(٤)؟ فقال عليه السلام: «يؤتى بالمؤمن المذنب يوم القيامة حتى يقام بموقف الحساب، فيكون الله تعالى هو الذي يتولّى حسابه، لا يُطلع على حسابه أحداً من الناس، فيعرفه ذنوبه، حتى إذا أقرّ

(١) بحار الأنوار: ج ٧ ص ٢٥٤ ب ١١.

(٢) سورة الفرقان: ٧٠.

(٣) بحار الأنوار: ج ٧ ص ٢٥٩ - ٢٦٠ ب ١١ ح ٥.

(٤) سورة الفرقان: ٧٠.

بسيئاته. قال الله عزَّ وجلَّ للكتَّبة: بَدَلُوها حَسَنات وَأَظْهِرُوها لِلنَّاسِ. فيقول الناس حينئذ: ما كان لهذا العبد سيئة واحدة. ثم يأمر الله به إلى الجنة، فهذا تأويل الآية، وهي للمذنبين من شيعتنا خاصة»^(١).

وعن النبي ﷺ، قال: «أول ما يُسأل عنه العبد حيناً أهل البيت»^(٢).

أقول: لوضوح أن القادة المعصومين عليهم السلام وولايتهم هي أهم شيء في حياة الإنسان، فالقيادة الصحيحة هي التي تأتي بالأعمال الصحيحة والموازن المستقيمة، بينما القيادة الباطلة تكون سبب الأعمال المشينة.

وعلى أي: فقد ورد في روايات متواترة أن الدنيا في حلالها حساب، وفي حرامها عقاب، وفي الشبهات عتاب^(٣).

تجسم العقائد والأقوال والأعمال

ثم إن الظاهر من الروايات كما مر: أن الأعمال الحسنة والأعمال القبيحة، والعقائد الحسنة والعقائد القبيحة، وكذلك الأقوال الحسنة والأقوال القبيحة، وهكذا الأفكار، تتجسم مع الإنسان من أول يوم يدخل في قبره حتى يوافي المحشر.

ففي الحديث حول القبر: «يفتح له باب إلى النار، فيرى مقعده من النار - ثم قال - ثم إنه يخرج منه رجل أقبح من أن يرى قط»^(٤).

وفي خبر آخر: «يأتيه أقبح من خلق رأياً ورؤياً، وأنتنه ريحاً. فيقول: يا عبد الله، من أنت! ما رأيت شيئاً أقبح منك؟. قال: فيقول: أنا عمك السيئ الذي

(١) بحار الأنوار: ج ٧ ص ٢٦١ - ٢٦٢ ب ١١ ح ١٢.

(٢) بحار الأنوار: ج ٧ ص ٢٦٠ ب ١١ ح ٨.

(٣) راجع كفاية الأثر: ص ٢٢٧ باب ما جاء عن الحسن عليه السلام.

(٤) بحار الأنوار: ج ٦ ص ٢٦٧ ب ٨ ح ١١٤.

كنت تعمله، ورأيت الخبيث»^(١).

وفي حديث: «إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ اشْتَعَلَ قَبْرَهُ نَارًا، يَقُولُ: لِي الْوَيْلُ - إِلَى أَنْ قَالَ - فَيَأْتِيهِ عَمَلُهُ الْخَبِيثُ يَقُولُ: وَاللَّهِ، مَا عَلِمْتُكَ إِلَّا كُنْتَ عَنِ طَاعَةِ اللَّهِ مَبْطُئًا، وَإِلَى مَعْصِيَةِ اللَّهِ مُسْرِعًا، قَدْ كُنْتَ تَرْكِبُنِي فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَرْكَبَكَ الْيَوْمَ، وَأَقُودَكَ إِلَى النَّارِ. ثُمَّ يَسْتَوِي عَلَى مَنْكِبِيهِ، فَيُرْكَلُ قَفَاهُ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى عَجْزَةِ جَهَنَّمَ، فَلَا يَفَارِقُهُ طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَيُؤَنِّسُهُ وَيُعَذِّبُهُ حَتَّى تُعْرَضَ عَلَيْهِ رَبَّهُمَا»^(٢).

وفي حديث آخر يقول له عمله الجسم: «أنا قرينك في قبرك ويوم نشرك، حتى أعرض أنا وأنت على ربك»^(٣).

وعن قيس بن عاصم، قال: وفدت مع جماعة من بني تميم إلى النبي ﷺ، فدخلت عليه وعنده الصلصال بن الدلمس. فقلنا: يا نبي الله، أعطنا موعظة ننتفع بها، فإننا قوم نعبر في البرية. فقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ مَعَ الْعِزِّ ذُلًّا، وَإِنَّ مَعَ الْحَيَاةِ مَوْتًا، وَإِنَّ مَعَ الدُّنْيَا آخِرَةً، وَإِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا، وَعَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا، وَإِنَّ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابًا، وَإِنَّهُ لَا بَدَلَ لَكَ يَا قَيْسُ مِنْ قَرِينٍ يَدْفِنُ مَعَكَ وَهُوَ حَيٌّ، وَتَدْفِنُ مَعَهُ وَأَنْتَ مَيِّتٌ، فَإِنْ كَانَ كَرِيمًا أَكْرَمَكَ، وَإِنْ كَانَ لَثِيمًا أَسَاءَكَ. ثُمَّ لَا يَحْشُرُ إِلَّا مَعَكَ وَلَا تُحْشَرُ إِلَّا مَعَهُ، وَلَا تُسْأَلُ إِلَّا عَنْهُ، فَلَا تَجْعَلُهُ إِلَّا صَالِحًا؛ فَإِنَّهُ إِنْ صَلَحَ أَنْسَتَ بِهِ، وَإِنْ فَسَدَ لَا تَسْتَوْحِشُ إِلَّا مِنْهُ، وَهُوَ فَعْلُكَ».

فقال: يا نبي الله، أحب أن يكون هذا الكلام في آيات من الشعر نفخر به على من يلينا من العرب فندخره. فأمر النبي ﷺ أن يأتيه بحسان، فاستبان لي

(١) بحار الأنوار: ج ٦ ص ٢٦٧ ب ٨ ح ١١٤.

(٢) الاختصاص: ص ٣٦١ باب صفة النار، بحار الأنوار: ج ٨ ص ٣١٩ ب ٢٤ ح ٩٩.

(٣) الكافي: ج ٣ ص ٢٣١ باب أن الميت يمثل له ماله وولده وعمله قبل موته ح ١.

القول قبل مجيء حسان. فقلت: يا رسول الله، قد حضرني أبيات أحسبها توافق ما تريد.

فقلت:

تخير خليطاً من فعالك إنما	قرين الفتى في القبر ما كان يفعل
ولابد بعد الموت من أن تعدّه	ليوم ينادى المرء فيه فيقبل
فإن كنت مشغولاً بشيء فلا تكن	بغير الذي يرضى به الله تشغل
فلن يصحب الإنسان من بعد موته	ومن قبله إلا الذي كان يعمل ^(١)

إلى غير ذلك من الروايات الكثيرة المذكورة في كتب الأحاديث قديمها وحديثها.

(١) الخصال: ج ١ ص ١١٤ - ١١٥ للمرء المسلم ثلاثة أخلاء ح ٩٣.

ماذا في القيامة؟

مسألة: في يوم القيامة سؤال وجواب، وتطاير الكتب، وإنطاق الجوارح وربما الجوانح أيضاً، والاستشهاد بالشهود من القلم واللوح والملائكة والناس وغير الناس، وحتى الجمادات كالأرض وغيرها.

قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾^(١).

وقال سبحانه: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ * فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ﴾^(٢).

وقال تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾^(٣).

وقال سبحانه: ﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا * اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾^(٤).

وقال تعالى: ﴿لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾^(٥).

وقال سبحانه: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ *

(١) سورة المائدة: ١٠٩.

(٢) سورة الأعراف: ٦ - ٧.

(٣) سورة النساء: ٤١.

(٤) سورة الإسراء: ١٣ - ١٤.

(٥) سورة الحج: ٧٨.

حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَقَالُوا لِمَ لَجُّودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١﴾.

وعن الإمام الباقر عليه السلام - في قول الله تعالى: ﴿هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ (٢) - قال: «إذا كان يوم القيامة وحُشِرَ الناس للحساب، فيمرون بأهوال يوم القيامة، فينتهون إلى العرصة، فيأمر لهم من يدعى بنداء يُسمع الخلائق أجمعين أن يُهتف باسم محمد بن عبد الله صلوات الله عليه النبي القرشي العربي - قال - فيتقدم حتى يقف على يمين العرش. قال: ثم يدعى بصاحبكم علي بن أبي طالب عليه السلام، فيتقدم حتى يقف على يسار رسول الله صلوات الله عليه، ثم يدعى بأمة محمد صلوات الله عليه فيقفون عن يسار علي عليه السلام، ثم يدعا كل نبي وأُمَّته معه، من أول النبيين إلى آخرهم وأُمَّتهم معهم، فيقفون عن يسار العرش».

قال: «ثم أول من يدعى للمساءلة القلم، فيتقدم فيقف بين يدي الله عز وجل في صورة الآدميين. فيقول الله: هل سَطَّرت في اللوح ما ألهمتكَ، وما أمرتكَ به من الوحي؟. فيقول القلم: نعم يا رب، قد علمت أني قد سَطَّرت في اللوح ما أمرتني، وألهمتني به من وحيك. فيقول الله: مَنْ يشهد لك بذلك؟. فيقول يا رب، هل اطَّلَع على مكنون سرِّك خلق غيرك؟. قال: فيقول: أفلجت حجتك»، أي أظهرتها وقومتها.

قال: «ثم يدعى باللوح، فيتقدم في صورة الآدميين حتى يقف مع القلم. فيقول له: هل سَطَّر فيك القلم ما ألهمته وأمرته به من وحيي؟. فيقول اللوح: نعم يا رب، وبلغته إسرافيل.

ثم يدعى إسرافيل، فيتقدم مع القلم واللوح بصورة الآدميين. فيقول الله:

(١) سورة فصلت: ١٩ - ٢١.

(٢) سورة المائدة: ١١٩.

هل بلغك اللوح ما سطر فيه القلم من وحيي؟. فيقول: نعم يا رب، قد بلغتة جبرائيل.

فيُدعى بجبرائيل، فيتقدم حتى يقف مع إسرائيل فيقول الله: هل بلغك إسرائيل ما بلغ؟.

فيقول: نعم يا رب، بلغته جميع أنبيائك، وأنفذت إليهم جميع ما انتهى إلي من أمرك، وأديت رسالاتك إلى نبي نبي، ورسول رسول، وبلغتهم كل وحيك وحكمتك وعلمك وكتبك، وإن آخر من بلغته رسالاتك ووحيك وحكمتك وعلمك وكتبك وكلامك، محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله العربي القرشي الحرمي حبيك».

قال أبو جعفر عليه السلام: فأول من يدعى من ولد آدم للمساءلة محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام، قال: «إذا كان يوم القيامة، ونُصب الموازين، وأحضر النبيون والشهداء - وهم الأئمة عليهم السلام - يشهد كل إمام على أهل عالمه، أنه قد قام فيهم بأمر الله عز وجل، ودعاهم إلى سبيل الله» (٢).

وعن الإمام الصادق عليه السلام - في قول الله عز وجل: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ (٣) - قال: «نزلت في أمة محمد صلى الله عليه وآله خاصة، في كل قرن منهم إمامٌ منا شاهد عليهم، ومحمد صلى الله عليه وآله شاهد علينا» (٤).

(١) بحار الأنوار: ج ٧ ص ٢٨٠ - ٢٨١ ب ١٢ ح ٣.

(٢) بحار الأنوار: ج ٧ ص ٢٨٣ ب ١٢ ح ٦.

(٣) سورة النساء: ٤١.

(٤) الكافي: ج ١ ص ١٩٠ باب في أن الأئمة شهداء الله عز وجل على خلقه ح ١.

أقول: كونها في أمة محمد صلوات الله عليه وآله خاصة، عبارة عن أظهر مصاديق الآية المباركة، أو هي في مرحلة من مراحل القيامة، فإنها مراحل فقد يؤتى بكل الأمم، وقد يؤتى بشهيد منها.

وعن الإمام الصادق عليه السلام - لما سُئِلَ عن قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾^(١) - قال: «إن الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة: عبدي أكنتَ عالماً؟ إن قال: نعم. قال له: أ فلا عملتَ بما علمتَ؟. فإن قال: كنتَ جاهلاً. قال له: أ فلا تعلَّمتَ حتى تعمل؟. فيخضم، وتلك الحجَّة البالغة لله عزَّ وجلَّ على خلقه»^(٢).

وعن الإمام الصادق عليه السلام - وقد سُئِلَ يُصلي الرجل نوافله في موضع أو يفرِّقها - قال: «لا، بل هنا وهنا، فإنها تشهد له يوم القيامة»^(٣).

وعن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إذا تاب العبد توبة نصوحاً أحبه الله فستر عليه في الدنيا والآخرة». فقلت له: وكيف يستر عليه؟ قال: «ينسي ملكيه ما كتب عليه من الذنوب، فيوحي إلى جوارحه اكتمي عليه ذنوبه، فيوحي إلى بقاع الأرض اكتمي عليه ما كان يعمل عليك من الذنوب، فيلقى الله حين يلقاه وليس شيء يشهد عليه بشيء من الذنوب»^(٤).

ولعل هذه الرواية من موارد الجمع، بين ما دل على الستريوم القيامة، وما دل على الفضح.

(١) سورة الأنعام: ١٤٩.

(٢) بحار الأنوار: ج ٧ ص ٢٨٥ ب ١٣ ح ١.

(٣) بحار الأنوار: ج ٧ ص ٣١٨ ب ١٦ ح ١٥، والبحار: ج ٨ ص ٣٥ ب ١ ح ٢٠.

(٤) الكافي: ج ٢ ص ٤٣٠ - ٤٣١ باب التوبة ح ١.

شهادة القرآن

مسألة: القرآن الكريم في يوم القيامة يشهد لمن تلاه وعَمِلَ به، كما يشهد على مَنْ ضيَّعه، فيشفع للعامل به حتى يدخل الجنة، كما في جملة من الروايات.

قال رسول الله ﷺ: «إن القرآن شافع مشفع، وما حلُّ مصدق»^(١).
وقال أبو عبد الله عليه السلام - في حديث - : «يُدعى ابن آدم المؤمن للحساب، فيقدم القرآن أمامه في أحسن صورة. فيقول: يا رب، أنا القرآن وهذا عبدك المؤمن، قد كان يتعب نفسه بتلاوتي، ويطيل ليله بترتيلي، وتفيض عيناه إذا هجد، فأرضه كما أرضاني».

قال: «فيقول العزيز الجبار: عبدي أبسط يمينك، فيملأها من رضوان الله، ويملاً شماله من رحمة الله، ثم يقال: هذه الجنة مباحة لك فاقرأ واصعد، فإذا قرأ آية صعِد درجة»^(٢).

(١) بحار الأنوار: ج ٨٩ ص ٢٠ ب ١ ح ١٩.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ٦٠٢ كتاب فضل القرآن ح ١٢.

شهادة الأيام

كما يستفاد من الروايات أن الأيام أيضاً تشهد في يوم القيامة، كما أن الأمكنة تشهد. فعن الإمام الصادق عليه السلام، قال: «ما من يوم يأتي على ابن آدم إلا قال له ذلك اليوم: يا ابن آدم، أنا يوم جديد، وأنا عليك شهيد، فقل في خيراً، واعمل في خيراً، أشهد لك يوم القيامة، فإنك لن تراني بعد هذا أبداً»^(١).
أقول: والمراد أنه لا يرى نفس ذلك اليوم في هذه الدنيا أبداً، لا أنه لا يرى ذلك اليوم في الآخرة.

فيظهر أنه يؤتى يوم القيامة بالأيام أيضاً، والظاهر أن الأيام أعم من الليالي كما لا يخفى.

وما ذكر لا ينافي أن يحيى الإنسان بعد موته في هذه الدنيا ويعمر، كما في قصة إرميا وعزير، ومن أحياه عيسى عليه السلام من الأموات، وهكذا بالنسبة إلى بعض الأنبياء ونبيّنا وأئمتنا (صلوات الله عليهم أجمعين).

الحساب اليسير والشديد

ثم إن الحساب قد يكون يسيراً، كما في المؤمنين من شيعة علي (صلوات الله عليه)، وقد يكون عسيراً كما في أعداء أهل البيت عليهم السلام.

فعن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إن الله تبارك وتعالى إذا أراد أن يحاسب المؤمن أعطاه كتابه بيمينه، وحاسبه فيما بينه وبينه. فيقول: عبدي فعلت كذا وكذا، وعملت كذا وكذا. فيقول: نعم يا رب، قد فعلت ذلك. فيقول: قد غفرتها لك، وأبدلتها حسنات. فيقول الناس: سبحان الله! أما كان لهذا العبد

(١) الكافي: ج ٢ ص ٥٢٣ باب القول عند الإصباح والإمساء ح ٨.

سيئة واحدة، وهو قول الله عز وجل ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا * وَنُقَلِّبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾^(١)... قال: «أهله في الدنيا هم أهله في الجنة إن كانوا مؤمنين - قال - وإذا أراد بعبد شراً حاسبه على رؤوس الناس ويكته، وأعطاه كتابه بشماله، وهو قول الله عز وجل ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ * فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا * وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا * إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾^(٢)... قال: «أهله في الدنيا». قلت: قوله ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ﴾^(٣)؟ قال: «ظن أنه لن يرجع»^(٤).

وعن أبي بصير، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إن المؤمن يعطى يوم القيامة كتاباً منشوراً، مكتوب فيه: كتاب الله العزيز الحكيم أدخلوا فلاناً الجنة»^(٥).

وعن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إن الناس يمرون على الصراط طبقات، والصراط أدق من الشعر، ومن حدّ السيف. فمنهم من يمر مثل البرق، ومنهم من يمر مثل عدو الفرس، ومنهم من يمر حبواً، ومنهم من يمر مشياً، ومنهم من يمر متعلقاً قد تأخذ النار منه شيئاً وتترك شيئاً»^(٦).

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «إن الناس يقسم بينهم يوم القيامة على قدر إيمانهم»^(٧).

(١) سورة الانشقاق: ٧ - ٩.

(٢) سورة الانشقاق: ١٠ - ١٣.

(٣) سورة الانشقاق: ١٤.

(٤) الزهد: ص ٩٢ ب ١٧ ح ٢٤٦.

(٥) الزهد: ص ٩٢ ب ١٧ ح ٢٤٧.

(٦) روضة الواعظين: ج ٢ ص ٤٩٩ مجلس في ذكر القيامة والصراط ونصب الموازين.

(٧) بحار الأنوار: ج ٧ ص ١٨١ ب ٨ ح ٢٤.

وفي دعاء الوضوء: «اللهم أعطني كتابي بيمينني، والخلد في الجنان بيساري، وحاسبني حساباً يسيراً»^(١). وأيضاً: «اللهم لا تعطني كتابي بشمالي، ولا تجعلها مغلولة إلى عنقي، وأعوذ بك من مقطعات النيران»^(٢).

أقول: والمراد بـ «مقطعات النيران» الأثواب التي قطعت، كما قال تعالى: ﴿قَطَّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ * يُصْهِرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ * وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ﴾^(٣).

وقد ذكرنا مكرراً: إنَّ الإنسان يُجازى في الآخرة كما فعل في الدنيا، وقد رأينا المجرمين من أمثال صدام وجلاوزته، كيف يعذبون الأبرياء^(٤)، فقد كانوا يصبون فوق رؤوس السجّناء الماء الساخن المغلي، أو الزيت الساخن جداً، وذلك واحد من أنواع التعذيب الكثيرة في سجون البعثيين، وغيرهم من الطغاة. فهل هؤلاء الجلاوزة، وهؤلاء الرؤساء، لا يستحقون أمثال ذلك؟.

(١) ثواب الأعمال: ص ١٦ ثواب من توضأ مثل وضوء أمير المؤمنين عليه السلام، روضة الواعظين: ج ٢

ص ٣٠٥ مجلس في ذكر الطهارة وثوابها.

(٢) فقه الرضا عليه السلام: ص ٧٠ المقدمة.

(٣) سورة الحج: : ١٩ - ٢١.

(٤) وقد أشار الإمام المؤلف رحمته الله إلى بعض تلك الممارسات في كتابه "الصياغة الجديدة لعالم الحرية والرفاه والسلام"، و"تلك الأيام".

شهود في يوم القيامة

عن الإمام العسكري عليه السلام، قال: قال رسول الله ﷺ: «أما إن الله عز وجل كما أمركم أن تحتاطوا لأنفسكم وأديانكم وأموالكم باستشهاد الشهود العدول عليكم، فكذا قد احتاط على عباده ولكم في استشهاد الشهود عليهم.

فله عز وجل على كل عبد رقباء من كل خلقه: ﴿لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّن بَيْن يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾^(١)، يحفظون عليه ما يكون منه من أعماله وأقواله وألفاظه وأحاطه، والبقاع التي تشتمل عليه شهود ربه له أو عليه، الليالي والأيام شهود عليه أو له، وسائر عباد الله المؤمنين شهود عليه أو له، وحفظته الكاتبون أعماله شهود له أو عليه، فكم يكون يوم القيامة من شقي بشهادتها عليه.

إن الله عز وجل يبعث يوم القيامة عباده أجمعين وإماءه فيجمعهم على صعيد واحد، ينفذهم البصر، ويسمعهم الداعي، وتحشر الليالي والأيام وتستشهد البقاع، شهود على أعمال العباد. فمن عمل صالحاً شهدت له جوارحه وبقاعه وشهوره وأعوامه وساعاته وأيامه وليالي الجمع وساعاتها وأيامها، وما يسعد بذلك سعادة الأبد، ومن عمل سوءاً شهدت عليه فيشقى بذلك شقاء الأبد.

فاعملوا ليوم القيامة وأعدوا الزاد ليوم الجمع، يوم التناد، وتجنبوا المعاصي، فبتقوى الله يُرجى الخلاص»^(٢).

أقول: المراد بالاحتياط بالنسبة إلى الله سبحانه الإحاطة، لا الاحتياط

(١) سورة الرعد: ١١.

(٢) تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٦٥٣ - ٦٥٥ في من لا يستجاب دعاؤه ح ٣٧٣.

بالمعنى الذي هو في العباد، فاللفظ واحد لكن المعنى مختلف لمناسبة الحكم والموضوع، إلا إذا أريد به المعنى المجازي، ويقصد به حينئذ: ما هو نتيجة الاحتياط، وهو اتخاذ مختلف التدابير اللازمة.

وكذلك قال تعالى: ﴿فَالْيَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾^(١)، أي يشهد على أفعالهم وأعمالهم يوم القيامة.

وقال سبحانه: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا﴾^(٢).

وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ﴾^(٣)، وفي خبر أنها نزلت في يوم تعرض عليهم أعمالهم فينكرونها فيقولون: ما عملنا شيئاً منها، فتشهد عليهم الملائكة الذين كتبوا عليهم أعمالهم.

وقد قال الإمام الصادق عليه السلام: «يقولون لله: يا رب، هؤلاء ملائكتك يشهدون لك. ثم يجلفون لله ما فعلوا من ذلك شيئاً، وهو قول الله عز وجل: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعاً فَيُخَلِّفُونَ لَهُ كَمَا يَخْلِفُونَ لَكُمْ﴾^(٤) - إلى أن قال - فعند ذلك يحتم الله ألسنتهم فتتطق جوارحهم، فيشهد السمع بما سمع مما حرم الله، ويشهد البصر بما نظر إلى ما حرم الله، وتشهد اليدين بما أخذتا، وتشهد الرجلان بما سعيهما فيما حرم الله، ويشهد الفرج بما ارتكب مما حرم الله. ثم تنطق ألسنتهم فيقولون لجلودهم لم شهدتم علينا! قالوا: أنطقنا الله الذي أنطق كل

(١) سورة يونس: ٤٦.

(٢) سورة يونس: ٦١.

(٣) سورة فصلت: ٢٠.

(٤) سورة المجادلة: ١٨.

شيء»^(١).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام - في خطبة له يصف هول القيامة - قال: «خُتِمَ على الأفواه فلا تكلم، فتكلمت الأيدي وشهدت الأرجل، ونطقت الجلود بما عملوا، فلا يكتمون لله حديثاً»^(٢).

وفي حديث: إن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إذا كان يفرغ بيت المال وينفقها تماماً، صلى فيه ركعتين ويقول: «اشهدي لي أنني ملأتك بحق وفرغتك بحق»^(٣).

وفي حديث عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، قال: «أتدرون ما أخبارها؟». قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «أخبارها أن تشهد على كل عبد وأمة بما عمله على ظهرها، تقول: عمِلَ كذا وكذا، يوم كذا وكذا، فهذا أخبارها»^(٤).

وفي رواية أخرى: «فالبقاع التي تشتمل عليه، شهودُ ربه له أو عليه»^(٥).

وفي رواية عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: «صلّوا من المساجد في بقاع مختلفة، فإن كل بقعة تشهد للمصلي عليها يوم القيامة»^(٦).

وفي الرواية: «إن الوحوش والبهائم تُحشر يوم القيامة، فتسجد لله سجدة. فتقول الملائكة: ليس هذا يوم السجود، هذا يوم الثواب والعقاب. فتقول البهائم: هذا سجود الشكر، حيث لم يجعلنا الله من بني آدم. ويقال: إن الملائكة تقول للبهائم: لم يحشركم الله لثواب ولا عقاب، إنما حشركم لتشهدوا فضائح بني آدم».

(١) تفسير القمي: ج ٢ ص ٢٦٤ شهادة الجوارح يوم القيامة.

(٢) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٤٢ من سورة النساء ح ١٣٣.

(٣) شرح نهج البلاغة: ج ٢ ص ١٩٩ مناقب علي عليه السلام وذكر طرف من أخباره.

(٤) بحار الأنوار: ج ٧ ص ٩٧ ب ٥.

(٥) تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٦٥٤ في من لا يستجاب دعاؤه ح ٣٧٣.

(٦) بحار الأنوار: ج ٨٠ ص ٣٨٤ ب ٨٠ ح ٥٩.

إلى غيرها من الروايات الكثيرة في باب الشهود يوم القيامة.

وقد عدّ شيخنا النوري رحمته الله (١) ستة وعشرين ملكاً موكلين بكل إنسان، بل لعله يفهم من بعض الأحاديث كون الملائكة أكثر من ذلك، حيث ورد أنّ في قلب كل إنسان لمتين، لمة من الملك، ولمة من الشيطان (٢).

ومن الواضح أن الله سبحانه لا يحتاج إلى شهود، ولا سؤال وجواب ولا صحيفة، ولا ما أشبه ذلك، وإنما جعل الله الدنيا شهوداً بهذه الكيفية؛ لأن الله

(١) المحدث الشيخ الميرزا حسين بن الميرزا محمد تقي بن الميرزا علي محمد بن تقي النوري الطبرسي. وُلد سنة ١٢٥٤هـ في قرية بالو من توابع مازندران بإيران. درس أولاً على يد المولى محمد علي المحلاتي وتلمذ عليه، ثم سافر إلى طهران فحضر عند الشيخ عبد الرحيم البروجردي، ثم زار النجف الأشرف سنة ١٢٧٣هـ وبقي فيها أربع سنوات ثم عاد إلى إيران، بعدها رجع إلى العراق ثانية، فحضر عند العالم الكبير عبد الحسين الطهراني المشهور بشيخ العراقيين في مدينة كربلاء، ثم سافر إلى مدينة الكاظمية وبقي فيها سنتين. وفي سنة ١٢٨٠هـ تشرف بزيارة بيت الله الحرام وقبر الرسول والأنمة المعصومين عليهم السلام في البقيع. ثم عاد إلى النجف الأشرف وحضر عند الشيخ الأنصاري شهور عدة حيث توفي الشيخ سنة ١٢٨١هـ، فذهب إلى إيران سنة ١٢٨٤هـ لزيارة الإمام الرضا عليه السلام في مدينة مشهد المقدسة، ثم عاد إلى العراق في سنة ١٢٨٦هـ، ثم سافر لحج بيت الله مرة ثانية، ثم عاد إلى النجف الأشرف فبقي فيها سنين لازم خلالها درس السيد المجدد الشيرازي، ولما هاجر السيد سنة ١٢٩١هـ إلى سامراء وأقام فيها، تبعه المحدث النوري في السنة اللاحقة بصحبة فتح علي السلطان آبادي الشيخ فضل الله النوري، ثم رزقه الله حج بيته الحرام ثالثاً، ولما عاد سافر إلى إيران سنة ١٢٩٧هـ، فزار مشهد الإمام الرضا عليه السلام، وفي سنة ١٢٩٩هـ تشرف بزيارة بيت الله الحرام للمرة الرابعة والأخيرة، ثم عاد إلى سامراء وبقي فيها إلى سنة ١٣١٢هـ ملازماً لأستاذه الميرزا الشيرازي، ثم عاد إلى النجف الأشرف في سنة ١٣١٤هـ عازماً على البقاء فيها حتى أدركه الأجل المحتوم. ترك رحمته الله مؤلفات قيمة قاربت العشرين كتاباً منها: ١. مستدرک الوسائل، ٢. دار السلام فيما يتعلق بالرؤيا والمنام، ٣. جنة المأوى فيمن فاز بلقاء الحجة عليه السلام، ٤. الفيض القدسي في أحوال العلامة المجلسي رحمته الله، وغيرها. توفي رحمته الله في ليلة الأربعاء ٢٧ جمادى الثانية سنة ١٣٢٠هـ، فدفن في الصحن المطهر لأمر المؤمنين عليه السلام في باب القبلة.

(٢) ومعنى اللمة: جماعة معتد بها.

فياض مطلق، ويخلق كل ما يمكن خلقه مما لا محذور فيه، وقد خلق الله ألوف العوالم بأشكال مختلفة، وهذا العالم خلقه بهذا الشكل من أوله إلى آخره، حيث الجنة ودوامها وحيث النار وخلودها.

وقد روي في "بحار الأنوار" أن الرسول ﷺ، قال:

«أما والذي نفس محمد ﷺ بيده، ليوشكن الرجل أن يغيب عن أهله الروحة أو الغدوة، ثم يخبره سوطه أو عصاه أو نعله بما أحدث أهل من بعده»^(١).

(١) بحار الأنوار: ج ١٧ ص ٣٩٤ ب ٥ ح ٦.

الشفاعة وحكمتها

مسألة: مما يكون في يوم القيامة الشفاعة بإذن الله تعالى، والشفاعة أمر حسن يجبّه ويرتضيه العقل والعقلاء، وقد وردت بها آيات وروايات كثيرة. وليست الشفاعة بمعنى أن يشفع لغير المستحق، كأن يشفع لمن ليس أهلاً للتعليم لكي يكون معلماً، بل الشفاعة للمستحق الذي بحاجة إلى بعض الدرجات مثلاً، وذلك كالتألمب المجد الذي احتاج في الامتحانات لعلامة واحدة، فبما أنه لم تكن درجاته كاملة، لا بد وأن يشفع له حتى يصبح ناجحاً، أو يصبح معلماً.

بل لو لم تكن الشفاعة لكان نقصاً وهو قبيح عقلاً، فمن تعب عشرين سنة أو ما أشبهه، وتعلم في كل الصفوف، لكنه لم يخرج في الامتحان الأخير كاملاً لنقص في مسألة جزئية، فإنه يكون من الظلم أن لا يجعل معلماً، ويحشر مع الجهلة، فلا يستفاد من جهوده خلال هذه السنوات الكثيرة، فيصبح حملاً أو بقالاً أو بناءً أو نحوهم.

بالإضافة إلى أن الشفاعة نوع من الفضل، فالله متفضل لمن لم يسبق له عمل، حيث تفضل عليه بالخلق والنعم الكثيرة، فهل لا يتفضل على من بذل جهداً، وله عمل لكن فيه نقصاً فيتفضل عليه بالتكميل، فهو مثل أن يشير المدير إلى بعض المعلمين بشفاعة الطالب الذي بحاجة إلى بعض المساعدة.

وليس مثل ذلك ما إذا أراد شخص بإدخال من لا يحسن التعليم في جماعة المعلمين لكونه قريباً له، وإن كان على خلاف رأي المدير، فإنه من إدخال من لا يستحق في صف المستحقين بدون إرادة المدير.

أما الشفاعة في يوم القيامة فبإذن الله تعالى ، قال سبحانه : ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً﴾^(١) ، وقال تعالى : ﴿لَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾^(٢) .

آراء العلماء في الشفاعة

قال الشيخ الصدوق رحمته الله : (اعلم أنه لا خلاف بين المسلمين في ثبوت الشفاعة لسيد المرسلين صلوات الله وسلامته عليه في أمته ، بل في سائر الأمم الماضين ، بل ذلك من ضرورات الدين ، قال الله سبحانه : ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً﴾^(٣) .

والذي عليه الفرقة المحقة ، أن الشفاعة كما تكون في زيادة الثواب ، كذلك تكون لإسقاط العقاب عن فساق المسلمين المستحقين للعذاب).

وقال المحقق الطوسي رحمته الله : (والحق صدق الشفاعة في زيادة المنافع ، وإسقاط المضار ، وثبوت الثاني له كقوله صلوات الله وسلامته عليه : «ادخرت شفاعتي لأهل الكبراء من أمتي»^(٤) .

وعن النبي الأكرم صلوات الله وسلامته عليه ، أنه قال : «من لم يؤمن بشفاعتي ، فلا أناله الله شفاعتي»^(٥) .

(١) سورة الزمر : ٤٤ .

(٢) سورة الأنبياء : ٢٨ .

(٣) سورة الإسراء : ٧٩ .

(٤) بحار الأنوار : ج ٨ ص ٦٢ ب ٢١ ضمن ح ٨٦ .

(٥) الأمالي للشيخ الصدوق : ص ٧ المجلس الثاني ح ٤ . عيون أخبار الرضا عليه السلام : ج ١ ص ١٣٦

ب ١١ ح ٣٥ . كشف الغمة : ج ٢ ص ٢٨٦ باب ذكر وفاة الرضا عليه السلام . روضة الواعظين :

ص ٥٠٠ مجلس في ذكر الشفاعة والحوض .

من له حق الشفاعة

ومن الواضح أن الشفاعة للأنبياء، والأوصياء، والملائكة، والعلماء، والشهداء، والصلحاء، والمؤمنين، ومن أشبههم.

عن الإمام الصادق عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام، عن النبي الأكرم صلوات الله عليه وآله، أنه قال: «ثلاثة يشفعون إلى الله عز وجل فيشفعون: الأنبياء، ثم العلماء، ثم الشهداء»^(١).

وعن الإمام الرضا عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام، عن رسول الله صلوات الله عليه وآله، قال: «من لم يؤمن بحوضي فلا أورده الله حوضي، ومن لم يؤمن بشفاعتي فلا أناله الله شفاعتي - ثم قال صلوات الله عليه وآله - إنما شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي، فأما المحسنون فما عليهم من سبيل».

قال الراوي: فقلت للرضا عليه السلام: يا ابن رسول الله، فما معنى قول الله عز وجل: «وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى»؟^(٢). قال: «لا يشفعون إلا لمن ارتضى دينه»^(٣).

وفي حديث عن النبي الأكرم صلوات الله عليه وآله، أنه قال: «إني أشفع يوم القيامة فأشفع، ويشفع علي عليه السلام فيشفع، ويشفع أهل بيتي فيشفعون، وإن أدنى المؤمنين شفاعة ليشفع في أربعين من إخوانه كلُّ استوجب النار»^(٤).

وقد ورد في أحاديث متعددة حول القرآن الحكيم أنه: «شافع مشفع،

(١) الخصال: ج ١ ص ١٥٦ ثلاثة يشفعون إلى الله عز وجل فيشفعون ح ١٩٧.

(٢) سورة الأنبياء: ٢٨.

(٣) الأمالي للشيخ الصدوق: ص ٧ المجلس الثاني ح ٤. عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ١ ص ١٣٦

ب ١١ ح ٣٥. كشف الغمة: ج ٢ ص ٢٨٦ باب ذكر وفاة الرضا عليه السلام. روضة الواعظين:

ص ٥٠٠ مجلس في ذكر الشفاعة والحوض.

(٤) بحار الأنوار: ج ٨ ص ٣٠ ب ٢١.

وما حل مصدق»^(١).

وقال عليه السلام - في قوله تعالى: ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾^(٢) -: «العهد هو الإيمان والإقرار بوحداية الله تعالى، والتصديق بأنبيائه».

وفي رواية عن أمير المؤمنين عليه السلام، قال: قالت فاطمة عليها السلام لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يا أبتاه، أين ألقاك يوم الموقف الأعظم، يوم الأهوال، ويوم الفرع الأكبر؟». قال: يا فاطمة، عند باب الجنة ومعني لواء الحمد، وأنا الشفيع لأمتي»^(٣).

وعن سماعة، قال: سألت الإمام الصادق عليه السلام عن شفاعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم القيامة؟ فقال: «يلجم الناس يوم القيامة العرق، ويرهقهم القلق. فيقولون: انطلقوا بنا إلى آدم فيشفع لنا. فيأتون لآدم فيقولون: اشفع لنا عند ربك. فيقول: إن لي ذنباً وخطيئة، فعليكم بنوح. فيأتون نوحاً فيردهم إلى من يليه، ويردهم كل نبي إلى من يليه، حتى ينتهوا إلى عيسى فيقول: عليكم بمحمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. فيعرفون أنفسهم عليه، فيقول: انطلقوا. فينطلق بهم إلى باب الجنة، ويستقبل باب الرحمن، ويخرّ ساجداً، فيمكث ما شاء الله. فيقول الله عز وجل: ارفع رأسك، واشفع واسأل تعط. وذلك قوله سبحانه: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً﴾^(٤)»^(٥).

وعن الإمام الصادق عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال:

(١) بحار الأنوار: ج ٨٩ ص ٢٠ ب ١ ح ١٩.

(٢) سورة مريم: ٨٧.

(٣) بحار الأنوار: ج ٨ ص ٣٥ ب ٢١ ح ٦.

(٤) سورة الإسراء: ٧٩.

(٥) بحار الأنوار: ج ٨ ص ٣٥ - ٣٦ ب ٢١ ح ٧.

«إذا قمتُ المقام المحمود، تشفّعتُ في أصحاب الكبائر من أمتي، فيشفّعني الله فيهم، والله لا تشفّعت فيمن آذى ذريّتي»^(١).

وعن الإمام الصادق عليه السلام، قال: «من أنكر ثلاثة أشياء فليس من شيعتنا: المعراج، والمسألة في القبر، والشفاعة»^(٢).

وعن الإمام الصادق عليه السلام، قال: «إنّ المؤمن منكم يوم القيامة ليمرّ به الرجل له المعرفة به في الدنيا، وقد أمرَ به إلى النار والملك ينطلق به. قال: فيقول: يا فلان، أغثني فقد كنت أصنع إليك المعروف في الدنيا، وأسعفك بالحاجة تطلبها منّي، فهل عندك اليوم مكأفاة. فيقول المؤمن للملك الموكل: به خلّ سبيله. قال: فيسمع الله تعالى قول المؤمن، فيأمر الملك أن يجيز قول المؤمن، فيخلّي سبيله»^(٣).

وفي رواية "العلل"، عن الصادق عليه السلام، قال: «إذا كان يوم القيامة بعث الله العالم والعابد. فإذا وقفا بين يدي الله، قيل للعابد: انطلق إلى الجنة. وقيل للعالم: قف تشفّع للناس بحسن تأديبك لهم»^(٤).

وفي حديث عن الإمام الباقر عليه السلام، قال: «إنّ المؤمن ليشفع لجاره وما له حسنة. فيقول: يا ربّ، جاري كان يكفّ عني الأذى، فيشفع فيه. فيقول الله تبارك وتعالى: أنا ربّك، وأنا أحقّ من كافي عنك. فيدخله الجنة وما له من حسنة، وإنّ أقلّ المؤمنين شفاعة ليشفع لثلاثين إنساناً، فعند ذلك يقول أهل

(١) روضة الواعظين: ج ٢ ص ٢٧٣ مجلس في مناقب آل محمد عليهم السلام، الأمالي للشيخ الصدوق: ص ٢٩٤ المجلس التاسع والأربعون ح ٣.

(٢) روضة الواعظين: ج ٢ ص ٥٠١ مجلس في ذكر الشفاعة والحوض.

(٣) ثواب الأعمال: ص ١٧٢ - ١٧٣ ثواب اصطناع المعروف إلى المؤمن.

(٤) علل الشرائع: ج ٢ ص ٣٩٤ ب ١٣١ ح ١١.

النار: ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ * وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ (١) (٢).

وفي رواية عن رسول الله ﷺ، قال: «لكلّ نبي شفاعة، وأنا خبأت شفاعتي لأهل الكبائر من أمّتي، فتعجّل كلّ نبيّ دعوته، وإنّي اختبأت دعوتي يوم القيامة» (٣).

وفي رواية أخرى عن الرسول الأكرم ﷺ، قال: «لكلّ نبي دعوة مستجابة، فتعجّل كلّ نبيّ دعوته، وإنّي اختبأت دعوتي شفاعةً لأمتي يوم القيامة، فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً».

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي بعثني بالحقّ بشيراً، لا يعذب الله بالنار موحداً أبداً، إن أهل التوحيد ليشقّعون فيشفعون».

ثم قال ﷺ: «إذا كان يوم القيامة أمر الله بقوم ساءت أعمالهم في دار الدنيا إلى النار. فيقولون لله: يا ربّ، كيف تدخلنا النار وقد كنّا نوحّدك في دار الدنيا! وكيف تحرق ألسنتنا بالنار وقد نطقت بتوحيدك في دار الدنيا! وكيف تحرق قلوبنا وقد عقدت على أن لا إله إلا أنت! أم كيف تحرق وجوهنا وقد عقرناها لك في التراب! أم كيف تحرق أيدينا وقد رفعناها بالدعاء إليك!».

فيقول الله جلّ جلاله: ساءت أعمالكم في الدنيا فجزاؤكم نار جهنم.

فيقولون: يا ربّنا، عفوك أعظم أم خطيئتنا؟

فيقول الله جلّ جلاله: عفوي.

فيقولون: رحمتك أوسع أم ذنوبنا؟

فيقول الله سبحانه: بل رحمتي.

(١) سورة الشعراء: ١٠٠ - ١٠١.

(٢) بحار الأنوار: ج ٨ ص ٥٦ - ٥٧ ب ٢١ ح ٧٠.

(٣) بحار الأنوار: ج ٨ ص ٤٠ ب ٢١ ح ٢١.

فيقولون: إقرارنا بتوحيديك أعظم أم ذنوبنا؟.

فيقول الله عز وجل: بل إقراركم بتوحيدي.

فيقولون: يا ربنا، فليسعنا عفوك ورحمتك التي وسعت كل شيء.

فيقول الله جل جلاله: ملائكتي وعزتي وجلالي، ما خلقت خلقاً أحب

إليّ من المقرّين لي بتوحيدي وأن لا إله غيري، وحقّ عليّ أن لا أصل بالنار أهل

توحيدي أدخلوا عبادي الجنة»^(١).

إلى غيرها من الروايات الكثيرة.

أقول: ولا يخفى أنه لا يجوز للإنسان أن يرتكب المعاصي متكلاً على

الشفاعة كل الاتّكال، كما هي عادة بعض العصاة الذي لا يأبهون بالآخرة، بل

يلزم على الإنسان أن يكون بين الخوف والرّجاء، ويعمل بالطاعة مهما أمكن؛

وذلك لأنه لا يؤمن العاصي أن يسلب كلمة (لا إله إلا الله) عند الممات، فإن

«السيئات بعضها أخذ بعنق بعض» كما في الرواية.

ثم إنه لو فرض أنه لم يسلب التوحيد، فإن عذاب القبر والبرزخ والقيامة

شديد أليم أليم والعياذ بالله، ولعل كلمة أو نظرة يعذب بها الإنسان آلاف السنين

ثم تناله الشفاعة، فهل يسوى ذلك بالمعصية!؟

هذا بالإضافة إلى أن مقام المطيعين أرفع بلا شك من مقام العصاة الذين

تنالهم الشفاعة، فلا يصحّ للعاقل أن يترك ذاك المقام الأرفع بمعاصي قليلة

وشهوات زائلة، وحتى مثل سلمان المحمدي رضي الله عنه على عظمته وطاعته، وكونه

تالي تلو المعصوم عليه السلام، وفي بعض الروايات أنه كان من أوصياء عيسى عليه السلام،

وقد عدّ بغير زاد في كلام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، حيث كتب على كفته كما في

الرواية:

(١) التوحيد: ص ٢٩ ب ١ ح ٣١، روضة الواعظين: ج ١ ص ٤٢ باب في فضل التوحيد.

وفدتُ على الكريم بغير زادٍ من الحسنات والقلب السليم
وحمل الزاد أقبح كلِّ شيء إذا كان الوفود على الكريم

والظاهر أن المراد من هذين البيتين هو التضرع لله عزَّ وجل ، والعبودية والاستعطاف وطلب الرحمة الزائدة ؛ لأن المقصود بالكلام هو الذي يُصبُّ الكلام من أجله لا ما يدل عليه ألفاظه بالمعنى المطابقي .

فهو مثل : (كثير الرِّماد) ، و(طويل النجاد) وما أشبهه ، ممَّا ذكره في علم البلاغة ، حيث يقصد به معنى غير المطابقي ، فإذا لم يكن المعنى الثاني مقصوداً كان اللازم مطابقة الكلام مع معناه اللغوي ، ولم يكن كذلك فيكون غير صدق . والكذب في أمثال ذلك دائر مدار القصد لا اللفظ ، فإن لم يكن كريماً وقصد الكرم لكان الكذب ، وإن كان كثير الرماد حقيقة . أما إن كان كريماً كان صدقاً وإن لم يكن كثيراً رماده ، وإلاَّ فما معنى قوله ﷺ : « وحمل الزاد أقبح كلِّ شيء » وقد قال سبحانه : ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ﴾ (١) .

ومن هذا القبيل الأشعار والكلمات الأخرى في باب العفو وفي سائر الأبواب المشابهة .

(١) سورة البقرة : ١٩٧ .

الصراط

مسألة: الصراط هو الطريق، وهو على قسمين:

القسم الأول: المعنوي، وهو الطريق الذي يوصل إلى الأهداف الرفيعة والأغراض النبيلة، كما قال سبحانه: ﴿وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَفْرَقَ بَكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾^(١)، والصراط المستقيم هو الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام كما في الروايات.

القسم الثاني: الصراط المادي، وهو جسر في يوم القيامة بين المحشر والجنة ويكون على جهنم، فإن جهنم بعيدة عن المحشر، إذ المحشر على ما يظهر من الروايات - والعلم عند الله - يكون على هذه الأرض بعد أن تمدّ وتهدأ كما سبق، ويؤتى بجهنم كما قال عز وجل: ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾^(٢) فتلتصق جهنم بالأرض، وبعد جهنم تكون الجنة.

فيلزم على الإنسان الذي يريد أن يذهب إلى الجنة أن يمر من على هذا الصراط، فمن كان في هذه الدنيا صحيح العقيدة والعمل، مرّ عليه ولم يسقط في جهنم، فينتهي به سيره إلى الجنة. ومن كان غير صحيح العقيدة، وغير صحيح العمل سقط في النار، ولذا ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام، قال: «أنا الصراط الممدود بين الجنة والنار»^(٣)، إذ من تولاه عليه السلام تمكن من العبور لصحة عقيدته. أما من أبغضه، ونصب له العدا، ولم يعترف له بالولاية، فلا يتمكن من ذلك.

(١) سورة الأنعام: ١٥٣.

(٢) سورة الفجر: ٢٣.

(٣) الغيبة للنعمان: ص ١٦٥ ب ١٠، وفيه: «أنا جبل الله المتين، وأنا الصراط المستقيم، وأنا

الحجة لله على خلقه أجمعين بعد رسوله الصادق الأمين عليه السلام.

وعن الإمام الصادق عليه السلام، قال: «الصرّاط المستقيم أمير المؤمنين عليه السلام»^(١). فمن كان متمسكاً بولايتهم عليهم السلام ومحبّتهم، ومتابعتهم في أقوالهم وأفعالهم، فقد هدى الصرّاط المستقيم في الدنيا والآخرة. وأما من خالفهم، فقد زلّ وضلّ عنهم في الدنيا، فهناك أيضاً يزلّ ويضلّ، ويسقط في نار جهنّم.

وعن المفضّل بن عمر، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الصرّاط؟ فقال: «هو الطريق إلى معرفة الله عزّ وجلّ. وهما صراطان: صراط في الدنيا وصرّاط في الآخرة. فأما الصرّاط الذي في الدنيا، فهو الإمام المفروض الطّاعة، من عرفه في الدنيا واقتدى بهداه مرّ على الصرّاط الذي هو جسر جهنّم في الآخرة، ومن لم يعرفه في الدنيا زلت قدمه عن الصرّاط في الآخرة فتدرى في نار جهنّم»^(٢). والمراد بالصرّاط الذي هو معرفة الإمام، المصداق الذي هو أبرز المصدايق، وإلا فالعقائد الحقّة كلّها منه.

وفي تفسير الإمام العسكري عليه السلام، قال: «الصرّاط المستقيم صراطان: صراط في الدنيا وصرّاط في الآخرة. فأما الصرّاط المستقيم في الدنيا، فهو ما قصر عن الغلوّ، وارتفع عن التقصير، استقام فلم يعدل إلى شيء من الباطل. وأمّا الصرّاط في الآخرة، فهو الطريق إلى الجنة، الذي هو مستقيم لا يعدل عن الجنة إلى النار، ولا إلى غير النار سوى الجنة»^(٣).

أقول: ولعلّ المراد بـ «غير النار» الزمهير، كما قال سبحانه: ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهِيرًا﴾^(٤)، أو الأعراف حيث قال تعالى: ﴿وَعَلَىٰ

(١) الكافي: ج ١ ص ٤٣٣ باب فيه نكت وتنف من التنزيل في الولاية ح ٩١.

(٢) بحار الأنوار: ج ٨ ص ٦٦ ب ٢٢ ح ٣، والبحار: ج ٢٤ ص ١١ ب ٢٤ ح ٣.

(٣) تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٤٤ أعظم الطاعات ح ٢٠.

(٤) سورة الإنسان: ١٣.

الأعراف رِجَالٌ ﴿١﴾، حيث ورد أنها محل الأجنة وقسم من الناس.

وقال الصدوق رحمته الله في كتابه "العقائد": (اعتقادنا في الصراط أنه حق، وأنه جسر جهنم، وأن عليه ممر جميع الخلق، قال الله عز وجل: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾^(٢). والصراط بمعنى آخر اسم حجج الله، فمن عرفهم في الدنيا وأطاعهم، أعطاه الله عز وجل جوازاً على الصراط، الذي هو جسر جهنم يوم القيامة)^(٣).

وليس معنى الورود الدخول، بل العبور أو الوصول إلى حافة الشيء، ولذا قال سبحانه: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْتَفُونَ﴾^(٤)، بينما النبي موسى عليه السلام لم يدخل الماء، وإنما وصل إلى حافة الماء.

وعن الإمام الصادق عليه السلام، قال: «الناس يمرون على الصراط طبقات - يعني على أقسام - والصراط أدق من الشعرة، وأحد من السيف، فمنهم من يمر مثل البرق، ومنهم من يمر مثل عدو الفرس، ومنهم من يمر حبواً، ومنهم من يمر مشياً، ومنهم من يمر متعلقاً قد تأخذ النار منه شيئاً وتترك شيئاً»^(٥).

أقول: كونه أدق من الشعرة وأحد من السيف، يبين لنا دقة الصراط، ودقة العدل، ودقة موازنة الأعمال. فالإنسان حتى في الدنيا، إذا لم يلتفت ولو للحظة واحدة، انحرف ذات اليمين وذات الشمال، وهذا جارٍ من أول عمر الإنسان إلى موته وفي كل شؤونه، في أموره العقديّة وغيرها ك: ملبسه ومأكله ومشربه

(١) سورة الأعراف: ٤٦.

(٢) سورة مريم: ٧١.

(٣) بحار الأنوار: ج ٨ ص ٧٠ ب ٢٢ ح ١٩.

(٤) سورة القصص: ٢٣.

(٥) روضة الواعظين: ج ٢ ص ٤٩٩ مجلس في ذكر القيامة والصراط ونصب الموازين، الأمالي للشيخ الصدوق: ص ١٧٧ المجلس الثالث والثلاثون.

ومسمعه وقضايا جنسه ، إلى غير ذلك.

وأحياناً تصطدم سيارة بسيارة ، مما يوجب عطب كليهما أو إحداهما أو بعض أجزائهما ؛ لأن أحد السائقين غفل لحظة ، بل غفل أقل من ثانية فاصطدمت سيارته بالأخرى. وهكذا يكون مصير ارتكاب الخطأ في البحر حيث الغرق ، والخطأ أثناء العبور على مكان مرتفع حيث السقوط ، أو الخطأ في لمس الكهرباء ، أو في إضاءة المصباح الكهربائي - مثلاً - حيث الصعقة ، أو الاحتراق.

ف (الطول) ؛ لأنه مرتبط بكل أوقات العمر ، و(الدقة) ؛ لأنه مرتبط بلزوم الدقة في ملاحظة الطريق ، وقد قال الشاعر الفارسي ما مضمونه :

غفلت لحظة فابتعد طريقني مائة سنة^(١)

وهكذا نجد في الحال ، حيث من يغفل عن موعد إقلاع الطائرة سيبقى في المطار.

روي عن ابن عباس أنه قال : (يسعى على الصراط الناس ، فزمره مثل البرق الخاطف ، ثم قوم مثل الريح ، ثم قوم مثل عدو الفرس ، ثم يمضي قوم مثل المشي ، ثم قوم مثل الحبو ، ثم قوم مثل الزحف ، فيجعله الله على المؤمنين عريضاً ، وعلى المذنبين دقيقاً)^(٢).

أقول : وهكذا نشاهد في سير المسافات بالنسبة إلى الأفراد ، فإنسان يمشي راجلاً ، وإنسان يمشي على دابة بأنواعها ، وإنسان يسير بالسيارة ، وإنسان يطير بالطائرة ، وهكذا.

وعن الإمام الصادق عليه السلام ، قال : «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، فإن

(١) وأصل البيت بالفارسية :

يك زمان غافل شدم صد سال راهم دور شد

(٢) بحار الأنوار : ج ٨ ص ٦٧ ب ٢٢ ح ٨.

في القيامة خمسين موقفاً، كل موقف مثل ألف سنةٍ مما تعدون - ثم تلا هذه الآية -
﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ (١) (٢).

وقال الشيخ الصدوق رحمته الله في كتاب "العقائد":

(اعتقادنا في العقبات التي على طريق المحشر أن كل عقبة منها اسم فرضٍ وأمرٍ ونهي، فمتى انتهى الإنسان إلى عقبة اسمها فرض، وكان قد قصر في ذلك الفرض، حبس عندها وطولب بحق الله فيها، فإن خرج منه بعمل صالح قدمه أو برحمةٍ، نجا منها إلى عقبةٍ أخرى، ولا يزال يدفع من عقبة إلى عقبةٍ، ويحبس عند كل عقبة، فيُسأل عما قصر فيه من معنى اسمها، فإن سلم من جميعها انتهى إلى دار البقاء، فيجىء حياة لا موت فيها أبداً، وسعادة لا شقاوة معها أبداً، وسكن في جوار الله مع أنبيائه وحججه والصدّيقين والشهداء والصالحين من عباده. وإن حبس عند عقبةٍ طُلبَ بحق قصر فيه، فإن لم ينجه عمل صالح قدمه، ولا أدركته من الله عزّ وجل رحمة زلّت به قدمه من العقبة وهوى في جهنم) (٣).

أقول: وهذا كما نشاهد في الدنيا، من أن الوصول إلى بعض الأهداف يحتاج إلى المرور على عدة دوائر من دوائر الدولة، أحياناً أقل وأحياناً أكثر.

ثم إن أذى الناس هناك، وعقوبتهم بالوقوف وما أشبه ذلك، ليس إلا بقدر ما فعلوا في الدنيا من المظالم ونحوها حسب قانون العدل، كما قال سبحانه:

﴿جَزَاءٌ وَفَاقًا﴾ (٤).

(١) سورة المعارج: ٤.

(٢) مستدرک الوسائل: ج ١٢ ص ١٥٥ ب ٩٥ ح ١٣٧٦٣.

(٣) بحار الأنوار: ج ٧ ص ١٢٨ - ١٢٩ ب ٦ ح ١١.

(٤) سورة النبأ: ٢٦.

أنواع الحساب

مسألة: في الآخرة أنواع من الحساب ، فمنها:

حساب بين الإنسان وبين الله سبحانه ، على أفعاله وأقواله ومعتقداته وما أشبهه .

ومنها : حساب بين الإنسان وبين بني نوعه .

ومنها : الحساب بين الإنسان والحيوان .

ومنها : الحساب بين الإنسان والنبات .

ومنها : الحساب بين الإنسان والجماد ، ومطلق الطبيعة .

ومنها : الحساب بين سائر الخلق .

وفي الحديث : «يُؤخَدُ بيد العبد يوم القيامة على رؤوس الأشهاد ، فيقال :

ألا من كان له قبل هذا حق فليأخذه ، ولا شيء أشدّ على أهل القيامة من أن يروا من يعرفهم مخافة أن يدّعي عليه شيئاً»^(١) .

وقد ورد في الآية الكريمة : ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ

* وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ﴾^(٢) ، فإن بعضهم يفرّ من بعض حذراً من مطالبتهم إياه بما بينه وبينهم من التبعات والمظالم .

وفي رواية عن النبي الأكرم ﷺ ، قال : «أ تدرّون من المفلس؟» . فقيل :

المفلس فينا من لا درهم ولا متاع له . قال ﷺ : «المفلس من أمّتي من يأتي يوم

(١) الإتقان في علوم القرآن : ج ٢ ص ٧٤ ح ٤١٤٨ .

(٢) سورة عبس : ٣٤ - ٣٦ .

القيامه بصلاةٍ وصيامٍ وزكاةٍ، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا. فيُعطي هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فئيت حسناته قبل أن يُقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطُرحت عليه، ثم طرح في النار»^(١).

وقال رجل من قريش للإمام السجاد عليه السلام: يا ابن رسول الله، إذا كان لرجلٍ مؤمن عند رجل كافر مظلمة، أي شيء يأخذ من الكافر وهو من أهل النار؟

فقال له علي بن الحسين عليه السلام: «يطرح عن المسلم من سيئاته بقدر ما له على الكافر، فيعذب الكافر بها مع عذابه بكفره، عذاباً بقدر ما للمسلم قبله من مظلمة».

قال القرشي: إذا كانت المظلمة لمسلم عند مسلم، كيف تؤخذ مظلمته من المسلم؟

قال عليه السلام: «يؤخذ للمظلوم من الظالم من حسناته بقدر حق المظلوم، فيزاد على حسنات المظلوم».

قال له القرشي: فإن لم يكن للظالم حسنات؟

قال عليه السلام: «فإن لم يكن للظالم حسنات فإن للمظلوم سيئات، تؤخذ من سيئات المظلوم فيزاد على سيئات الظالم»^(٢).

والحاصل: إن كان للظالم حسنات أخذت منه للمظلوم، وإن لم تكن للظالم حسنات وكان للمظلوم سيئات، وُضعت من سيئات المظلوم على الظالم. وإن لم تكن للظالم حسنات، ولم تكن للمظلوم سيئات، كقتل الشمر

(١) بحار الأنوار: ج ٦٩ ص ٦٦ ب ٩٤ ضمن ح ٣.

(٢) بحار الأنوار: ج ٧ ص ٢٧٠ ب ١١ ح ٣٥.

للإمام الحسين عليه السلام، أُعطيَ الإمام الحسين عليه السلام من الله الثواب، وعوقب شمر بقتله للإمام الحسين عليه السلام بأشد العقوبات.

ومن هذه القاعدة يعرف عدم الفرق بين كون كليهما مسلماً، أو كون كليهما كافراً، أو الظالم مسلماً والآخر كافراً، أو الظالم كافراً والآخر مسلماً.

وفي الآيات الكريمة دلالة على ذلك في الجملة، قال الله تعالى: ﴿وَلِيَحْمِلَنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ﴾^(١).

وقال سبحانه: ﴿لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ﴾^(٢).

وقال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ﴾^(٣).

في رواية عن النبي الأكرم صلوات الله عليه وآله، قال: «إنَّ الرجل يُسأل عن كحل عينه، وعن فتّة الطين بإصبعه، وعن لمسه ثوب أخيه»^(٤).

وفي رواية عن الإمام الصادق عليه السلام، إنّه عليه السلام غمز يد أحد أصحابه وقال: «حتّى أَرش هذا»^(٥).

وقال صلوات الله عليه وآله في خطبة: «وإنَّ الله سائلكم عن أعمالكم حتّى عن مسِّ أحدكم ثوب أخيه بإصبعه»^(٦).

وكتب أبو جعفر عليه السلام إلى بعض الولاة للسلطان - وكانت آخر خطبة -: «وإنَّ ما لك من عملك ما أحسنت فيه، فأحسن إلى إخوانك، واعلم أنَّ الله

(١) سورة العنكبوت: ١٣.

(٢) سورة غافر: ١٧.

(٣) سورة الأنبياء: ٤٧.

(٤) تفسير ابن أبي حاتم: ج ٩ ص ٣٠٤٠ ح ١٧١٩٠.

(٥) وسائل الشيعة: ج ٢٩ ص ٣٥٦ ب ٤٨ ح ٣٥٧٧١.

(٦) وسائل الشيعة: ج ٥ ص ١١١ ب ٧٠٧ ح ٦٠٧١.

سائلك عن مثاقيل الذر والخردل»^(١).

أقول: ويدل على ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾^(٢).

وقد تقدّم الحديث عن الهرة، وأنّ في ظلمها العقاب^(٣).

وفي حديث عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال له معاوية بن وهب: ذكّرنا أنّ رجلاً من الأنصار مات وعليه دين، فلم يصلّ عليه النبي صلى الله عليه وآله وقال: «صلّوا على صاحبكم»، حتّى ضمن عنه بعض قرابته. فقال أبو عبد الله: «ذلك الحق»^(٤).

وفي رواية أنّ أمير المؤمنين عليه السلام هو الذي ضمن الدين^(٥).

ولا يخفى أنّ عدم صلاة النبي صلى الله عليه وآله للتنبية، ولعله كان ليضمنه بعضهم فيخلصه من العذاب، كما حدث ذلك بالفعل، وإلاّ فإنّه يصلّى على أسوأ من ذلك خصوصاً إذا لم يكن مقصراً.

وفي رواية: «إنّ عيسى عليه السلام دعا على قبر، فأحيا الله تعالى من فيه فسأله عن حاله. فقال: كنت حملاً، فحملت يوماً حطباً لرجل، فكسرتُ خيلاً فخلفت به أسناني، فأنا مطالب به منذ متُّ»^(٦).

أقول: وهذا يؤيّد ما تقدّم من قوله سبحانه: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ

(١) بحار الأنوار: ج ٤٦ ص ٣٤٠ ب ٨ ح ٢٩.

(٢) سورة الزلزلة: ٧ - ٨.

(٣) إشارة إلى ما ورد من أن امرأة دخلت النار في هرة حبستها. انظر وسائل الشيعة: ج ١١ ص ٥٤٤ ب ٥٣ ح ١٥٤٩٣، وسائل الشيعة: ج ٢٩ ص ١٤ ب ١ ح ٣٥٠٣٣.

(٤) الكافي: ج ٥ ص ٩٣ باب الدين ح ٢.

(٥) غوالي اللآلي: ج ٣ ص ٢٤١ باب الضمان ح ٢.

(٦) راجع شجرة طوبى: ج ٢ ص ٣٦٣ المجلس الثاني والأربعون.

خَيْرًا يَرَهُ... ﴿١﴾، فَإِنَّ صَاحِبَ الْحَقِّ إِذَا لَمْ يَكُن رَاضِيًا بِكَوْنِ الْإِنْسَانِ مَسْئُولًا
عَنْ ذَلِكَ.

وفي الرواية: «إِنَّ رَجُلًا اشْتَرَى لَحْمًا مِنْ قِصَّابٍ، ثُمَّ أَتَى بِهِ وَرَدَّهُ عَلَيْهِ، فَإِذَا
كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَاسِبَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى دَسَمِ اللَّحْمِ الَّذِي بَقِيَ فِي يَدِهِ، وَأَخَذَهُ مِنْ
حَسَنَاتِهِ وَأَعْطَى الْقِصَّابَ».

وقد نقل أحد الأعلام: إِنَّ رَجُلًا فَقِيرًا مَاتَ، فَلَمَّا رَفَعَتْ جَنَازَتَهُ بِالْغَدَاةِ،
لَمْ يَفْرغُوا مِنْ دَفْنِهِ إِلَى الْعِشَاءِ لِكثْرَةِ اِزْدِحَامِ الْمَشِيعِينَ، فَرَأَوْهُ فِي الْمَنَامِ. فَقِيلَ لَهُ:
مَا فَعَلَ اللَّهُ بِكَ؟! فَقَالَ: غَفَرَ لِي وَأَحْسَنَ إِلَيَّ الْكَثِيرَ، إِلَّا أَنَّهُ حَاسِبُنِي حَتَّى
طَالَبَنِي بِيَوْمٍ كُنْتُ صَائِمًا، وَقَدْ كُنْتُ قَاعِدًا عَلَى حَانُوتِ صَدِيقٍ لِي حِنَاطٍ، فَلَمَّا
كَانَ وَقْتُ الْإِفْطَارِ أَخَذْتُ حَبَّةَ حَنْطَةِ مِنْ حَانُوتِهِ فَكَسَرْتُهَا نِصْفَيْنِ، فَتَذَكَّرْتُ أَنَّهَا
لَيْسَتْ لِي فَأَلْقَيْتُهَا عَلَى حَنْطَتِهِ، فَأَخَذَ مِنْ حَسَنَاتِي قِيَمَةَ مَا نَقَصَ مِنْ تِلْكَ الْحَبَّةِ
مِنَ الْكِسْرِ فِي فَمِي.

وفي رواية قال صلى الله عليه وآله: «يُؤْخَذُ بِدَانِقِ فِضَّةٍ ٧٠٠ صَلَاةً مَقْبُولَةً فَيُعْطَاهَا
الْخِصْمَ».

وفي رواية أخرى قال صلى الله عليه وآله: «يُؤْخَذُ ٦٠٠ صَلَاةً بِدِرْهَمٍ» (٢).

وقال عليه السلام: «أَشَدُّ حَالَاتِ الْإِنْسَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مَنْ لَمْ يُعْطِ خُمْسَ
أَرْبَاحِهِ، فَيَتَعَلَّقُ بِذَلِكَ الرَّجُلِ مَسْتَحِقُّو الْخُمْسِ. فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ قَدْ
أَكَلَ خُمْسَنَا، وَتَصَرَّفَ فِيهِ وَلَمْ يَدْفَعْهُ إِلَيْنَا، فَدَفَعَ اللَّهُ إِلَيْهِمْ عَوْضَهُمْ عَنْ حَسَنَاتِ
ذَلِكَ الرَّجُلِ»، وَكَذَلِكَ أَهْلُ الزَّكَاةِ إِذَا لَمْ يَدْفَعُوهَا.

(١) سورة الزلزلة: ٧.

(٢) راجع غوالي اللآلي: ج ٣ ص ١٢٧ - ١٢٨ باب الخمس ح ٨.

حبط الأعمال و تبديل السيئات بالحسنات

مسألة: هناك موضوعان هما: حبط الأعمال، وتبديل السيئات إلى حسنات، وكل له موضعه، وقد ذُكِرَا في القرآن الحكيم:

قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾^(١).

وقال سبحانه: ﴿فَأُولَئِكَ يَبْدَلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾^(٢).

وورد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾^(٣)، أنه قال عليه السلام: «أما والله، إن كانت أشدَّ بياضاً من القباطي»^(٤).

وفي رواية أخرى: «يجيئون يوم القيامة ولهم من الحسنات أمثال الجبال، ولكن كانوا إذا عرض لهم الحرام لم يدعوه»^(٥).

وفي حديث عن النبي الأكرم عليه السلام، قال: «ليجيئن أقوام يوم القيامة وأعمالهم كجبال تهامة، فيؤمر بهم إلى النار». قالوا: يا رسول الله، مصلين؟! قال: «نعم، يصلون ويصومون ويأخذون وهناً من الليل، فإذا عرض لهم شيء

(١) سورة التوبة: ١٧ و٦٩.

(٢) سورة الفرقان: ٧٠.

(٣) سورة الفرقان: ٢٣.

(٤) الكافي: ج ٢ ص ٨١ باب اجتناب المحارم ح ٥. والقباطي: ثياب بيض رقيقة تجلب من مصر، واحدها قبطي - بضم القاف - نسبة إلى القبط - بكسر القاف - وهم أهل مصر، مجمع البحرين: ج ٤ ص ٢٦٦ (قبط).

(٥) مستدرك الوسائل: ج ١١ ص ٢٨٠ ب ٢٣ ح ١٣٠١٤، مستدرك الوسائل: ج ١٣ ص ٦٣ - ٦٤

ب ١ ح ١٤٧٥٥.

من الدنيا وثبوا عليه»^(١).

وفي حديث المعراج وغيره دلالة على ذلك.

وعلى أيّ: فإنّ الإنسان يرى هناك في المحشر ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، من أنواع النعيم للمؤمنين، الذين يستظلّون بظلّ العرش، وهم في رفاه ونعمة حتّى يدخلوا الجنة بسلام، وبالنسبة إلى العاصين فهناك أنواع العذاب والنكال، حتّى يأخذوا حصّتهم في المحشر، ويدخلوا النار التي هي آخر مقامٍ لهم.

الشيعة وتبديل السيئات

ثم إن الله عزوجل يبذل سيئات البعض إلى حسنات، وذلك لا يكون إلا لشيعة علي (صلوات الله عليه) ببركة شفاعته رسول الله ﷺ وعترته الطاهرة عليهم السلام لهم، كما ورد في الروايات:

١: عن الأصعب بن نباتة، قال: توجهت نحو أمير المؤمنين علي عليه السلام لأسلم عليه، فلم ألبث أن خرج، فقامت قائماً على رجلي فاستقبلته، فضرب بكفه إلى كفي، فشبك أصابعه في أصابعي. فقال لي: «يا أصعب بن نباتة». فقلت: لبيك وسعديك يا أمير المؤمنين.

فقال: «إن ولينا ولي الله، فإذا مات كان في الرفيق الأعلى، وسقاه الله من نهر أبرد من الثلج، وأحلى من الشهد».

فقلت: جعلت فداك يا أمير المؤمنين، وإن كان مذنباً؟!.

قال: «نعم، ألم تقرأ كتاب الله [فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا]»^(٢)^(١).

(١) التحصين لابن فهد: ص ٢٩ - ٣٠ القطب الثالث.

(٢) سورة الفرقان: ٧٠.

٢: عمر بن إبراهيم بياع السابري، عن حجر بن زائدة، عن رجل، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: قلت له: يا ابن رسول الله، إن لي حاجة. فقال: «تلقاني بمكة». فقلت: يا ابن رسول الله، إن لي حاجة. فقال: «تلقاني بمنى». فقلت: يا ابن رسول الله، إن لي حاجة. فقال: «هات حاجتك». فقلت: يا ابن رسول الله، إني أذنبت ذنباً بيني وبين الله لم يطلع عليه أحد، فعظم عليّ، وأجلك أن أستقبلك به». فقال: «إنه إذا كان يوم القيامة، وحاسب الله عبده المؤمن، أوقفه على ذنوبه ذنباً ذنباً، ثم غفرها له، لا يطلع على ذلك ملكاً مقرباً، ولا نبياً مرسلًا». قال عمر بن إبراهيم: وأخبرني عن غير واحد، أنه قال: «ويستر عليه من ذنوبه ما يكره أن يوقفه عليها. قال - ويقول لسيئاته: كوني حسنة - قال - وذلك قول الله تبارك وتعالى: [فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا] (٢)» (٣).

٣: عن محمد بن مسلم الثقفي، قال: سألت أبا جعفر محمد بن علي عليه السلام عن قول الله عز وجل: [فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا] (٤)؟ فقال عليه السلام: «يؤتى بالمؤمن المذنب يوم القيامة، حتى يقام بموقف الحساب، فيكون الله تعالى هو الذي يتولى حسابه، لا يطلع على حسابه أحداً من الناس، فيعرفه ذنوبه حتى إذا أقر بسيئاته، قال الله عز وجل ملائكته: بدلوها حسنات وأظهروها للناس. فيقول الناس حينئذ: ما كان لهذا العبد سيئة واحدة، ثم يأمر الله به إلى الجنة، فهذا تأويل الآية، وهي في المذنبين

(١) تفسير فرات الكوفي: ص ٢٩٣ ومن سورة الفرقان ح ٢٩٣ - ٣٩٦.

(٢) سورة الفرقان: ٧٠.

(٣) بحار الأنوار: ج ٧ ص ٢٥٩ - ٢٦٠ ب ١١ ح ٥.

(٤) سورة الفرقان: ٧٠.

من شيعتنا خاصة»^(١).

٤ : عن سليمان بن خالد، قال: كنت في محمل أقرأ، إذ ناداني أبو عبد الله عليه السلام: «اقرأ يا سليمان»، وأنا في هذه الآيات التي في آخر تبارك: **[وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفُ]**^(٢). فقال: «هذه فينا، أما والله لقد وعظنا وهو يعلم أنا لا نزني. اقرأ يا سليمان». فقرأت حتى انتهيت إلى قوله: **[إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ]**^(٣). قال: «قف هذه فيكم، إنه يؤتى بالمؤمن المذنب يوم القيامة، حتى يوقف بين يدي الله عز وجل، فيكون هو الذي يلي حسابه، فيوقفه على سيئاته شيئاً فشيئاً، فيقول: عملت كذا وكذا، في يوم كذا، في ساعة كذا. فيقول: أعرف يا رب - قال - حتى يوقفه على سيئاته كلها، كل ذلك يقول: أعرف. فيقول: سترتها عليك في الدنيا، وأغفرها لك اليوم، أبدلوها لعبدي حسنات - قال - فترفع صحيفته للناس فيقولون: سبحان الله! أما كانت لهذا العبد ولا سيئة واحدة، فهو قول الله عز وجل: **[فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ]**^(٤)»^(٥).

٥ : عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام، قال: «إن لعلى قم ملكاً رفر ف عليها بجناحيه، لا يريد لها جبار بسوء إلا أذابه الله كذوب الملح في الماء - ثم أشار إلى عيسى بن عبد الله - فقال: سلام الله على أهل قم، يسقي الله بلادهم الغيث،

(١) الأماي للطوسي: ص ٧٢ - ٧٣ المجلس الثالث ح ١٠٥.

(٢) سورة الفرقان: ٦٨ - ٦٩.

(٣) سورة الفرقان: ٧٠.

(٤) سورة الفرقان: ٧٠.

(٥) المحاسن: ج ١ ص ١٧٠ ب ٣٦ ح ١٣٦.

وينزل الله عليهم البركات، و[يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ] (١)، هم أهل ركوع وسجود، وقيام وقعود، هم الفقهاء العلماء الفهماء، هم أهل الدراية والرواية، وحسن العبادة» (٢).

٦: عن أبي إسحاق الليثي، قال: قلت للإمام الباقر محمد بن علي عليه السلام: يا ابن رسول الله، أخبرني عن المؤمن من شيعة أمير المؤمنين عليه السلام، إذا بلغ وكمل في المعرفة... ثم قال عليه السلام: «يا إبراهيم، أزيدك في هذا المعنى من القرآن». قلت: بلى يا ابن رسول الله. قال عليه السلام: «قال الله تعالى: [يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا] (٣)، يبدل الله سيئات شيعتنا حسنات، وحسنات أعدائنا سيئات، [يَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ] (٤)، و[يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ] (٥)، [لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ] (٦)، ولا راد لقضائه، [لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ] (٧)» (٨).

٧: قال العلامة المجلسي رحمته الله: [فَأَوْلَنِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ] (٩) قد ورد في أخبار كثيرة - مضى بعضها وسيأتي بعضها - أن تبديل السيئات حسنات في ديوان أعمالهم يوم القيامة، وقال الباقر عليه السلام: «هي في المذنبين من شيعتنا

(١) سورة الفرقان: ٧٠.

(٢) بحار الأنوار: ج ٥٧ ص ٢١٧ ب ٣٦ ح ٤٦.

(٣) سورة الفرقان: ٧٠.

(٤) سورة إبراهيم: ٢٧.

(٥) سورة المائدة: ١.

(٦) سورة الرعد: ٤١.

(٧) سورة الأنبياء: ٢٣.

(٨) بحار الأنوار: ج ٦٤ ص ١٠٢ - ١٠٨ ب ٣ ح ٢١.

(٩) سورة الفرقان: ٧٠.

خاصة»^(١).

٨ : عن أبي الحسن الرضا عليه السلام، قال: «إذا كان يوم القيامة، أوقف الله المؤمن بين يديه، وعرض عليه عمله. فينظر في صحيفته، فأول ما يرى سيئاته، فيتغير لذلك لونه، وترتعد فرائضه، ثم تعرض عليه حسناته، فتفرح لذلك نفسه. فيقول الله عزَّ وجلَّ: بدلوا سيئاتهم حسنات، وأظهروها للناس. فيبدل الله لهم، فيقول الناس: أما كان لهؤلاء سيئة واحدة، وهو قوله: [يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ]»^(٢)^(٣).

٩ : عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إن الله سبحانه مثل لي أمتي في الطين، وعلمني أسماءهم كما علم آدم الأسماء كلها، فمر بي أصحاب الرايات، فاستغفرت لعلي عليه السلام وشيعته، وإن ربي وعدني في شيعة علي خصلة. قيل: يا رسول الله، وما هي؟! قال: «المغفرة لمن آمن منهم، ولم يغادر لهم صغيرة ولا كبيرة إلا غفرها لهم، ويبدل السيئات حسنات»^(٤).

١٠ : عن الرضا علي ابن موسى عليه السلام، عن أبيه عليه السلام، عن جده عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«حبنا أهل البيت يكفر الذنوب، ويضعف الحسنات، وإن الله تعالى ليتحمل عن محبينا أهل البيت ما عليهم من مظالم العباد، إلا ما كان منهم فيها على إصرار وظلم للمؤمنين، فيقول للسيئات: كوني حسنات»^(٥).

١١ : عن صفوان بن مهران، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «أهون ما

(١) بحار الأنوار: ج ٦٦ ص ٣٥٩ - ٣٦٠ ب ٣٨.

(٢) سورة الفرقان: ٧٠.

(٣) تفسير القمي: ج ٢ ص ١١٧ قضاء صلاة الليل.

(٤) تأويل الآيات الظاهرة: ص ٣٧٩ - ٣٨٠ سورة الفرقان وما فيها من الآيات في الأئمة الهداة.

(٥) الأمالي للطوسي: ص ١٦٤ - ١٦٥ المجلس السادس ح ٢٧٤.

يكسب زائر الحسين عليه السلام في كل حسنة ألف حسنة، والسيئة واحدة، وأين الواحدة من ألف ألف حسنة»

ثم قال عليه السلام: «يا صفوان، أبشر إن لله ملائكة معها قضبان من نور، فإذا أراد الحفظة أن تكتب على زائر الحسين عليه السلام سيئة. قالت الملائكة للحفظة: كفي. فتكف، فإذا عمل حسنة قالت لها: اکتبي [فَأَوْلِيكَ] الذين [يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا]»^(١)»^(٢).

١٢: عن إسحاق القمي، قال: دخلت على أبي جعفر الباقر عليه السلام. فقلت له: جعلت فداك، أخبرني عن المؤمن ...

قال: «نعم يا إسحاق، كل شيء يعود إلى جوهره الذي منه بدأ».

قلت: جعلت فداك، تؤخذ حسناتهم فترد إلينا، وتؤخذ سيئاتنا فترد إليهم؟!.

قال: «إي والله الذي لا إله إلا هو».

قلت: جعلت فداك، أجدها في كتاب الله تعالى؟.

قال: «نعم يا إسحاق». قلت: أي مكان؟.

قال لي: «يا إسحاق، أما تتلو هذه الآية [فَأَوْلِيكَ يَبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا]»^(٣)، فلم يبدل الله سيئاتهم حسنات إلا لكم، والله يبدل لكم»^(٤).

١٣: عن أبي زر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«يؤتى بالرجل يوم القيامة، فيقال: أعرضوا عليه صغار ذنوبه - قال -

(١) سورة الفرقان: ٧٠.

(٢) تأويل الآيات الظاهرة: ص ٣٨٠ سورة الفرقان وما فيها من الآيات في الأئمة الهداة.

(٣) سورة الفرقان: ٧٠.

(٤) علل الشرائع: ج ٢ ص ٤٨٩ - ٤٩١ ب ٢٤٠ ح ١.

فتعرض عليه، ويخبأ عنه كبارها. فيقال: عملتَ يومَ كذا وكذا وكذا وكذا، وهو مقر ليس ينكر، وهو مشفق من الكبائر أن تجيء، فإذا أراد الله به خيراً، قال: أعطوه مكان كل سيئة حسنة».

قال: فيقول: يا رب، لي ذنباً ما رأيتها هاهنا».

قال: ورأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه، ثم تلا [فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ] (١) (٢).

(١) سورة الفرقان: ٧٠.

(٢) غوالي اللآلئ: ج ١ ص ١٢٤ الفصل السابع ح ٥٦.

حوض الكوثر

مسألة: حوض الكوثر مما سيشهده المؤمنون في المحشر، ويشربون منه بيد مولانا أمير المؤمنين عليه السلام، ولا يستبعد أن يكون الشرب منه سبباً في تهيؤ الإنسان لدخول الجنة، بمعنى: إنه يوجد في الإنسان تحولاً جوهرياً يترقى به إلى ما لا يعلمه إلا الله والراسخون في العلم، فيصلح لتلقي نعيم الجنة المتسامية جداً.

عن ابن عباس، قال: لما نزل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾^(١)، قال له علي بن أبي طالب عليه السلام: «ما هذا الكوثر يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟». قال: «نهر أكرميه الله به». قال علي عليه السلام: «إن هذا النهر شريف فأنته لنا يا رسول الله؟». قال: «نعم يا علي، الكوثر نهر يجري تحت عرش الله، ماءؤه هو أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، وألين من الزبد، حصاه من الزبرجد والياقوت والمرجان، حشيشه الزعفران، ترابه المسك الأذفر، وقواعده تحت عرش الله عز وجل، ثم ضرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يده على أمير المؤمنين وقال: يا علي إن هذا النهر لي ولك ولحبيك من بعدي»^(٢).

وعن ابن عباس، قال: قال النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الله عز وجل أعطاني نهراً في السماء، مجراه تحت العرش، عليه ألف ألف قصر، لبنة من ذهب ولبنة من فضة، وحشيشها الزعفران، ورضراضها الدر والياقوت، وأرضها المسك الأبيض، وذلك خير لي ولأمّتي، وذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ

(١) سورة الكوثر: ١.

(٢) بشارة المصطفى: ص ٥ - ٦.

الْكُوْثِرُ ﴿١﴾ (٢).

وفي حديث الإمام الرضا عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: «من لم يؤمن بحوضي فلا أورده الله حوضي، ومن لم يؤمن بشفاعتي فلا أناله شفاعتي» (٣).

وعن أنس، قال: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله. فقال: «قد أعطيت الكوثر». فقلت: يا رسول الله، وما الكوثر؟! قال: «نهر في الجنة عرضه وطوله ما بين المشرق والمغرب، لا يشرب منه أحد فيظماً، ولا يتوضأ أحد منه فيشعث، لا يشربه من أخضر ذمّتي، ولا من قتل أهل بيتي» (٤).

أقول: لا منافاة بين أن يكون قسم من الكوثر في المحشر، وقسم آخر في الجنة، ولا استبعاد في أمثاله إطلاقاً، حيث إنه من صنع الله الكوني الذي أمره بين الكاف والنون (٥) بل أقل من ذلك، فإن من الواضح أنه لا حاجة إلى لفظ الكاف والنون، وإنما ذلك من باب الإشارة إلى سرعة نفوذ أمره في الكون كما قال عز وجل: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ (٦).

(١) سورة الكوثر: ١.

(٢) بحار الأنوار: ج ٨ ص ١٨ ب ٢٠ ح ٣.

(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ١ ص ١٣٦ ب ١١ ح ٣٥. كشف الغمة: ج ٢ ص ٢٨٦ باب ذكر وفاة الرضا عليه السلام. روضة الواعظين: ص ٥٠٠ مجلس في ذكر الشفاعة والحوض. الأمالي للشيخ الصدوق: ص ٧ المجلس الثاني ح ٤.

(٤) المناقب: ج ٢ ص ١٦١ - ١٦٢ فصل في أنه الساقى والشفيع.

(٥) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِذَا قُضِيَ أَمْرٌ فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ سورة البقرة: ١١٧،

سورة آل عمران: ٤٧، سورة مريم: ٣٥.

(٦) سورة القمر: ٥٠.

الجنة والنار

مسألة: حسبما يستفاد من الآيات والروايات، أن الجنة والنار مخلوقتان وأنهما موجودتان الآن، وأن الله عز وجل ذهب بنبيه ﷺ إلى الجنة ليرى من آياته الكبرى، وأنه ﷺ أشرف على النار واطلع عليها.

وفي روايات متواترة أنه ﷺ رأى هناك أشياء وأشياء.

وقد قال سبحانه بالنسبة إلى الجنة: ﴿أَعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿أَعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾^(٢).

وقال سبحانه بالنسبة إلى النار: ﴿أَعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾^(٣).

وقال تعالى: ﴿عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾^(٤).

وعن الهروي، قال: قلت للرضا عليه السلام: يا ابن رسول الله، أخبرني عن الجنة والنار أهما اليوم مخلوقتان؟

فقال عليه السلام: «نعم وأن رسول الله ﷺ قد دخل الجنة، ورأى النار لما عُرج به إلى السماء».

قال: فقلت له: فإن قوماً يقولون: إنهما اليوم مقدرتان غير مخلوقتين.

فقال عليه السلام: «ما أولئك منا ولا نحن منهم، من أنكر خلق الجنة والنار فقد

(١) سورة آل عمران: ١٣٣.

(٢) سورة الحديد: ٢١.

(٣) سورة البقرة: ٢٤، سورة آل عمران: ١٣١.

(٤) سورة النجم: ١٥.

كذب النبي ﷺ وكذبنا، وليس من ولايتنا على شيء، ويخلد في نار جهنم»^(١).
وقد قال النبي الأعظم ﷺ: «لَمَّا عُرِجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ أَخَذَ بِيَدِي جِبْرَائِيلُ، فَأَدْخَلَنِي الْجَنَّةَ، فَنَاوَلَنِي مِنْ رَطْبِهَا»^(٢).

ولا يخفى أن النار في الجهة السفلى بالنسبة إلى الجنة، قال تعالى: ﴿لَفِي عِلِّيِّينَ﴾^(٣) في حق أهل الجنة، وقال عز وجل: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾^(٤) بالنسبة إلى أهل النار.

قال العلامة المجلسي رحمه الله: (الذي يظهر لي من الروايات والأخبار هو أن الله تعالى بعد أن خرق السماوات وطبها، ينزل الجنة والعرش قريباً من الأرض، فيكون سقف الجنة العرش، فلا يبعد أن يكون هذا هو المراد بقوله تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(٥)، وتحوّل البحار نيراناً، فيوضع الصراط من الأرض إلى الجنة، والأعراف درجات ومنازل بين الجنة والنار)^(٦)، انتهى كلامه (رُفِعَ مَقَامَهُ).

أقول: وكذلك بالنسبة إلى الجحيم؛ حيث قال سبحانه: ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾^(٧).

ولا يخفى أن الجحيم بهما إلى قريب الأرض، لا يعني صغرها، بل إن الفضاء من السعة ما لا يدركه عقل من العقول، ولا وهم من الأوهام، هذا ما اكتشفه علماء الفلك في العصر الحديث، فكيف بواقعه الذي لم يكتشف ولا

(١) بحار الأنوار: ج ٤ ص ٤ ب ١ ح ٤.

(٢) بحار الأنوار: ج ٤ ص ٤ ب ١ ح ٤، و البحار: ج ٨ ص ١١٩ ب ٢٣ ح ٦.

(٣) سورة المطففين: ١٨.

(٤) سورة التين: ٥.

(٥) سورة الشعراء: ٩٠، سورة ق: ٣١.

(٦) بحار الأنوار: ج ٨ ص ٣٣٤ ب ٢٥.

(٧) سورة الفجر: ٢٣.

يكتشف، ولا يعلم مداه إلا الله والراسخون في العلم.
وفي الجنة ما لا يمكن دركُه حتى في الخيال، كما ورد في الحديث: «بما لا عين
رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر»^(١).

وهل يمكن أن يفهم الطفل اللذة الجنسية التي يشعر بها البالغ؟ أو أن
يستوعب مسائل الجبر والمقابلة؟ أو مباحث الأصول العملية وما أشبه ذلك؟!
فنحن بالنسبة إلى العالم الآخر كذلك، بل النسبة أبعد.

وهكذا يمثل بالجنين بالنسبة إلى هذه الدنيا حيث لا يفهم منها شيئاً، ولعلَّ
البعد أكثر وأكبر بما لا يعلمه إلا الله سبحانه والراسخون في العلم.

ففي الجنة من اللذات المعنوية والمادية ما لا يمكن للإنسان أن يتصورها أو
يدركها إلا إجمالاً، قال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مَّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ﴾^(٢).

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ
أَمِينٍ * وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مَّتَقَابِلِينَ
* لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾^(٣).

وقال تعالى: ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ * أُولَٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ
* فَوَاكِهُ وَهُمْ مَّكْرُمُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ * عَلَىٰ سُرُرٍ مَّتَقَابِلِينَ *
يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِّنْ مَّعِينٍ * بَيْضَاءَ لَدَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ * لَا فِيهَا غَوْلٌ
وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ * وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ * كَأَنَّهُنَّ
بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾^(٤).

(١) تهذيب الأحكام: ج ٦ ص ٢٢ ب ٧ ح ٧.

(٢) سورة آل عمران: ١٥.

(٣) سورة الحجر: ٤٥ - ٤٨.

(٤) سورة الصافات: ٤٠ - ٤٩.

وقال سبحانه: ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ * ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُخْبَرُونَ * يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِّنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(٢).

وقال سبحانه: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّنْ مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّنْ لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مَّصْفَى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّنْ رَبِّهِمْ﴾^(٣).

وقال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ * ثَلَاثَةٌ مِّنَ الْأُولِينَ * وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ * عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ * مَتَكِنِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ * يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وُلدَانٌ مَّخْلُودُونَ * بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقٍ وَكَأْسٍ مِّنْ مَّعِينٍ * لَا يَصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ * وَقَاكِهِةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ * وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ * وَخُورٍ عَيْنٍ * كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ * جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيهًا * إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾^(٤).

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا * عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾^(٥).

وقال تعالى: ﴿وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا * مَتَكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرُونَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا * وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ

(١) سورة الزمر: ٢٠.

(٢) سورة الزخرف: ٦٩ - ٧١.

(٣) سورة محمد: ٥١.

(٤) سورة الواقعة: ١٠ - ٢٦.

(٥) سورة الإنسان: ٥ - ٦.

ظَلَّأَهَا وَذَلَّتْ قُطُوفُهَا تَذَلِيلاً * وَيَطَافُ عَلَيْهِمْ بِأَنْبِيَةٍ مِّنْ فَضَّةٍ
 وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا * قَوَارِيرًا مِّنْ فَضَّةٍ قَدَرُواهَا تَقْدِيرًا * وَيُسْقَوْنَ
 فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا * عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا *
 وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مَّخْلُودُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا *
 وَإِذَا رَأَيْتَ ثُمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا * عَالِيَهُمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٌ خُضْرٌ
 وَإِسْتَبْرَقٌ وَخُلُوعًا أَسَاوِرَ مِّنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا * إِنَّ
 هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا ﴿١﴾.

إلى غير ذلك مما لا تحصى كثرة من الآيات والأخبار.

والذي يظهر من الآيات والروايات وكلمات العلماء، أن هذه صور للجنة
 الواقعية حسب ما ندركه، مثل أن نقول للطفل الصغير: إن لذة المقاربة الجنسية
 كلذة السكر، بل لعل الأمر أبعد من هذا، فإن مداركنا أرضية، والمدارك
 الأرضية لا تصل إلى فهم الظاهر السماوي، فكيف بواقعه؟.

فَدُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿١﴾.

وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَعِينُوا يُوَسَّوْا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢﴾.

وقال سبحانه: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ نِيَابٌ مِّنْ نَّارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ * يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ * وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ * كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٣﴾.

وقال تعالى: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِّنْ عَذَابِهَا ﴿٤﴾.

وعن عمرو بن ثابت، عن الإمام الباقر عليه السلام، قال: «إن أهل النار يتعاونون فيها كما يتعاونى الكلاب والذئاب، مما يلقون من ألم العذاب. ما ظنك يا عمرو بقوم ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِّنْ عَذَابِهَا﴾^(٥)، عطاش فيها جياع، كليلة أبصارهم، صم بكم عمي، مسودة وجوههم، خاسئين فيها نادمين، مغضوب عليهم فلا يرحمون، ومن العذاب فلا يخفف عنهم، و[في النار يسجرون]^(٦)، ومن الحميم يشربون، ومن الزقوم يأكلون، وبكلايب النار يحطمون، وبالمقامع يضربون، والملائكة الغلاظ الشداد

(١) سورة التوبة: ٣٤ - ٣٥.

(٢) سورة الكهف: ٢٩.

(٣) سورة الحج: ١٩ - ٢٢.

(٤) سورة فاطر: ٣٦.

(٥) سورة فاطر: ٣٦.

(٦) سورة غافر: ٧٢.

لا يرحمون، وهم في النار يسحبون على وجوههم، ومع الشياطين يقرنون، وفي الأنكال والأغلال يصفدون، إن دعوا لم يُستجب لهم، وإن سألوا حاجة لم تقض لهم، هذه حال من دخل النار»^(١).

نعوذ بالله تعالى من ذلك.

إلى غيرها من الروايات الكثيرة.

(١) أمالي الشيخ الصدوق: ص ٥٥٧ المجلس الثاني والثمانون ح ١٤، وعنه في بحار الأنوار: ج ٨

ص ٢٨١ - ٢٨٢ ب ٢٤ ح ٣.

الأعراف

مسألة: يظهر من بعض الآيات والروايات، أن الأعراف مسكن لطائفة من الخلق، وهي كالحدود بين الجنة والنار، قال عز وجل: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رَجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾^(١).

وفي حديث عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: «الأعراف كثنان بين الجنة والنار، فيوقف عليها كل نبي وكل خليفة نبي مع المذنبين من أهل زمانه، كما يقف صاحب الجيش مع الضعفاء من جنده. وقد سبق المحسنون الجنة، فيقول ذلك الخليفة للمذنبين الواقفين معه: انظروا إلى إخوانكم المحسنين قد سبقوكم إلى الجنة. فيسلم المذنبون عليهم، وذلك قوله عز وجل: ﴿وَنَادُوا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾^(٢)»^(٣).

ثم أخبر عز وجل أنهم ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾^(٤)، يعني هؤلاء المذنبين لم يدخلوا الجنة وهم يطمعون أن يدخلهم الله إياها بشفاعة النبي والإمام عليه السلام، وينظر هؤلاء المذنبون إلى أهل النار ويقولون: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾^(٥)، ثم ينادي أصحاب الأعراف وهم الأنبياء والخلفاء أهل

(١) سورة الأعراف: ٤٨.

(٢) سورة الأعراف: ٤٦.

(٣) بحار الأنوار: ج ٨ ص ٣٣١ ب ٢٥.

(٤) سورة الأعراف: ٤٦.

(٥) سورة الأعراف: ٤٧.

النار مقرّعين لهم ﴿مَا أَعْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ (١) (٢).

وفي "البحار" أيضاً: وقد جاء في الحديث، بأن الله تعالى يسكن الأعراف طائفةً من الخلق، لم يستحقّوا بأعمالهم الحسنة الثواب من غير عقاب، ولا استحقّوا الخلود في النار، وهم المرجون لأمر الله ولهم الشفاعة، ولا يزالون على الأعراف، حتى يؤذن لهم في دخول الجنة، بشفاعة النبي ﷺ وأمير المؤمنين عليّ السلام والأئمة (صلوات الله عليهم أجمعين) من بعده.

وقيل أيضاً: إنها مسكن طوائف لم يكونوا في الأرض مكلّفين، فيستحقّون بأعمالهم جنةً وناراً، فيسكنهم الله تعالى ذلك المقام، يعوّضهم على الآمهم في الدنيا بنعيم لا يبلغون منازل أهل الثواب المستحقّين له بالأعمال (٣).

وفي رواية أخرى عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: «الأعراف كُتبانٌ بين الجنة والنار، والرجال (٤) الأئمة (صلوات الله عليهم)، يقفون على الأعراف مع شيعتهم، وقد سيق المؤمنون إلى الجنة بلا حساب، فيقول الأئمة ﷺ لشيعتهم من أصحاب الذنوب: انظروا إلى إخوانكم في الجنة قد سبقوا إليها بلا حساب، وهو قوله عز وجل: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ (٥). ثم يقال لهم: انظروا إلى أعدائكم في النار، وهو قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (٦) (١).

(١) سورة الأعراف: ٤٨.

(٢) بحار الأنوار: ج ٨ ص ٣٣٢ ب ٢٥.

(٣) بحار الأنوار: ج ٨ ص ٣٤٠ - ٣٤١ ب ٢٥.

(٤) أي قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ﴾ سورة الأعراف: ٤٦.

(٥) سورة الأعراف: ٤٦.

(٦) سورة الأعراف: ٤٧.

وفي رواية: سُئِلَ الإمام الكاظم عليه السلام عن مؤمني الجنّ يدخلون الجنة؟ فقال عليه السلام: «لا، ولكن لله حظائر بين الجنة والنار يكون فيها مؤمنو الجنّ وفَسَّاق الشَّيْعة»^(٢).

وعلى أي حال: فالظاهر من الروايات والأخبار أنّ الأعراف كالحدود بين البلدين، وكونها مرتفعة ليشرف الواقفون عليها على الجانبين، ولها أهل كأصحاب الحدود بين البلدين في الدنيا، حيث إنّ أصحاب الحدود ينظرون إلى القادمين والمغادرين والأمتعة، ومن يستحقّ الدخول ومن لا يستحقّ الدخول، كما أنّ هناك أماكن مخصّصة لأهل الحدود من غرف وحدائق وما أشبه ذلك. فالناس في الآخرة على ثلاثة أقسام: أهل الجنة، وأهل النار، وأهل الأعراف. فأهل الأعراف في راحة ونعيم، إلّا أنّهم ليسوا بمنزلة أهل الجنة، حالهم حال الطبقة المتوسطة في الدنيا، فلا هم من الأغنياء لثروتهم، ولا هم من الفقراء بمجالتهم بل بينهما.

أمّا سائر الخصوصيات فلا نعلمها، كما لا نعرف خصوصيات الآخرة إلّا بقدر ما ذكره القرآن الكريم والراسخون في العلم (صلوات الله عليهم أجمعين).

(١) بحار الأنوار: ج ٨ ص ٣٣٥ ب ٢٥ ح ٢.

(٢) بحار الأنوار: ج ٨ ص ٣٣٥ ب ٢٥ ح ١.

خاتمة

هناك أسئلة وأجوبة لا بأس بالتطرق لها، وإن كان مكانها الكتب الكلامية، لكننا نذكرها بإيجاز.

❖ س ١: هل من الأفضل خلق الإنسان أم عدم خلقه؟.

الجواب: في الخلق معرفة الخالق، ومعرفته تعالى هي قمة الكمال، وما علوم الفلك والطب والهندسة والفيزياء والكيمياء والجيولوجيا وغيرها، إلا شعاعاً من معرفة جانب من عظمة صنعه وفعله وخلقته ومخلوقاته، بل إن في الخلق لذة المخلوق لمختلف لذائذه الجسمية والعقلية والروحية، فلماذا لا يُخلق؟!.

❖ س ٢: هذا بالنسبة لمن يُخلق ويلتذ في خلقه، أما من يعاني الآلام في بعض حياته فكيف؟.

الجواب: الأمور في مثل ذلك نسبية، فاللذة الراجعة على الألم محبوبة للإنسان، سواء كانت اللذة علمية أم عقلية أم حسية أم غيرها؛ ولذا نرى أن السفر مرغوب للإنسان مع أن فيه آلاماً، وكذلك الأولاد والدراسة والتجارة والكسب والسياحة وما أشبه، فإن في كلها آلاماً لكن اللذة فيها أكثر من الألم فتصبح مرغوبة للعقلاء، وهكذا في جميع النسيب.

❖ س ٣: وماذا عمّن استحق عذاب النار فإن آلامه أكثر؟.

الجواب: لا يكون ذلك إلا بتقصيره، فإن ألمه الأكثر وعذابه في الآخرة بسبب نفسه؛ فلو أطاع الله لما دخل النار، فهو بسوء اختياره يتألم، وإلا فأصل الخلق مختاراً راجح.

ثم إن أهل النار الخالدين فيها هم المعاندون كما ورد في دعاء كميل: «وأن تخلد فيها المعاندين»^(١)، ولا يبعد أنهم لو تركوا العناد شملتهم الرحمة الإلهية ورفع العذاب، فالحكم تابع للموضوع، مثل قولك: (الفاسق لا يكون شاهداً) أي: ما دام فاسقاً.

❖ س ٤: ما هي دلالة أدلة الخلود؟.

الجواب: إن الخلود لا شك فيه بالنسبة إلى المعاندين كما في صريح الآيات والروايات، وبالنسبة إلى سائر العصاة، فربما تكون للخلود معان أخرى في بعض المعاصي وبعض العصاة، منها:

أولاً: بمعنى الزمان المديد، مثل خلود من قتل مؤمناً متعمداً وما أشبه ذلك، مما ورد في الروايات والآيات.

ثانياً: إنه وعيد، والوعيد لا يلزم الوفاء به، عكس الوعد، فربما قيل: إن عدم الوفاء بالوعيد في بعض الموارد أفضل، فتأمل.

ثالثاً: إنه قد يكون خالداً، لكنه لا يشعر بالألم في بعض الأحيان، كما قد يستفاد ذلك من بعض الآيات، على ما ذكرناه في "التفسير الموضوعي للقرآن الحكيم" بشأن من هو أعمى، وشأن من هو أصم، وشأن من هم سكارى، وما أشبه ذلك، فتأمل. فقد يكون العقاب للبعض بقدر ما أذنبوا وما استحقوا موزعاً على أزمنة متطاولة، وبينها لا يحسون بالعقاب والعذاب.

(١) المصباح للكفعمي: ص ٥٥٩ ف ٤٤.

الأرواح والأبدان

وفي رواية عن الإمام الصادق عليه السلام - في بيان حكمة بعض الأمور التكوينية المرتبطة بخلق الأرواح - حيث سأل عبد الله بن الفضل الهاشمي الإمام الصادق عليه السلام: لأيّ علّة جعل الله عزّ وجلّ الأرواح في الأبدان بعد كونها في ملكوته الأعلى في أرفع محلّ؟!.

فقال عليه السلام:

«إنّ الله تبارك وتعالى علم أنّ الأرواح في شرفها وعلوّها، متى ما تركت على حالها نزع أكثرها إلى دعوى الربوبية دونه عزّ وجلّ، فجعلها بقدرته في الأبدان التي قدر لها في ابتداء التقدير نظراً لها ورحمةً بها، وأحوج بعضها ببعض، وعلّق بعضها على بعض، ورفع بعضها فوق بعض درجاتٍ، وكفّى بعضها ببعض، وبعث إليهم رُسُلَه، واتخذ عليهم حججه، مبشرين ومنذرين، يأمرون بتعاطي العبودية، والتواضع لمعبودهم بالأنواع التي تعبدهم بها، ونصب لهم عقوباتٍ في العاجل، وعقوباتٍ في الآجل، ومثوباتٍ في العاجل، ومثوباتٍ في الآجل؛ ليرغبهم بذلك في الخير، ويزهدهم في الشرّ، وليذللهم بطلب المعاش والمكاسب، فيعلموا بذلك أنهم مربوبون، وعبادٌ مخلوقون، ويُقبلوا على عبادته، فيستحقوا بذلك نعيم الأبد، وجنة الخلد، ويؤمنوا من النزوع إلى ما ليس لهم بحقّ».

ثم قال عليه السلام: «يا ابن الفضل، إنّ الله تبارك وتعالى أحسنَ نظراً لعباده منهم لأنفسهم، ألا ترى أنّك لا ترى فيهم إلاّ محباً للعلو على غيره، حتّى أنه يكون منهم لمن قد نزع إلى دعوى الربوبية، ومنهم من قد نزع إلى دعوى النبوة بغير حقّها، ومنهم من قد نزع إلى دعوى الإمامة بغير حقّها، وذلك ما يرون في

أنفسهم من النقص والعجز، والضعف والمهانة، والحاجة والفقر، والآلام
والمنابذة عليهم، والموت الغالب لهم والقاهر لجميعهم. يا ابن الفضل، إن الله
تبارك وتعالى لا يفعل بعباده إلاّ الأصلح لهم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً
وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾^(١) (٢).

* * *

وهذا آخر ما أردنا بيانه في هذا الكتاب، نسأله تعالى أن يتقبله بقبول حسن،
وأن ينفع به كما نفع بغيره، إنه نعم المولى ونعم النصير.
﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ
* وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٣)، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

قم المقدسة
محمد الشيرازي

(١) سورة يونس: ٤٤.

(٢) بحار الأنوار: ج ٥٨ ص ١٣٣ - ١٣٤ ب ٤٣ ح ٦.

(٣) سورة الصافات: ١٨٠ - ١٨٢.

الفهرس

٤.....	في البدء كانت كلمة.....
١٢.....	مقدمة الناشر.....
١٦.....	* مقدمة المؤلف.....
١٨.....	المدخل : المستقبل والأهداف الكبيرة.....

٢٠.....	* الباب الأول.....
٢٢.....	* * الفصل الأول : خطوات على الطريق.....
٢٤.....	معرفة المستقبل والتخطيط لصناعته.....
٢٦.....	بين الانكفاء والتفاؤل.....
٢٧.....	من ذاكرة التأريخ.....
٢٨.....	المتقف والريادات المستقبلية.....
٣٠.....	الاهتمام بمصالح الأمة \ تراحم المصالح \ بين التفاؤل والأمل.....
٣٣.....	التكاملية بين القيم والواقع.....
٣٤.....	انفصال الواقع عن القيم.....
٣٥.....	مقاييس الاتحاد.....
٣٥.....	١ : إلغاء الربا.....
٣٦.....	٢ : انتشار الأخلاق الحميدة.....
٣٧.....	٣ : إعادة برمجة صندوق النقد والبنك الدوليين.....
٣٩.....	٤ : إلغاء الحروب من العالم.....
٤٠.....	٥ : إلغاء حقّ الفيتو.....
٤١.....	٦ : تعديل التمثيل الدولي في الجمعية العامة للأمم المتحدة.....
٤٢.....	٧ : تدخل الأمم المتحدة بين الحكومات وشعوبها.....
٤٩.....	٨ : محورية الإنسان.....
٥١.....	٩ : لا إجبار ولا قسر.....
٥٣.....	١٠ : إلغاء الضرائب.....

- ١١: إقامة المؤسسات ٥٤
- ١٢: الأمة الواحدة وإزالة الحدود الجغرافية ٥٥
- ١٣: الأخوة الإسلامية ٥٦
- ١٤: الحريات الإسلامية ٥٨
- ١٥: العدالة ٦٠
- ١٦: الإنصاف ٦٠
- ١٧: الأرض لله ولمن عمّرها ٦٢
- ١٨: لا تعذيب في السجن ٦٣
- ١٩: التقليل من حجم القوانين ٦٣
- ٢٠: التقليل من السجن ٦٤
- ٢١: نبد العنف ٦٥
- ٢٢: انتشار الإسلام الأصيل ٦٥
- ٢٣: التعايش السلمي ٦٥
- ٢٤: القضاء على وسائل الإبادة الجماعية ٦٦
- ٢٥: حماية البيئة من التلوث وتطهيرها وتحسينها ٦٩
- ٢٦: نشر الثقافة وتوسعة نطاقها ٦٩
- ٢٧: الرجوع إلى قانون «من سبق» ٧٠
- ٢٨: تقليل الأمراض ٧١
- ٢٩: لا مكان للكماليات الزائدة ٧٢
- ٣٠: التقليل من الموظفين ٧٣
- ٣١: المحافظة على ثروات الأجيال ٧٤
- ٣٢: تقوية الإيمان بالله ﷻ ٧٥
- ٣٣: إلغاء الطبقة ٧٥
- ٣٤: تطوير الزراعة وتوسيع دائرتها ٧٥
- ٣٥: الإعمار والتوسع العمراني ٧٧
- ٣٦: ازدهار السفر والسياحة الدينية ٧٧
- ٣٧: حقوق المرأة ٧٨
- ٣٨: اختفاء النعرات ٧٩
- ٣٩: زوال الاستعمار بشتى أشكاله ٨١
- ٤٠: سيادة المسلمين ٨٢

- ٨٣.....:٤١ العمل لزيادة الأسلمة.....
- ٨٧.....:٤٢ تقليص أضرار الكوارث الطبيعية.....
- ٨٩.....:٤٣ تكريس الإيمان.....
- ٩١.....:٤٤ زيادة المعارف والعلوم.....
- ٩٢.....:٤٥ بناء مُدن في الفضاء.....
- ٩٢.....:٤٦ إرجاع الطاقة إلى المادة.....
- ٩٣.....:٤٧ الحيلولة دون الجرائم.....
- ٩٣.....:٤٨ ضحايا الجوع.....
- ٩٤.....:٤٩ الارتباط بالجن والمَلَك والروح.....
- ٩٥.....:٥٠ حقوق الإنسان الكاملة.....
- ٩٦.....** الفصل الثاني : المنهجية في الدراسة.....
- ٩٨.....العالم ومراكز الدراسات المستقبلية.....
- ١٠١.....البلاد الشيوعية ومراكز الدراسات.....
- ١٠٤.....نماذج أخرى من سائر الدول.....
- ١٠٥.....البلاد الإسلامية وعدم دراسة المستقبل.....
- ١٠٥.....منظمات ذات التوجه المستقبلي.....
- ١٠٨.....كيف نتنبأ المستقبل؟.....
- ١٠٨.....١: دراسة الماضي.....
- ١٠٩.....٢: انتقاء الأحداث.....
- ١١٢.....التنبؤ حسب موازين العقل والمنطق.....
- ١١٦.....هكذا فعلت الشيوعية بالعراق!.....
- ١١٩.....تحولات المعسكر الشرقي وتراجعته.....
- ١٢١.....سياسة غورباتشوف.....
- ١٢٣.....العلم بالغيب لله عزَّ وجل.....
- ١٢٤.....الطوسي رحمته الله وعلم المستقبل.....
- ١٢٦.....المستقبل بين الضرر وعدمه.....
- ١٣٠.....الاستنساخ بين الحلية والحرمة.....

* الباب الثاني:..... ١٣٢

- ١٣٤..... تمهيد : أقسام المستقبل
- ١٣٦ * * الفصل الأول: المستقبل المنظور.....
- ١٣٧..... لماذا تخلف المسلمون؟
- ١٣٩..... صورة من التخلف.....
- ١٤١..... رواد النهضة الإسلامية.....
- ١٤٢..... ماذا فعل العرب ببلاد المسلمين؟
- ١٤٨..... مصير الحضارة الغربية.....
- ١٥٣..... السقوط أم التصحيح؟
- ١٥٥..... مهمة المسلمين.....
- ١٦٢..... مقومات النهضة الإسلامية.....
- ١٦٣..... الوعي أولاً.....
- ١٦٥..... التنظيم ثانياً.....
- ١٦٩..... لأجل هذا ضعفت الحضارة.....
- ١٧٣..... هكذا تخلف المسلمون!
- ١٧٧..... إستراتيجية العلاقة في الإسلام.....
- ١٨٠..... الغرب ومفاهيم الإسلام.....
- ١٨٤..... مشكلتنا حكامنا.....
- ١٨٦..... يقظة بعد سبات.....
- ١٨٨..... الغرب يتطلع إلى الإسلام.....
- ١٩٢..... ما يحتاجه المسلمون.....
- ١٩٥..... معرفة الحياة.....
- ٢٠٠ * * الفصل الثاني: المستقبل غير المنظور.....
- ٢٠٢..... المهدي عليه السلام في الكتاب والسنة.....
- ٢٠٢..... الآيات الشريفة:.....
- ٢٠٥..... الروايات الشريفة:.....
- ٢١٤..... روايات المخالفين.....
- ٢١٦..... المستقبل في عصر الظهور.....
- ٢١٦..... الأول: الحياة السياسية.....
- ٢٢٠..... الثاني: الحياة الاقتصادية.....
- ٢٢٣..... الثالث: الحياة الاجتماعية.....

٢٢٤.....	الرابع: الحياة الدينية.....
٢٢٧.....	الخامس: الحياة العمرانية.....
٢٣٠.....	السادس: الحياة التجارية.....
٢٣٢.....	السابع: الحياة الآمنة.....
٢٣٦.....	الثامن: الحياة القضائية.....
٢٤١.....	التاسع: الحياة الثقافية.....
٢٤٣.....	العاشر: الحياة الحضارية.....
٢٤٦.....	* * الفصل الثالث: المستقبل الأخرى.....
٢٤٨.....	كُتب عليكم الموت.....
٢٤٨.....	الحياة في الآخرة.....
٢٥٥.....	سكرة الموت.....
٢٦١.....	ماذا بعد الموت؟.....
٢٦٢.....	القوالب النورية.....
٢٦٤.....	عالم الأحلام.....
٢٦٥.....	الأموات أحياء.....
٢٦٧.....	من أخبار البرزخ.....
٢٧٠.....	ضغطة القبر وصلاة الوحشة.....
٢٧٢.....	تناسب عذاب الدنيا وعذاب الآخرة.....
٢٧٢.....	البرزخ والإنسان.....
٢٧٤.....	النمو في عالم البرزخ.....
٢٧٤.....	العدل والفضل.....
٢٧٥.....	متى تبدأ الشفاعة؟.....
٢٧٦.....	الحساب خاص بالمكلف.....
٢٨٠.....	أين عالم البرزخ؟.....
٢٨٨.....	إشكال وجواب.....
٢٩٥.....	تقرية أولاد الأئمة <small>عليهم السلام</small>
٢٩٦.....	أشراط الساعة في القرآن الكريم.....
٣٠١.....	الصور.....
٣٠٢.....	عدد الصفحات.....
٣٠٥.....	المحلوقات بين الفناء والتجزئة.....

٣٠٦.....	أدلة الفناء المطلق.....
٣٠٩.....	أدلة القائلين بالتفرق والتجمع.....
٣١٣.....	أهوال يوم القيامة.....
٣١٧.....	هكذا تحشر الوحوش.....
٣٢٤.....	الأطفال وحسبهم.....
٣٢٨.....	وزن الأعمال.....
٣٣٢.....	الحساب في يوم القيامة.....
٣٣٤.....	تحسم العقائد والأقوال والأعمال.....
٣٣٧.....	ماذا في القيامة؟.....
٣٤١.....	شهادة القرآن.....
٣٤٢.....	شهادة الأيام \ الحساب اليسير والشديد.....
٣٤٥.....	شهود في يوم القيامة.....
٣٥٠.....	الشفاعة وحكمتها.....
٣٥١.....	آراء العلماء في الشفاعة.....
٣٥٢.....	من له حق الشفاعة.....
٣٥٨.....	الصراط.....
٣٦٣.....	أنواع الحساب.....
٣٦٨.....	حبط الأعمال و تبدل السيئات بالحسنات.....
٣٧٦.....	حوض الكوثر.....
٣٧٨.....	الجنة والنار.....
٣٨٣.....	صفات الجنة والنار.....
٣٨٦.....	الأعراف.....
٣٨٩.....	** خاتمة.....
٣٩١.....	الأرواح والأبدان.....
٣٩٣.....	الفهرس.....